

ISSN 3283-2636

علوم المخطوط

دورية علمية سنوية محكَّمة

العدد الثالث
٢٠٢٠

مركز المخطوطات
Manuscripts Center



دورية
علوم المخطوط



حولية تراثيَّةٌ محكَّمة مطبوعةٌ (لها موقعٌ إلكتروني) تصدر عن مركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية، تختص بنشر ما يتَّصل بعلوم المخطوطات، والدراسات والترجمات التراثية، والتحقيقات، بالإضافة إلى التعقُّبات والنقود.

الهيئة الاستشارية





دورية علمية سنوية محكَّمة

العدد الثالث

٢٠٢٠

مركز المخطوطات
Manuscripts Center

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة– أثناء – النشر (فان)

علوم المخطوط. – ع3 (2020)– . – الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية، مركز المخطوطات، 2020.

مجلدات ؛ سم.

سنوي

ردمد 2636–3283

«دورية علمية سنوية محكمة»

1. المخطوطات–– دوريات. أ– مكتبة الإسكندرية. مركز المخطوطات.

ديوي –011.31 2020591848848

ISSN 3283–2636

رقم الإيداع: 24367/ 2020

طُبع بمصر

١٠٠٠ نسخة

قواعد النشر

- ترحب الدورية بنشر البحوث الجيدة والجديدة في الحقول الآتية: الكوديكولوجيا، دراسات في التراث العربي الإسلامي، تحقيقات، ترجمات لنصوص تراثية أو لتحقيقات، تعقُّبات ونقد للتحقيقات والدراسات التراثية.

- يجب أن يتسم البحث بالأصالة والابتكار والمنهجية، وأن يكون البحث غير منشور من قبلُ بأيّ صورةٍ من صور النشر، وغيرَ مستلٍّ من كتابٍ منشور أو رسالة جامعية (ماجستير، دكتوراه).

- ألا يزيد عدد كلمات البحث على ١٠ آلاف كلمة، ولا يقل عن ٥٠٠٠ كلمة (للبحوث، والدراسات، والنصوص المحققة)، ولا تقل عن ٢٠٠٠ كلمة (للنقود، والمراجعات، وعرض الكتب، والترجمات).

- يُصدَّر كل بحث بملخص لا يزيد عن ١٥٠ كلمة، باللغتين العربية والإنجليزية.

- يقدَّم البحث مكتوبًا إلكترونيًّا، عبر البريد الإلكتروني للمجلَّة، مع سيرةٍ ذاتيَّة معبِّرة عن صاحبه. وتوضع الهوامش والإحالات في أسفل الصفحة إلكترونيًّا، وتُفصل بخط عن (المتن). ويكون تسلسل أرقام الهوامش متتاليًا متسلسلًا في البحث كله. وتُثبت المصادر والمراجع في آخر البحث، ويراعى في ثبت المصادر والمراجع - وكذلك في الهامش السفلي للصفحات - أن يكتب اسم المصدر أو المرجع أولًا، فاسم المؤلف، يليه اسم المحقِّق أو المراجِع أو المترجِم في حال وجوده، ثم دار النشر.. إلخ.

- التحكيم سريّ، ومُعَدٌّ على أنموذجٍ يخضع للمعايير الأكاديمية، وقرار إجازة نشر البحث أو رفض نشره قرارٌ نهائيّ. وفي حال الإجازة مع التعديل يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة - في مدة محددة - إذا كان قرار هيئة التحكيم بإجازة نشر البحث مشروطًا بذلك. أما في حال الرفض فإن هيئة التحرير تحتفظ بحقها في عدم إبداء الأسباب، واستثناءً يجوز لهيئة التحرير أن تزوِّد الباحث بالملحوظات والمقترحات التي يمكن أن يفيد منها في إعادة النظر في بحثه.

- تلتزم الدورية بإخطار الباحث بنتيجة صلاحية بحثه للنشر، ولهيئة التحرير إجراء أي تعديلات شكلية تراها مناسبة لطبيعة الدورية.
- المواد المنشورة في الدورية لا تعبر بالضرورة عن مركز المخطوطات أو مكتبة الإسكندرية، ويعد كاتب البحث مسؤولًا عمَّا ورد في النص الذي قدَّمه للنشر.

المراسلات:

توجه جميع المراسلات عبر البريد الإلكتروني الخاص بهيئة التحرير:

manuscripts.center@bibalex.org أو layla.khoga@bibalex.org

الفهرس

تصدير

منذُ بدأَ العرب والمسلمون نهضتهم الحديثة منذ نحو قرنين من الزمان وهم يضعون تراثهم العلمي والديني نصب أعينهم، فاهتموا بإبراز ذلك التراث بنشر أهم مؤلفاته، وشرحه، والدفاع عنه أمام المنتقصين من قدره. وهو الهدف نفسه الذي يعمل عليه مركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية من خلال دورية «علوم المخطوط» التي أكتب مُصَدِّرًا عددها الثالث، الذي يتضمن عدة بحوث تراثية تكمل مسار العمل على الاهتمام بما أنتجه العربُ في عصر حضارتهم الذهبي، ووصلَنا في صورة مخطوطة. ولذلك تحرص المكتبة على الاهتمام بنشر أعداد الدورية في موعدها المقرر من كل عام.

ويعد مركز المخطوطات من أكثر المراكز البحثية بمكتبة الإسكندرية اهتمامًا بدراسة كل جوانب التراث العربي المخطوط، ويعمل باحثو المركز في خدمة ذلك التراث فهرسةً وتحقيقًا وترجمةً، بالإضافة إلى الفعاليات والأنشطة العلمية التي تنشر الوعي بالتراث العربي لكل المهتمين به في كل أنحاء العالم. ولا يخفى على أحدٍ أن المخطوطات هي الوعاء الذي حمل العلوم والمعارف التي كتبها المسلمون، ولهذا فإن دراسة المخطوطات تمثل دراسة الجزء الأكبر من التراث العربي الإسلامي.

وأخيرًا، أكرر أن المسار البحثي الذي تسير فيه مكتبة الإسكندرية، لهو شاهدٌ على المنهج العلمي الذي تتبعه؛ متخذةً من التقنيات الحديثة أداةً لتحقيق ذلك، ومُحافظةً في الوقت ذاته على التراث المخطوط الذي وصلَنا من الماضي.

أ. د. مصطفى الفقي
مدير مكتبة الإسكندرية
ورئيس مجلس إدارة الدورية

تقديم

لا شك أن جهود مكتبة الإسكندرية في حفظ التراث جلية واضحة، سواء كان هذا التراث تراثًا أثريًّا يحكي آلاف السنين من الحضارة المصرية المتعاقبة، أو تراثًا مخطوطًا يؤكد إسهام العرب الحضاري في الفكر الإنساني، أو تراثًا شفهيًّا يحفظ للعقل الجمعي العربي خصائصه المحلية.

وقد وضع مركز المخطوطات التابع لقطاع التواصل الثقافي نصبَ عينيه - من ضمن أهدافه - العمل على نشر الثقافة التراثية بأسلوب علمي أكاديمي، وهو ما يتجلَّى في: الدورات العلمية في الفهرسة والتحقيق، والندوات التراثية في كل مجالات التراث العربي، وأخيرًا دوريته العلمية المحكَّمة التي تصدر سنويًّا، بإشراف هيئة استشارية دولية، وبجهود هيئة تحريرية متخصصة.

وفي عددها الثالث تحافظ الدورية على سَمْتها العلمي، وعلى خصيصة التنوع في مجالات التراث، وكذلك في تنوع تخصصات أصحاب البحوث. ولا يخفى على القارئ اهتمام الدورية بالدراسات الكوديكولوجية، وبالترجمة المتخصصة من اللغات الأخرى إلى العربية.

د. محمد سليمان

رئيس قطاع التواصل الثقافي
والمشرف العام على الدورية

افتتاحية العدد

يخرج هذا العدد من دورية «علوم المخطوط» إلى النور في ظلِّ سياقٍ استثنائي، ولكننا نجحنا في أن نصدره في موعده؛ متسلِّحين بأهمية التزامنا بإصدار العدد في موعده. ويتسم هذا العدد بتنوعٍ كبيرٍ من ناحية المحتوى العلمي، ونوعية الباحثين. فمن حيث تخصصية أصحاب البحوث، فقد جمعت بين: التاريخ، واللغة، وفلسفة العلم، وعلوم المكتبات، واللاهوت. أما عن عناوين البحوث ومحتواها، فكانت على النحو الآتي:

- **صور من الإبداع في تراثنا العربي المخطوط، الأستاذ الدكتور عبد الستار الحلوجي.**

تعرض هذه الورقة لصورٍ متنوعة من الإبداع في التراث العربي، فقد كان للمسلمين الأوائل إبداعاتهم في خطوط المصاحف وفي زخارفها، إلى جانب إبداع علومٍ ما زالت تحمل أسماءها العربية كالجبر والكيمياء. ولم يقتصر الإبداع في تراثنا العربي على الأفكار وصياغتها، وإنما تجاوز ذلك إلى طريقة عرض تلك الأفكار، فحوِّلت بعض العلوم إلى منظومات شعرية، واستُخدم حساب الجمَّل في تأريخ النصوص، وفي تحديد أحجامها. كما تجلَّى الإبداع في طريقة إخراج الكتب، فكتبت بعض المخطوطات بطريقةٍ رُوعي فيها أن تُقرأ صفحاتها بعدة أوجه يمثل كلٌّ منها علمًا من العلوم التي قد تصل إلى خمسة أو ستة علوم.

- **تعاليم السيف وآدابه: قراءة في بعض مخطوطات الفروسية المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، الدكتورة شيرين القباني.**

تسعى هذه الورقة العلمية إلى إظهار أهم مراحل تعلُّم المملوك الضرب بالسيف والحذق في استعماله، من خلال قراءة بعض المخطوطات العسكرية التي كان يكتبها معلِّمو الفروسية في العصر المملوكي.

- **جهود المستشرقين الألمان في تحقيق مخطوطات علم الكلام: ماركس مولَّر أنموذجًا، الدكتور أحمد عطية.**

تعرض الدراسة لجهود مدرسة الاستشراق الألماني في تحقيق مخطوطات علم الكلام من خلال دراسة أحد أعلامها، وبيان منجزه التحقيقي لتراثنا العربي، وهو المستشرق «ماركس يوسف مولَّر» (ت ١٨٧٤م). وقد دارت الدراسة حول عدة قضايا ترتبط بهذا المستشرق ومدرسته التي ينتمي إليها، مثل: مصادر ترجمته، ونقد هذه المصادر من حيث منهجية التناول، وسلبيات الدرس المصدري في تعرُّضه لترجمة يوسف مولَّر كما ورد في موسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي على سبيل المثال.

- **كتاب «المجموع المبارك» للمكين جرجس بن العميد (٦٠٢ - بعد ٦٧٩هـ/ ١٢٠٥ - بعد ١٢٨٠م)، الأب الراهب ميصائيل البرَموسي.**

سلَّط الباحثُ في هذا البحث الضوءَ على كتابٍ تراثي مهم عن العلاقة بين المسلمين والبيزنطيين في العصر الوسيط. فقد أدرك مؤرخون مسلمون ومسيحيون، قدامى ومحدثون، أهميةَ تاريخ المكين، فتنبهوا له ونبهوا إليه واقتبسوا منه، وأصبح مصدرًا مهمًّا لهم مثل: ابن خلدون، والقلقشندي، والمقريزي؛ خاصةً في الأمور المتعلقة بفترة ما قبل الإسلام أو الأحداث المسيحية بالتحديد.

- **تراث الحافظ ابن سَنْجَر الجُرجاني نزيل مصر (ت ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م) وانتقال مصنفاته إلى إفريقية والأندلس، الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا.**

تعرض الورقة للحافظ ابن سَنْجَر الجُرجاني نزيل مصر (توفي ودفن بها سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م)، الذي كان من شيوخ الحديث الثقات الذين نُقل عنهم العلم في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وقد ارتحل إليه بقُطابة بصعيد مصر كثيرٌ من طلاب العلم. وقد ساهم ابن سَنْجَر في التكوين العلمي لتلاميذه المصريين، والوافدين عليه من إفريقية، والأندلس، ونيسابور، وسمرقند، وغيرها، فصار بعضهم من شيوخ الحديث ببلدانهم.



- **كتـاب الذخيـرة: رسالـة عربيـة مبكـرة في الطـب، الباحث: المستشرق ماكس مايرهوف، ترجمة: ميخالي جورج سولومونيدس، وأحمـد رفعـت.**

يمثل هذا البحث واحدًا من بين أبرز أعمال مايرهوف المكتوبة باللغة الإنجليزية، يقع البحث في ٢٢ صفحة تُمثل ٣١ بابًا يقابل ذات العدد من فصول الكتاب الأصلي. ويختم المستشرق مايرهوف بحثه بمسرد للمصطلحات الواردة بالكتاب الأصلي لثابت بن قرة. يبدأ البحث بمقدمة تاريخية مقتضبة عن فضل ثابت بن قرة وعصره ومنزلته والقيمة العلمية لكتابه موضوع البحث، ثم تليه محتويات الكتاب على هيئة أسماء الفصول مع شرح موجز لها عن الصحة العامة.

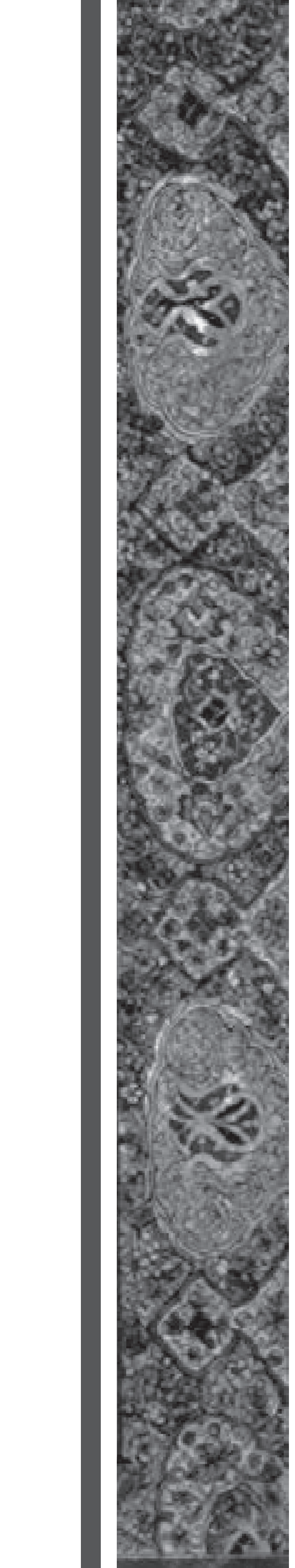
- **دراسة وصفية تحليلية لخطوط مصحف فاطمة حاضنة باديس (٤١٠هـ/ ١٠٢٠م): في ضوء الأوراق المحفوظة في متحف رَقّادة بتونس والمتاحف العالمية، شيماء علاء الفحام.**

هدفت الدراسة إلى الوصول إلى وصف مادي لمصحف الحاضنة، والتَّوسع خصوصًا في الخطوط المستخدَمة في كتابته؛ حيث استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لخطوط المصحف.

وبعدُ، فإن مركز المخطوطات حريصٌ كلَّ الحرص على أن يجعل من دوريته هذه منصةً علميةً للبحوث التراثية الرصينة التي يتجلَّى فيها إسهامُ العرب في بناء الحضارة علميًّا وفكريًّا.

د. مدحت عيسى

مدير مركز المخطوطات
ورئيس تحرير الدورية



دراسات التحقيق والفهرسة

صور من الإبداع في تراثنا العربي المخطوط

أ. د. عبد الستار الحلوجي(*)

ملخص البحث

الإبداع قوامه الموهبة الفطرية والعلم والخيال، وهو ضرورة من ضرورات الحياة وتقدم الأمم. وقد كان للمسلمين الأوائل إبداعاتهم في خطوط المصاحف وفي زخارفها، وتميز العرب عن غيرهم من الأمم بفنَّيْ الزخرفة الخطية والأرابسك، إلى جانب إبداع علوم ما زالت تحمل أسماءها العربية كالجبر والكيمياء.

ولم يقتصر الإبداع في تراثنا العربي على الأفكار وصياغتها، وإنما تجاوز ذلك إلى طريقة عرض تلك الأفكار، فحُوِّلت بعض العلوم إلى منظومات شعرية، مثل المنظومات الشعرية في النحو والقراءات القرآنية.

وكذلك تجلى الإبداع في طريقة إخراج الكتب، فكُتبت بعض المخطوطات بطريقة روعي فيها أن تُقرأ صفحاتها بعدة أوجه، بحيث يمثل كلٌّ منها عِلمًا من العلوم التي قد تصل إلى خمسة أو ستة.

(*) أستاذ علوم المكتبات، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

Patterns of Creativity in Arabic Manuscripts

Professor Abdel-Sattar Al-Halwagy(*)

Abstract

Creativity plays an important role in the development and progress of nations. It is an outcome of natural talent, knowledge, and imagination. Early Muslims displayed their creativity in the form of calligraphy in their Holy Book (i.e. the Qur'an) and ornamentation of Qur'anic manuscripts, and were characterized by calligraphic ornamentation and the arabesque style. They were also innovative in several other fields of knowledge; to this day, some sciences still carry Arabic names, such as "algebra" and "alchemy".

Creativity in our Arabic legacy was not confined to the content but extended to the means of formulating this content. Some scientific Arabic texts were converted to famous poems such as grammar and recitations of the Holy Qur'an.

An outstanding example of the creative ability of the Arabs is the amazing and extra ordinary style of writing some manuscripts in which the text can be read in different directions; each one which offering a subject quite different from the other.

(*) Professor of Library Sciences, Faculty of Arts, Cairo University.

لا خلاف على أن الإبداع ضرورة من ضرورات الحياة، وعلى أن تقدم الأمم إنما يقاس بما يضيفه المبدعون من أبنائها، وما يقدمونه لأممهم وللبشرية كلها من أفكار وإنجازات تغير واقعها إلى الأفضل وتدفع بها إلى الأمام. ولو أردنا تعريف «الإبداع» لقلنا في عبارة موجزة: إنه إيجاد شيء غير مسبوق، أو إنشاء شيء على غير مثال سابق.

فالله ﷻ أبدع الكون، أي أوجده من العدم، وقد وصف نفسه سبحانه بأنه ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] أي: مُوجِدها من العدم. وفي القرآن الكريم: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[2] أي: على غير سُنة مَن سبقني مِن الرسل. وفيه أيضًا: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾[3] أي: أحدثوها ولم يكن لها وجود من قبل.

والمبدعون من البشر هم الذين تجاوزوا الأوضاع القائمة، وارتادوا آفاقًا جديدة، وتفردوا بأفكار غير مألوفة لم يُسبقوا إليها؛ أفكار توصف في لغتنا المعاصرة بأنها «من خارج الصندوق». وهنا تحضرني عبارة لميخائيل نعيمة يقول فيها: إن الرجل المعقول هو الذي يوفق بين نفسه وبين العالم، والرجل غير المعقول هو الذي يحاول أن يوفق بين العالم وبين نفسه، ومن ثَمَّ كان التقدم كله في العالم مرهونًا بغير المعقولين[4].

والإبداع في جوهره إعمال للفكر وإطلاق للخيال، وهو لا ينشأ من فراغ، وإنما هو نتاج تزاوج عناصر ثلاثة؛ أولها: الموهبة الفطرية، وثانيها: المعرفة والعلم، وثالثها: الخيال. وقديمًا تخيَّل العرب واديًا تسكنه الجن أطلقوا عليه «وادي عَبْقَر»، ومنه اشتُقَّت كلمة «العبقرية»، فالشاعر المبدع في نظرهم هو الذي مسَّه طائف من جن هذا الوادي فأصبح عبقريًّا. والغريب أنه لا يبعد كثيرًا معنى كلمة «عبقري» Genius في اللغات الأجنبية عن هذا التصور؛ لأنها ترتبط بالإلهام وبالأرواح الخفية أو الجن Jinn.

---

(١) سورة البقرة، آية ١١٧؛ وسورة الأنعام، آية ١٠١.

(٢) سورة الأحقاف، آية ٩.

(٣) سورة الحديد، آية ٢٧.

(٤) في كتابه «كرم على درب».

ولقد اعتدنا أن نصف الشيء الجميل بأنه بديع، ودرج الباحثون على أن يطلقوا لفظ «الإبداع» على الأعمال المتميزة في الفنون والآداب بصفة خاصة؛ ربما لأن الفنان الذي يرسم لوحة فنية، والموسيقي الذي يؤلف مقطوعة موسيقية، والشاعر الذي يُنشِئ قصيدة، والأديب الذي يؤلف رواية أو مسرحية، كل هؤلاء لا يُنشِئون أعمالهم على مثال سابق، ولا يعيدون النظر في تلك الأعمال، ولا يُخضِعونها للتعديل أو الحذف أو الإضافة كما يفعل الباحثون الذين يعيدون النظر في بحوثهم عند إعادة إصدارها في طبعات أحدث توصف بأنها «مزيدة ومنقّحة». ولهذا لا تختلف النصوص الأدبية من طبعة إلى أخرى؛ فالطبعة العشرون من قصائد نزار قباني – مثلًا – أو أي رواية لنجيب محفوظ هي نفسها الطبعة الأولى، ولا خلاف بين طبعة وأخرى إلا في الملامح المادية الخاصة بالإخراج، والمتمثلة في تاريخ النشر واسم الناشر ومكان النشر وعدد الصفحات.

ومع أن بعض الأعمال الأدبية تستلهم أعمالًا سابقة، تحاكيها أو تعارضها، فإن المحاكاة في الأدب لا تخلو من الإبداع وإن تفاوتت درجاته. فقصيدة «نهج البردة» التي نسجها شوقي على مثال قصيدة البوصيري «الكواكب الدُّريَّة في مدح خير البريَّة»، لا تقل إبداعًا عن الأصل الذي أنشأه البوصيري.

وقد أبدع المسلمون الأوائل في خطوط المصاحف وفي زخارفها، وتميز الخط العربي من بين خطوط جميع الأمم بأنه اكتسب قيمًا جمالية، فكُتبت به آيات وحكم وأشعار في شكل لوحات فنية تزيَّنت بها المساجد والبيوت. وتفرد الفنانون المسلمون بنوعين من الفنون لا نظير لهما عند الأمم الأخرى، وهما: فن الزخرفة الخطية، وفن الأرابسك (نسبة إلى العرب)، وهو نوع من الزخارف قوامه استخدام الأشكال الهندسية من مثلثات ودوائر ومربعات في تشكيلات بديعة.

وفي العلوم التطبيقية شاع استخدام مصطلحات «اكتشاف» و«ابتكار» أو «اختراع» بديلًا عن كلمة «إبداع». والاكتشاف يعني أن شيئًا كان موجودًا ولكنه كان خافيًا ولم يكن معلومًا من قبل، فأول من يعرِّف به يسمى مكتشِفًا، كاكتشاف الرازي مرضَيْ الجدري والحصبة، واكتشاف ابن النفيس الدورة الدموية، واكتشاف الحسن بن الهيثم أن الأجسام هي التي ترسل أشعتها إلى العين فتبصرها، وليس العكس كما كان يتصور القدماء.



أما الابتكار أو الاختراع فهو إيجاد شيء لم يكن له وجود من قبل، كاختراع علماء المسلمين الأوائل الآلات الفلكية والساعات الشمسية التي تعين على تحديد أوقات النهار، وابتكار الخوارزمي علمَيْ الحساب والجبر. وفي ذلك تقول سيجريد هونكه:

«فتحويل العرب الرياضة إلى جبر وحساب اقتبسته أوروبا واستعملته وما زالت تستعمله حتى يومنا هذا. والعرب أيضًا هم الذين أوجدوا الحساب بالكسور العشرية... وهم الذين اخترعوا حساب المثلثات المسطح والكروي... وعن الفلكيين العرب أخذت أوروبا الحساب المعروف باسم الطريقة الستينية، وهي النظام القائم على اتخاذ الوحدة ستين قسمًا، وتقسيم الدائرة إلى ستين قسمًا... والعرب أيضًا هم الذين سبقوا أوروبا بنحو سبعمائة عام قبل إنجلترا وألمانيا إلى إيجاد الحساب الخلافي، وصاحب الفضل في إيجاده الطبيب الفيلسوف ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٨م) واللاهوتي الغزالي (١٠٥٣-١١١١م)»[٥].

ويلاحظ أن مجال الإبداع في الآداب والفنون والعلوم التطبيقية مفتوح بلا حدود، أما في الديانات واللغات والعلوم الاجتماعية فمحدود، ولهذا لا تحدث فيها طفرات أو قفزات واسعة كتلك التي تحدث في العلوم التطبيقية. وللإبداع في تلك العلوم صور متعددة منها الفهم الجديد لنص قديم. ولمفسِّري القرآن الكريم ودارسيه عبر العصور إبداعات كثيرة نذكر منها مثالَيْن من العصر الحديث؛ أولهما الدكتور محمد عبد الله دراز الذي أنكر القول بوجود أي حرف أو كلمة زائدة في القرآن كله، وضرب لذلك مثالًا بحرف الكاف في قول الحق سبحانه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[٦]، فردَّ ما ذهب إليه النحاة من أن الكاف زائدة استنادًا إلى أن معناها (مثل)، والأصل أن يقال: ليس مثله شيء، لأنها لو لم تكن زائدة لكان معنى الآية (ليس مثل مثله شيء)، وفي هذا إثبات المثلية لله ﷻ، وهو ما يتنافى مع عقيدة التوحيد.

ذهب الشيخ - رحمه الله - إلى أن الكاف ليست زائدة، وأنها تؤدي وظيفة بيانية وعَقَدية لا تُفاد بدونها. فلو أسقطنا الكاف من الآية لأصبحت (ليس مثله شيء)، والآية بهذا الشكل تنفي المماثلة لله سبحانه، ولكنها لا تنفي أن يكون هناك رتبة في المثلية أقل للملائكة والأنبياء.

(٥) **شمس الله تشرق على الغرب**: ١٣١-١٣٣.

(٦) سورة الشورى، آية ١١.

ووجود الكاف هو الذي ينفي هذه المثلية لأنها تعني أنه (ليس كمثل الله شيء) أو: ليس هناك شيء يشبه أن يكون مثلًا له، أي إن مثل الله ﷻ في صفاته لا يكون له شبَه. فتعبير (ليس كمثل الله شيء) معناه أن مثل الله ليس له شبيه، وهو أدق وأبلغ من أن يقال (ليس مثل الله شيء) أو (ليس له شبيه). فالكاف هنا إقصاء للعالم كله عن المماثلة وعما يشبهها أو يدنو منها[٧].

أما المثال الآخر فهو تفسير آية الصوم التي ترخص للمسافر بالإفطار وإن لم تمنعه من الصيام في السفر. فمن شاء أخذ بالرخصة فأفطر، ومن شاء أخذ بالعزيمة فصام استنادًا إلى قول النبي ﷺ: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه». وما دام كلا الأمرين جائز فأيهما الأصل وأيهما الاستثناء؟

يرى الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - أن الأصل هو الإفطار في السفر بدليل قوله سبحانه في ختام الآية: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾[٨]، وهي عبارة تشير إلى أن الصائم أفطر في سفره ولم يكمل صيام الشهر، وأن عليه أن يعوِّض الأيام التي أفطرها ليكمل العدة. ويضيف - وهذا هو الجديد - أن الناس درجوا على أن يقارنوا بين السفر ووسائله الحالية، والسفر ووسائله في العصور القديمة، فلا يرون في السفر الحالي مشقة تضطرهم إلى الإفطار، والأَوْلى بهم أن يقارنوا السفر بالإقامة فيما مضى، والسفر بالإقامة في أيامنا هذه. فالسفر الحالي رغم أن وسائله أصبحت مريحة إذا قيست بوسائل القدماء في أسفارهم، فإنه يظل شاقًّا إذا قورن بالإقامة في عصرنا بكل ما فيها من وسائل الراحة والرفاهية.

ومن صور الإبداع في هذه العلوم أيضًا أن يدرس الباحث ظاهرة أو موضوعًا من الموضوعات، ويغوص في أعماق ما يتاح له من معلومات، ويخرج من دراسته وتأملاته باستنتاجات لم يُسبق إليها، ورؤى جديدة يعرضها بأسلوب شيق غير مألوف. وهذا ما فعله جمال حمدان في كتابه «شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان»، وما فعله كمال عرفات نبهان في كتابه «عبقرية التأليف العربي».

---

(٧) **النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن**: ١٦٧-١٦٨.

(٨) سورة البقرة، آية ١٨٥.



ولا يقتصر مجال الإبداع في العلوم الإنسانية والاجتماعية على الأفكار وصياغتها فحسب، وإنما قد يتجاوز ذلك إلى طريقة عرض تلك الأفكار. ومن الأمثلة على ذلك ما فعله أبو العلاء المعري في «اللزوميات»؛ حيث ألزم نفسه فيها بما لا يلزم الشعراء، فلم يكتفِ بروي واحد في قصائده وإنما أضاف رويًّا آخر ألزم به نفسه. وذلك لا يدل على مهارته الشعرية فحسب، وإنما يدل على سعة علمه باللغة.

ومنها أيضًا تحويل النص النثري إلى شعر يسهل حفظه وتداوله. فكتاب «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) نظمه ابن الحنبلي (ت ٧٨٥هـ) فيما أسماه «الكفاية في نظم النهاية»، وكتاب «النقاية» ألفه السيوطي (ت ٩١١هـ) وشرحه في كتاب أطلق عليه «إتمام الدراية لقراء النقاية»، وقد حوَّل السنباطي المصري الشافعي (ت ٩٩٠هـ) هذا الشرح إلى منظومة في ١٥٠٠ بيت أسماها «روضة الفهوم بنظم نقاية العلوم»، وأضاف إلى العلوم الأربعة عشر التي ذكرها السيوطي أربعة علوم هي الحساب والعروض والقوافي والمنطق.

وكثير من المقررات الدراسية في الأزهر الشريف تحول إلى منظومات يتداولها الطلاب في سهولة ويسر. وفي تراثنا العربي علوم صيغت قواعدها شعرًا في قصائد تجاوز بعضها الألف بيت مثل: ألفية ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) التي جمع فيها مؤلفها قواعد النحو العربي، وقد حظيت بشروح كثيرة[٩]. وألفية العراقي (ت ٨٠٦هـ) التي عرض فيها صاحبها الأصول النظرية لعلم مصطلح الحديث.

وفي علم القراءات، نظم الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) قواعده في لاميته التي أطلق عليها «حرز الأماني ووجه التهاني»، وبلغت ١١٧٣ بيتًا ضمنها ما في كتاب «التيسير» لأبي عمرو الداني، واقتصر فيها على سبعة قراء، وذكر لكل قارئ راويين. وجاء بعده شمس الدين بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، فألف كتابه «النشر في القراءات العشر»، ثم ألف منظومة تجاوزت ألف بيت أكمل بها الشاطبية وزاد عليها ثلاث قراءات، وأطلق عليها «طيبة النشر في القراءات العشر»[١٠]، وفيها ذكر عشرة

(٩) انظر: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج. ١: ١٥١-١٥٥.

(١٠) فرغ منها سنة ٧٩٩هـ.

قراء، وذكر لكل واحد منهم راويين، وقد بدأها بما يسمى بالأصول، وهي المسائل التي يكثر دورانها كالإدغام والمدّ وهاء السكت والوقف على الهمزة وإثبات الهمزة وإسقاطها وترقيق الراءات واللامات وتغليظها، ثم تناول ما أطلق عليه «فَرْش الحروف»، ويقصد بها الكلمات، فذكر في كل سورة الكلمات المفردة التي اختلف فيها القراء، وفي الأصول والفرش رمز للقراء والرواة بحروف هجائية حسب ترتيبها الأبجدي، فرمز للقارئ الأول بالحرف (أ) ولراوييه بالحرفين (ب، ج)، ورمز للقارئ الثاني بالحرف (د) ولراوييه بالحرفين (هـ، و) وهكذا. وحينما يتفق قارئان في شيء يستخدم لهما رمزًا معينًا. وهذه الرموز جمعها وعرَّف بها محقق الكتاب[١١].

وإلى جانب هذه المنظومات الشهيرة، هناك منظومات أخرى كثيرة أقل شهرة، منها «منظومة العطار» (ت ١٢٥هـ) في النحو، وقد حظيت بشروح كثيرة، ومنظومة حسن قويدر الخليلي (ت ١٢٥٨هـ) «نيل الأرب في مثلثات العرب»، وهي أرجوزة جمع فيها ما يثلث من الألفاظ العربية بالحركات ليسهل حفظه.

وعلم العروض الذي ابتدعه الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) صيغت قواعده في منظومتين؛ أولاهما منظومة ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) المسماة «المقصد الجليل في علم الخليل»، والثانية «القصيدة الرامزة» للخزرجي (ت ٦٢٦هـ). ومن بعدهما أَلَّف صدر الدين محمد الساوي (ت ٧٤٩هـ) «القصيدة الحسناء» المعروفة بالقصيدة الساوية، وتقع في نحو ثلاثمائة بيت فصَّل فيها ما أجمله ابن الحاجب في قصيدته، واستدرك فيها على سابقيه، وبدأها بذكر المبادئ الحاكمة لعلم العروض حتى يسهل فهمه واستيعاب دقائقه وتفصيلاته، فتناول الكتابة العروضية وبيَّن الفرق بين الهجاء العروضي والهجاء الإملائي، وذكر المصطلحات العروضية كالزحاف والعلة والسلامة والسبب والوتد، ثم عالج البحور الخليلية حسب الدوائر، فالدائرة الأولى تضم ثلاثة أبحر هي الطويل والمديد والبسيط، والدائرة الثانية تضم بحرين هما الوافر والكامل، والدائرة الثالثة تضم ثلاثة أبحر، والرابعة تضم الأبحر الستة الباقية. وبعد ذلك انتقل إلى الحديث عن القوافي؛ حروفها وحركاتها وعيوبها.

---

(١١) طيبة النشر في القراءات العشر: ٢١٢-٢١٣.



وإلى جانب تحويل النص النثري إلى نص شعري عرفت التآليف العربية القديمة صورًا أخرى للإبداع، عرض لها الدكتور كمال عرفات نبهان في كتابه «عبقرية التأليف العربي»، منها تهذيب النص وجدولته، ومحاكاته أو نمذجته، والبناء عليه والتوليد منه[١٢].

ومن صور الإبداع أن يوظف المؤلف مصطلحات العلم الذي يكتب فيه في التقديم لكتابه. وتلك ظاهرة نجد لها نماذج في أكثر من علم من العلوم. ففي علم الحساب – مثلًا – يبدأ يحي ابن محمد الحطاب (ت ٩٩٥هـ) مختصره لـ «نزهة النظار في علم الغبار» (وهو الحساب) لابن الهائم (ت ٨١٥هـ) بقوله:

«الحمد لله **الواحد** الأحد، الفرد الصمد، منشئ الأمم من نفس **واحدة**، والجاعل منها الزوج والولد، و**مقسمهم** بعد **الجمع**، و**ضَرب** الصراط عدلًا منه، **فمطروح** في الجحيم ومدفوع في الجنان مخلَّد. والصلاة والسلام على سيدنا محمد الشفيع يوم **الحساب**، وعلى آله وأصحابه خير آل وأصحاب»[١٣].

ويستهل أحمد بن قاسم الغزي الشافعي (المتوفى حوالي ١٥٧٥م) مقدمة شرحه لـ «نزهة النظار» بقوله:

«الحمد لله البارئ النسم، العادل فيما **قسم**، العالم **بجذر** الأهم، **الواحد الأحد**، المتفرد بالقدم...»[١٤].

كما يستهل بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي (ت ١٠٣١هـ) مقدمة كتابه «خلاصة الحساب» بقوله:

«نحمدك يا مَن لا يحيط بجميع نعمه **عدد**، ولا ينتهي **تضاعف قسمه** إلى أمد، ونصلي على سيدنا محمد النبي المجتبى وعترته، لا سيما **الأربعة المتناسبة**...»[١٥].

---

(١٢) **عبقرية التأليف العربي**، كمال عرفات نبهان.

(١٣) مختصر النزهة في علم الحساب، رقم ٥-٧١٧ بمجموعة المنصوري، مكتبة الكونجرس.

(١٤) شرح نزهة النظار في الحساب لابن الهائم، رقم ٥-٧١٥ (H-١١٤٧) بمجموعة المنصوري.

(١٥) رقم ٥-٧١٩ (H-١١٥٠) بمجموعة المنصوري.



ويبدأ رمضان بن أبي هريرة الجزري القادري (المتوفى بعد ١٠٩٢هـ) شرحه لكتاب «الخلاصة في الحساب للعاملي» الذي أطلق عليه «حل الخلاصة لأهل الرياسة» بقوله:

«أحمدك يا من **أعداد** نعمه لا تحصى، وأشكرك يا من **آحاد قسمه** لا تُستقصى، حمدًا **تتضاعف** به **ضروب** آلائك، وشكرًا تتزايد به صنوف نعمائك...»(١٦).

ففي هذه المقدمات استُخدمت مصطلحات: الحساب والجمع والطرح والضرب والقسمة، والعدد والواحد والجذر والمضاعفة؛ لتهيئ القارئ لموضوع الكتاب.

وعلى غرار المؤلفات في علم الحساب، نجد بعض أصحاب المؤلفات في علم الجبر والمقابلة يحرصون على استخدام مصطلحات العلم في مقدماتهم. فمنظومة ابن الهائم في علم الجبر والمقابلة، شرحها زكريا الأنصاري شرحًا أطلق عليه «فتح المبدع في شرح المقنع»، وبدأه بقوله:

«الحمد لله الذي **جبر** قلوب العلماء بإمداد **جذره** المتين، وفتح لهم باب استخراج **المجهول** من المعلوم...»(١٧).

وأرجوزة ابن الياسمين (ت ٦٠١هـ) المسماة «الياسمينية في الجبر والمقابلة» شرحها محمد بن سبط المارديني (ت ٩٠٧هـ) شرحًا أسماه «اللمعة المارد‌ينية في شرح الياسمينية». وهذا الشرح عملت عليه حواشٍ منها حاشية الحفني، شمس الدين محمد بن سالم بن أحمد (ت ١١٨١هـ) التي عُنوِنت بعض نُسَخها بـ«فرايد عوائد جبرية على شرح السبط للياسمينية»، التي يستفتحها المؤلف بقوله:

«نحمدك يا من بعفوك نظفر **بالجبر** يوم **الحساب**، ونحشر **بالمقابلة** برضاك في زمرة الأحباب، ونصلي ونسلم على أفضل **قاسم** لما أعطيته، وأكمل **جامع** لما من فرايد الفضل أوليته، وعلى آله **الضاربين** ببواتر الصدق أعناق الأوهام، وصحبه أئمة الهدى ونجوم الإسلام»(١٨).

وفي علم الموازين ألف حسن بن إبراهيم الجبرتي (ت ١١٨٨هـ) كتابه «العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين»، واستهلّه بقوله:

(١٦) رقم ٥-٧٢٠ (H-١١٥١) بمجموعة المنصوري، وهي بخط المؤلف سنة ١٠٧٦هـ.

(١٧) رقم ٥-٧٣٨ (H-١١٦٥) بمجموعة المنصوري.

(١٨) رقم ٥-٧٣١ (H-١١٥٧)، ٥-٧٣٨ (H-١١٦٥) بمجموعة المنصوري.



«حمدًا لمن رفع السماء ﴿ وَوَضَعَ **ٱلۡمِيزَانَ** أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي **ٱلۡمِيزَانِ** ﴾[١٩]، وأنزل في **محكم** القرآن ﴿ وَأَقِيمُواْ **ٱلۡوَزۡنَ** بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ **ٱلۡمِيزَانَ** ﴾[٢٠]، وصلاةً وسلامًا على سيدنا محمد النبي الكريم المنزَّل عليه ﴿ **وَزِنُواْ** بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴾[٢١]، وعلى آله وأصحابه **موازين** الحق وقوانين الصدق ما تعاقبت الأيام والليالي إلى يوم **تُوزَن** الأعمال...»[٢٢].

وفي هذه الافتتاحية استخدم الجبرتي: الوزن والموازين وفعل الأمر (زنوا) والفعل المضارع المبني للمجهول (تُوزَن)، واستحضر الآيات القرآنية التي وردت فيها تلك الألفاظ.

ولم يكن علم النحو بعيدًا عن مثل هذه الاستخدامات، ففي شرحه لـ «المصباح في النحو» نجد مصطفى بن شعبان المعروف بـسروري شعبان (ت ٩٦٩هـ) يستهل مقدمته بقوله:

«الحمد لله الذي جعل **الفاعلين** بأمره **مرفوعات** الدرجات، وصيَّر العاملين بقوله **منصوبات** الرايات، والصلاة على نبيّه ذي **الأفعال المجرورات** إلى الخيرات، وعلى آله وأصحابه **المعربين** مباني الحسنات...»[٢٣].

فهنا استخدم المؤلف: الفاعلين والأفعال، والمرفوعات والمنصوبات والمجرورات والإعراب؛ لينقل قارئه إلى جوّ الكتاب.

---

(١٩) سورة الرحمن، آيتا ٧، ٨.

(٢٠) سورة الرحمن، آية ٩.

(٢١) سورة الإسراء، آية ٣٥؛ وسورة الشعراء، آية ١٨٢.

(٢٢) رقم ٥-٦١٢ (H-١١١٨) بمجموعة المنصوري.

(٢٣) شرح المصباح في النحو. نسخة محفوظة بمكتبة الأوقاف بالقاهرة رقم ٥٢١، ورقمها في المسجد الأحمدي ٨٤٣.

ومن صور الإبداع أيضًا التأريخ بحساب الجُمَّل[٢٤]، ففي دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من «شرح الإرشاد في النحو» للتفتازاني[٢٥] كُتبت «في يوم الدال من قبل الها، يوم الطا والياء من شهر الألف والياء، من سنة الجيم والصاد بعد الغين».

فإذا عرفنا أن الدال في حساب الجمل = ٤، والطاء = ٩، والياء = ١٠، والألف = ١، والجيم = ٣، والصاد = ٩٠، والغين = ١٠٠٠، وإذا حوّلنا الجملة المذكورة إلى ما يقابل حروفها من الأرقام في حساب الجمل تبين لنا أن هذه النسخة كتبت يوم الأربعاء التاسع عشر من ذي القعدة سنة ١٠٩٣هـ، وإلى هنا يبدو الأمر عاديًّا ليس فيه إبداع، لأنه مجرد اتباع طريقة في التأريخ قد تكون غير مألوفة، ولا تثريب على المؤلف أو الناسخ إذا التزم بها، ولكن المهارة تتجلى عندما يختم المؤلف كتابه بألفاظ أو عبارات يميزها بلون مخالف، لو ترجمت إلى حساب الجمل فإنها تحدد تاريخه. وتكون المسألة أصعب عندما يكون النص شعرًا أو رجزًا، وعندما لا يكتفي المؤلف بذكر التاريخ بهذه الطريقة، وإنما يضيف إلى ذلك تحديد عدد الأبيات بكلمة يخطّها بلون مخالف. ومثال ذلك نسخة من منظومة «قبس الضوء في الحساب» للحميدي[٢٦] كتبها المؤلف بخطه وختمها بقوله:

أبيات **دُرّ** فمن أجل اسمه   ذا المنتقى أرَّخته **بنظمه**

(٢٤) مقابلات الحروف الهجائية في حساب الجُمَّل:

أ = ١	ي = ١٠	ق = ١٠٠
ب = ٢	ك = ٢٠	ر = ٢٠٠
جـ = ٣	ل = ٣٠	ش = ٣٠٠
د = ٤	م = ٤٠	ت = ٤٠٠
هـ = ٥	ن = ٥٠	ث = ٥٠٠
و = ٦	س = ٦٠	خ = ٦٠٠
ز = ٧	ع = ٧٠	ذ = ٧٠٠
ح = ٨	ف = ٨٠	ض = ٨٠٠
ط = ٩	ص = ٩٠	ظ = ٩٠٠
		غ = ١٠٠٠

(٢٥) مخطوطة رقم ٦٥ نحو، بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

(٢٦) رقم ٥-٧١ بمجموعة المنصوري.



وكتب كلمتي (در) و(بنظمه) بالمداد الأحمر تمييزًا لهما. والكلمة الأولى في حساب الجمل = ٤ +٢٠٠ = ٢٠٤، أي إن المقطوعة تقع في ٢٠٤ أبيات. أما تاريخها الذي تدل عليه كلمة (بنظمه) فإن الباء = ٢، والنون = ٥٠، والظاء = ٩٠٠، والميم = ٤٠، والهاء = ٥، أي إن تاريخها هو سنة **٩٩٧هـ**.

ولأحمد بن قاسم المصري (ت ١٢٩٨هـ) منظومة في الميقات عنوانها «وسيلة المبتدئين لعلم غرة الشهور والسنين»[٢٧]، ختمها ببيت وردت فيه بالمداد الأحمر كلمة (عدد) في الشطر الأول لتحدد عدد أبياتها، وعبارة (غرس زها) في الشطر الثاني لتحدد تاريخها. يقول:

أبياتها **مدد** من الله الغني وعامها **غرس زها** فسَّرني

فالميم = ٤٠، والدال = ٤، أي إن عدد أبياتها = ٤٠ + ٤ + ٤ = ٤٨ بيتًا، وتاريخها: غ = ١٠٠٠، ر = ٢٠٠، س = ٦٠، ز = ٧، هـ= ٥، أ = ١، وبجمع هذه الأعداد يكون تاريخ المقطوعة سنة **١٢٧٣هـ**.

ولم تقتصر مظاهر الإبداع في تراثنا العربي على المادة العلمية وكيفية صياغتها وتأريخها، وإنما تجاوزت ذلك إلى طريقة إخراجها. ومن أروع الأمثلة على ذلك كتاب «عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي»[٢٨] الذي وضعه ابن المُقري، شرف الدين إسماعيل ابن أبي بكر بن عبد الله الشرجي اليمني[٢٩] (ت ٨٣٧هـ) للسلطان الأشرف صاحب اليمن، إلا أن وفاة السلطان قبل تمام الكتاب جعلته يقدمه لولده الناصر. وقد كتبه بطريقة متفردة؛ حيث قسمت الصفحة إلى سبعة حقول على النحو التالي:

---

(٢٧) رقم ٥-٧٦٨ بمجموعة المنصوري.

(٢٨) الكتاب توجد منه نسخة خطية بمكتبة الأزهر بالقاهرة مؤرخة سنة ١٠٥٩هـ في ٥٧ ورقة، رقمها العام ٢٧٥٦٥، ورقمها الخاص ١٥٢٢ معارف. ونسخة بالمكتبة المركزية للمخطوطات، التابعة لوزارة الأوقاف والملحقة بمسجد السيدة زينب رضي الله عنها بالقاهرة، رقمها العام ٥٦٤، وكانت من مقتنيات مكتبة المسجد الأحمدي بطنطا، برقم ١٢٦٤، تقع في ٦٣ ورقة، وتاريخ نسخها ١٢٦٥هـ. وقد كتب عنه أحمد صابر مقالًا بعنوان «من نوادر المخطوطات العربية: نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر الشريف» نشر في **مجلة الأزهر**، عدد رجب ١٤٣٩هـ/ مارس ٢٠١٨م: ١٣٠٩-١٣١٥.

(٢٩) ذكر السيوطي له خمسة أبيات إن قرئت طردًا كانت مدحًا، وإن قرئت عكسًا كانت ذمًّا، وقال: إنه «تبجح بها لعدم سبقه إليها، فنظم ستة وأربعين بيتًا كذلك»، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ج. ١: ٤٤٤-٤٤٥.

عروض		تاريخ		نحو		قافية
أ	الحمد لله ولي	الحمد	ومستحقه الذي لا يقوم	بحمد	أحد من خلقه وأشهد أن لا	ا
م	معبود للخلق إلا ا	لله	ولا إله لهم سواه وصلى	الله	على سيد البشر رسول	ل
رب	ربنا ما رفع منار	حق	فلمع وأضاء نور علم وسطع	أ	علم أن العلم مصباح	ح
ت	تستضيء به الأمة قد	حمده	الله وأثنى عليه وأشرف ما أ	ستفتح	من العلوم علم	م
ا	الفقه فمن صام	وصلى	فضرورته إليه ومن عمل ونكح	و	طلّق فهو كل عليه فلا بد	د
ل	للعباد مما حفظ	الله	به عليهم أركان الإسلام كالحج و	الصلاة	والصيام وهو منقول ومعقول	ل
ي	يعسر تحصيله	على	الأنام إلا بعلماء أعلام يدلونهم	على	الحلال والحرام وكل	ل
ف	فضل يروى عن سنة	محمد	نبيه المختار من البرية و	رسوله	المبعوث بأقرب سجية	هـ



هذا	هذا نعته وصفته	وآله	أهل الله وخاصته بهم تحفظ شريعة	محمد	وسنته اللَّهُمَّ اجعلنا	ا
ال	إليك هادين لا ضالين	و	لا مضلين وأدخلنا في رحمتك أجمعين	وبعد	فهذا كتاب جليل	ل
كت	كتبته لم أسبق	بعد	إليه ألفته مختصرًا في الفقه	فإ	ن أعان الله وتم حينئذ	ذ
أ	أمره على هذا	فهذه	نعمة من الله لا يوفى شكرها	قول	ولا عمل رصعته بمعاني	ي
ب	بديعة بليغة منها	نبذة	من تاريخ الدولة الرسولية وشيء من	الكلام	في معاني العربية بديع	ع
و	وأحرف معدودة إذا	جمعتها	من أوائل سطوره انتظمت عروضًا فهذه	ثلاثة أشياء	وعلم رابع يحصل	ل
جمعه	من آخر كل سطر	وطرفه	في علم القوافي فاتفقت هذه	وهي	خمسة علوم	م
م	مَن تأملها عجب	اخترعتها	لا على منوال ورسمت لها مر	اسم	على غير مثال فجاء مفقهًا	ا
و	وجاء مؤدبًا وجاء	مؤرخًا	(كتاب الطهارة) الماء طهور وطاهر	و	نجس فاسم الطهور حاصل	ل

فإذا قرأت النص أفقيًّا من اليمين إلى اليسار باستثناء الحقلين الأول والأخير كان كتابًا في الفقه «الحمد لله ولي الحمد ومستحقه، الذي لا يقوم بحمد أحد من خلقه، وأشهد أن لا معبود للخلق إلا الله...». وإذا قرأت حروف الحقل الأول رأسيًّا كان كتابًا في العروض «أمر بتأليف هذا الكتاب وجمعه مولانا السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن العباس...». وإذا قرأت حروف الحقل الأخير رأسيًّا كان كتابًا في القوافي «الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وهدانا للتي هي أقوم من سنة محمد ...». وإذا قرأت الحقل الثالث وحده رأسيًّا كان كتابًا في تاريخ الدولة الرسولية باليمن «الحمد لله حق حمده وصلى الله على محمد وآله وبعد، فهذه نبذة جمعتها وطرفة اخترعتها مؤرخًا دولة أئمة الزمن وعطاء ملوك الشام واليمن...». وإذا قرأت الحقل الخامس وحده رأسيًّا كان كتابًا في النحو «بحمد الله أستفتح، والصلاة على رسوله محمد ﷺ وبعد، فأقول: الكلام ثلاثة أشياء وهي اسم وفعل وحرف...». يضاف إلى ذلك ما نلاحظ من أن حروف الحقل الأول هي نفسها التي يبدأ بها الحقل الثاني، وأن حروف الحقل الأخير هي نفسها آخر حروف الحقل السابق عليه مباشرة. وهذه كلها مظاهر للمهارة والإبداع.

وهذا الكتاب حاكاه مؤلفون أتوا بعده، منهم بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن كميل الدمياطي الشافعي (ت ٨٧٨هـ) الذي عمل كتابًا على نمط «عنوان الشرف» بزيادة علمين[٣٠]، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) الذي يذكر أنه عمل كتابًا على هذا النمط في كراسة في يوم واحد وهو بمكة المشرفة وسماه «النفحة المسكية والتحفة المكية»، وأنه جعل «مجموعه في النحو، وفيه عروض ومعانٍ وبديع وتاريخ»[٣١]، وأحمد بن عبد الله السلمي الأصابي اليمني الذي ألف في سنة ١١١٨هـ كتابًا أسماه «الإعلان بنعم الله الوهاب الكريم المنان» ضمنه ستة علوم هي الفقه، والعروض، والنحو، والتصريف، والمنطق، والتجويد[٣٢].

(٣٠) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ١١٧٦.

(٣١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج. ١: ٤٤٤.

(٣٢) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: ١٠٤-١٠٥.

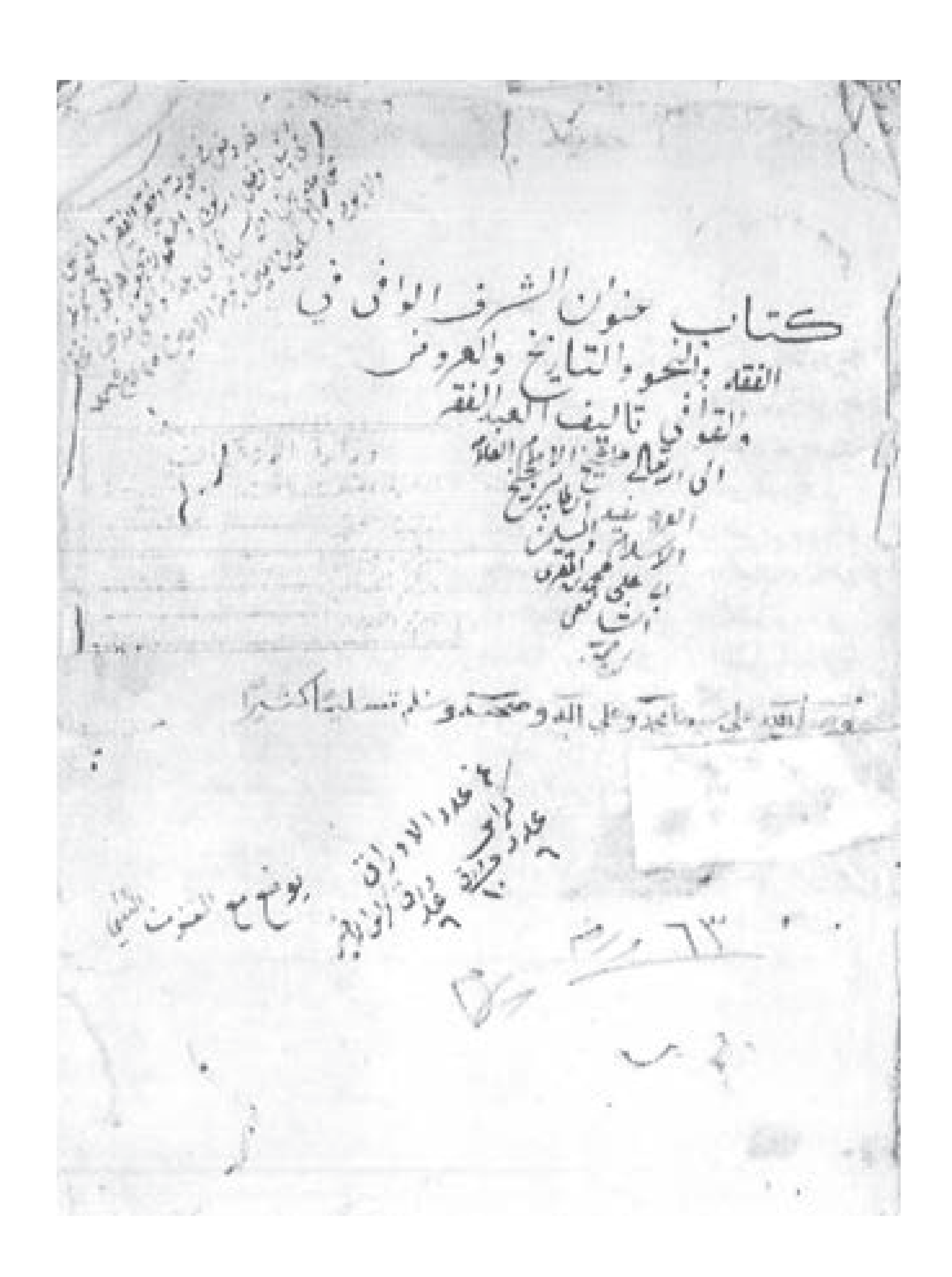


وهكذا نرى أن صور الإبداع في تراثنا المخطوط لم تقتصر على المحتوى أو المضمون الفكري، وإنما تجاوزته إلى الشكل الذي يُعرض به هذا المحتوى، وهذا الشكل اتخذ صورًا وأشكالًا يصعب - وقد يتعذر - تنفيذها في الطباعة رغم ما أحرزته من تقدم في تقنياتها. والدليل على ذلك أن كتاب «عنوان الشرف الوافي» الذي سبق الحديث عنه صدر في الكويت مصورًا عن النسخة المخطوطة.

المصادر والمراجع

- **الأعلام**، خير الدين الزركلي، ط. ١٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٨م.
- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، إسماعيل البغدادي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.
- **شمس الله تشرق على الغرب**، سيجريد هونكه، ترجمة فؤاد حسنين علي، القاهرة: دار العلم العربي، ٢٠٠٨م.
- **طيبة النشر في القراءات العشر**، شمس الدين بن الجزري، تحقيق وضبط وتعليق أيمن رشدي، ط. ٢، دمشق: دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ٢٠١٣م.
- **عبقرية التأليف العربي**، كمال عرفات نبهان، تقديم مصطفى الشكعة، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٥م.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، حاجي خليفة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- **مجلة الأزهر**، رجب ١٤٣٩هـ/ مارس ٢٠١٨م.
- **النبأ العظيم**: **نظرات جديدة في القرآن**، محمد عبد الله دراز، تقديم عبد العظيم المطعني، تحقيق أحمد مصطفى فضلية، ط. ١، القاهرة: دار القلم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.

ملحق الصور



كتاب عنوان الشرف الوافي في
الفقه والنحو والتاريخ والعروض
والقوافي تأليف العبد الفقير
إلى الله تعالى



دراسات التحقيق والفهرسة

تعاليم السيف وآدابه
قراءة في بعض مخطوطات الفروسية المملوكية
(٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)

د. شيرين القباني(*)

ملخص البحث

كان تعليم المملوك داخل الطباق بالقلعة ينقسم لشقَّيْن: الشق التعليمي، حيث يتلقى المملوك التعليم الديني والكتابة، والشق العسكري، ويتلقى فيه تعليمه الحربي؛ من ركوب الخيل، والضرب بالسيف، والرمح، والبلطة، وغيرها من الأسلحة الأساسية. واعتبر السيف من أهم الأسلحة التي وجب على المملوك تعلُّمها والحذق فيها، حتى قيل إن السيف بين الأسلحة بمثابة الأسد بين الحيوانات. وتسعى هذه الورقة العلمية إلى إظهار أهم مراحل تعلُّم المملوك الضرب بالسيف والحذق في استعماله من خلال قراءة بعض المخطوطات العسكرية التي كان يكتبها معلمو الفروسية في العصر المملوكي.

(*) باحث أول بمركز دراسات الحضارة الإسلامية، مكتبة الإسكندرية.

Swordsmanship Skills and Techniques

A Reading in Some Mamluk Equestrian Manuscripts

(648–923 AH/ 1250–1517 CE)

Dr. Shereen El-Kabbani(*)

Abstract

The upbringing of Mamluks in the barracks of the Cairo citadel was twofold. They received education in writing and religious sciences, as well as military training on horse riding, fencing, spear and axe thrusting, and the use of other indispensable weapons. As for the sword, it was considered one of the most important weapons that a Mamluk should master. This paper revisits some military manuscripts written by equestrian masters in the Mamluk Era, seeking to clarify the main stages for a Mamluk to skill in fencing.

(*) Researcher at the Center for Islamic Civilization Studies, Bibliotheca Alexandrina.

المقدمة

نشأتْ دولة المماليك وجيشها عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م في ظروف سياسية وعسكرية حرجة، وحملتْ على أكتافها شرف حماية الإسلام والمسلمين من الخطر الصَّليبي ثم الخطر المغولي، الذي قضى على الخلافة العباسية في بغداد. ولم يكن لتلك الدولة أن تقوم بهذه الأعمال البطولية، إلا إذا استندت إلى جيش قوي شجاع بتَّار لا يهاب أو يخاف أعداءه. حيث تأتي الدولة المملوكية كدولة عسكرية واصلت جهود سادتهم الأيوبيين في الدفاع عن العالم الإسلامي ضد خطر الحملات الصليبية. وكان أساسُ جيش هاتين الدولتين الفرسان.

وكان الفرسان في العصور الوسطى يوضعون على الخطوط الحربية المؤلَّفة من القلب والميمنة والميسرة والمقدمة والمؤخرة، كلٌّ حسب قوته وبأسِهِ، وفي ذلك يقول الهرثمي: «ليوضع أهل التجارب والبأس والنجدة والقوة الظاهرة في القلب أمام الصفوف، وأهل التجارب وأصحاب الرَّمي والطراد والمشاة والمبارزة وطلاب الكرِّ في الميمنة أمام الصفوف، وأهل التجارب والحِيل والمصابرة بحيث يحتاج إلى الكثرة من **ردء القلب**، وأهل التجارب والمعرفة بموضع المعركة والكمين، والظفر والهزيمة، وتشجيع أصحابهم مع سرعة الإصابة لهم في **ردء القلب**، وكلُّ رجل ضعيف وحاسر من الجند خلف أثقال مما يلي ردء الأثقال»[١].

كما كانوا يُسَلَّحون بالدروع والسيوف والرماح الطويلة والبلطات والحراب، وكانوا يرتدون بصورة دائمة تقريبًا الخوذ الفولاذية المُحلاة بريش النسور، وقد أُدخل استعمال الرِّكاب الحديدي منذ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٥م)[٢].

---

(١) **مختصر سياسة الحروب**، أبو سعيد الشعراني الهرثمي صاحب المأمون، توفي بعد ٢٣٤هـ/ ٨٤٩م، تحقيق عبد الرؤوف عون، مراجعة محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، سلسلة تراثنا، القاهرة، د.ت: ٣٦-٣٧.

(٢) **الجندية في عهد الدولة الأموية**، وفيق الدقدوقي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥: ١٣٤.

تربية المماليك وتدريبهم

عني سلاطين دولة المماليك عناية فائقة بتربية وتعليم المماليك؛ نظرًا للطَّابع والدور الحربي المهم الذي كان على تلك الدولة القيام به. فكان التاجر إذا حضر للقاهرة يقوم بعرض مماليكه الصغار على السلطان ليشتري منهم ما شاء، وكان هؤلاء التجار، الذين اشتُهر بعضهم باسم «تاجر الخاص»، مكلَّفون بجلب المماليك للسلطان؛ لذا عُهد لهذه الوظيفة في بعض الأحيان إلى أمير من أمراء المماليك. وكان تاجر المماليك إذا وصل للقاهرة لقي أنواعًا من الحفاوة البالغة من السلطان، فضلًا عن مسامحته من المُكوس والمقررات السلطانية[٣]. ويُذكر أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٦٨٤-٧٤١هـ/ ١٢٨٥-١٣٤١م) كان أكثر السلاطين سخاءً في شراء المماليك، وبلغ ما دفعه ثمنًا لمملوك واحد مائة ألف درهم أحيانًا، واقتدى الأمراء بالسلطان. وكان السلطان الناصر محمد يُنعِم على تلك المماليك في يومهم بالملابس الفاخرة والحوائص[٤] الذهب والخيول والعطايا حتى يدهشهم. ولم تكن هذه عادة مَن تَقَدَّمه مِن الملوك؛ فأكثرَ التجارُ من جَلْب المماليك إليه، فطار في البلاد فِعل السلطان معهم؛ فأعطى المغول أولادهم وبناتهم وأقاربهم للتجار، وباعوهم رغبة منهم في سعادة مصر.

(٣) **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٥، ج. ٣: ٣٨-٤٠، ج. ٤: ١٣٨-١٣٩؛ «الفارس المملوكي»، السيد الباز العريني، **المجلة التاريخية المصرية**، القاهرة، ١٩٥٦، م. ٥: ٤٩.

(٤) الحوائص جمع الحياصة، ويُطلق مفهوم الحياصة في الأصل على الحزام الذي يُشَد به سرج الحصان، إلا أن هذا المصطلح شاع استخدامه زمن المماليك للدلالة على حزام مصنوع من معدن ثمين كان يمثل جزءًا مهمًّا من ملابس كبار رجال الدولة، ومن ثياب التشريف التي كان يمنحها السلطان لأمراء المئات في الجيش، وأكثرها فخامة تلك المصنوعة من الفضة المطلية بالذهب أو بالذهب الخالص المرصَّع بالأحجار الكريمة؛ **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، محمد قنديل البقلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣: ١١٢؛ **المعجم العسكري المملوكي**، محمد عبد الله سالم العمايرة، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١١: ١٠٧.



وبعد عملية الشراء، يُرسل السلطان ما اشتراه للفحص ليتأكد من سلامة أجسامهم قبل أن يسمح لهم[٥] بالنزول للطباق[٦]؛ حيث ينزل كلٌّ منهم في طبقة جنسه برسم الكتابة، أي أنْ يحفظ أجزاء من القرآن الكريم، ولكل طائفة فقيه يحضر إليها كل يوم ليعلمها القرآن، والخط، وآداب الشريعة، والصلوات، والأذكار. فإذا شبَّ الواحد من المماليك، علَّمه الفقيه شيئًا في الفقه. فإذا صار إلى سنِّ البلوغ، أخذ المعلِّم في تعليمه أنواع الحرب من رمي السهام ولعب الرمح ونحو ذلك، وإذا ركبوا إلى لعب الرمح لا يجسر جندي ولا أمير أن يحدثهم أو يدنو منهم[٧].

تربية المماليك داخل الطباق

كان نظام تعليم المماليك في الطباق صارمًا وشديدًا، فلم يكن يُسمح لهم بالخروج من الطباق إطلاقًا، ولا سيما ليلًا. وكان طعامهم يتكون من اللحم والأطعمة والفواكه والحلوى. وكانوا يتسلمون كسوات من الثياب القُطني البعلبكي، ومن الثياب الكتان الخام المتوسط، فضلًا عن المعاليم[٨] من النقود[٩]. وجرت العادة ألا يكون للمملوك أثناء دراسته في الطباق «راتب أو

(٥) **الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري (٦٤٨-٧٨٣هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٣م)**، محمود نديم أحمد فهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣: ٣٠.

(٦) الطباق أو الأطباق، مفردها طبقة أو طبق، وهي حجرات المماليك الصغار، تقع في قلعة الجبل بالقاهرة، بُنيت في عهد الظاهر بيبرس وتمت زيادتها وتنظيمها في عهد الناصر محمد بن قلاوون، بلغ عدد هذه الطباق اثنتي عشرة طبقة، كل طبقة فيها عدة مساكن تتسع لألف مملوك، جرى فيها إقامة وتعليم وتدريب المماليك الكتابية الصغار حتى يتم تخريجهم وإلحاقهم بالخدمة العسكرية، وقد حملت هذه الطباق مسميات كثيرة بعضها يعود إلى أسماء بعض المشاهير من مقدمي المماليك السلطانية، مثل طبقة الأشرفية المنسوبة إلى مماليك الأشرف شعبان، وطبقة الصندلية التي تُنسب إلى أحد الخدام الطواشية في عهد السلطان برقوق، وهو الطواشي صندل بن عبد الله الرومي المنجكي، وطبقة الرماحة التي كانت مخصصة لفئة الرماحة من الجيش المملوكي؛ **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، محمد قنديل البقلي: ٢٢٧-٢٢٨؛ **المعجم العسكري المملوكي**، محمد عبد الله سالم العمايرة، الطبعة الأولى: ١٩٤-١٩٩.

(٧) **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٩٩٥، م. ٣: ٦٩٢؛ **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم: دراسة شاملة للنظم السياسية**، عبد المنعم ماجد، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٧، ج. ١: ١٦. **الفن الحربي للجيش المصري**، محمود نديم أحمد فهيم: ٣١؛ **المماليك**، السيد الباز العريني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت: ٨٩.

(٨) المعاليم مفرد المعلوم، وهي الأجر الذي كان يتقاضاه القاضي، أو الأمير أو المملوك؛ **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، محمد قنديل البقلي، ٢١٧؛ **المعجم العسكري المملوكي**، محمد عبد الله سالم العمايرة: ٢٨٩.

(٩) **المواعظ والاعتبار**، المقريزي، م. ٣: ٦٩٢؛ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري

أجر، ولا يملك حصانًا ولا سلاحًا، ولا يحصل على إقطاع»(١٠). فإذا انتهت الدراسة، أُعتق المملوك، ويكون الإعتاق بالجملة، ويقام له احتفال خاص يحضره السلطان والأمراء، وذلك بناءً على شهادة تسمى «اعتاق» أو «عتاقة»(١١)، ويطلق على هذا العرض الذي يعتق فيه المماليك اسم «خرج» أي التَّخرج(١٢)، فيُسلَّم المملوك سلاحًا وفرسًا ولباسًا خاصًّا وقماشًا(١٣) وإقطاعًا يبقى له مدى الحياة. وحينئذ يسمى معتوقًا أو عتيقًا، أما مُعتِقه فيسمَّى أستاذه، في حين يسمى رفاقه المتخرجون معه خشداشيته(١٤). ويصبح بذلك هؤلاء المماليك من المماليك السلطانية(١٥)، فيحصلون من السلاح

بردي، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م، تحقيق إبراهيم علي طرخان، المؤسسة المصرية العامة للترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ج. ٧: ٢٥٣؛ **المماليك**، السيد الباز العريني: ٩٠؛ «الفارس المملوكي»، السيد الباز العريني: ٥٢.

(١٠) «الفارس المملوكي»، السيد الباز العريني: ٥٥.

(١١) **نظم دولة سلاطين المماليك**، عبد المنعم ماجد، ج. ١: ١٨؛ **الفن الحربي للجيش المصري**، محمود نديم أحمد فهيم: ٣٤.

(١٢) «الفارس المملوكي»، السيد الباز العريني: ٥٥.

(١٣) المقصود بالقماش هو رداء الخدمة، وما يرتبط به من الأدوات الحربية كالسيف والتركاش وغيرهما. «الفارس المملوكي»، السيد الباز العريني: ٥٥، هامش ١. أما التركاش، فهو لفظ فارسي الأصل ومعناه الكنانة أو الجعبة التي توضع فيها النشاب؛ **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، محمد قنديل البقلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣: ٧٥.

(١٤) **نظم دولة سلاطين المماليك**، عبد المنعم ماجد، ج. ١: ١٨؛ **الفن الحربي للجيش المصري**، محمود نديم أحمد فهيم: ٣٤. أما الخشداشية أو الخجداشية أو الخوشداشية، فهو معرب اللفظ الفارسي «خواجاتاش»، وأطلقت على رابطة الزمالة التي جمعت المماليك الذين اشتراهم سلطان ما وعاشوا معًا حياة التعليم والتدريب في طباق القلعة، وظلت هذه الرابطة بينهم بعد التخرج والانطلاق للحياة العسكرية. وقد لعبت هذه الرابطة دورًا بارزًا في أحداث الصراع على السلطة التي مرت بها دولة المماليك، وكانت وراء وصول العديد من الأمراء إلى السلطنة ممن لم يرثوا العرش عن آبائهم، كما كانت سبيلًا إلى حصول الكثير من الأمراء والمماليك على العديد من الامتيازات المالية والإقطاعية، والوصول لأعلى الرتب العسكرية والوظائف السياسية والإدارية في الدولة بمجرد وصول أحد أفراد طائفة ما تجمعها هذه الرابطة إلى الحكم. انظر في ذلك: **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، محمد قنديل البقلي: ١٢٠؛ **المعجم العسكري المملوكي**، محمد عبد الله سالم العمايرة: ١١٥.

(١٥) تألف الجيش المملوكي من ثلاث فرق رئيسية، أولها وأهمها المماليك السلطانية. وكانوا أعظم الأجناد شأنًا، وأرفعهم قدرًا، وأشدهم إلى السلطان قربًا وأوفرهم إقطاعًا. ومنهم تُؤَمر الأمراء رتبة بعد رتبة. وكانوا ينقسمون إلى عدة فئات، فمنهم الخاصكية الذين يلازمون السلطان في تحركاته ويقومون بالمهمات الشريفة، ويمتازون عن غيرهم من المماليك بأن السلطان نفسه يشرف على تربيتهم وعلى عتقهم. ثم هناك فئة الأجلاب، وهم المماليك الذين يشتريهم السلطان ويضعهم في الطباق. ثم القرانيص، وهم مماليك السلاطين القدامى. أما الفرقة الرئيسية الثانية في الجيش المملوكي فكانت أجناد الحلقة، وهم يُعتبرون قلب الجيش المملوكي، ويأتمرون بأمر السلطان القائم. أما أجناد الأمراء فكانوا يتبعون أمراءهم مباشرة؛ انظر في ذلك: **الفن الحربي للجيش المصري**، محمود نديم أحمد فهيم، ٢٨-٣٢؛ **العسكرية الإسلامية في العصر المملوكي**، أحمد محمد عدوان، عالم الكتب، الرياض، ١٩٨٥: ٣٢-٣٦.



خاناه على جميع أنواع الأسلحة من السيوف والقسي والنشاب والرماح والدروع والقرقلات(١٦) والأطبار(١٧) وغيرها.

وكانت المماليك تُقيم بالطباق ولا تبرحه مطلقًا، فلمَّا تسلطن الملك الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ/ ١٢٩٠-١٢٩٤م)، سمح للمماليك أن ينزلوا من القلعة في النهار، ولا يبيتوا إلا بها، فكان لا يقدر أحد منهم أن يبيت بغيرها. ثم سمح لهم الملك الناصر محمد بن قلاوون بالنزول إلى الحمام يومًا في الأسبوع، فكانوا ينزلون بالنوبة مع الخدام ثم يعودون آخرها. ولم يزل هذا حالهم إلى أن انقرضت أيام بني قلاوون. وفي عهد الظاهر برقوق (٧٤٨-٧٩١هـ/ ١٣٤٧-١٣٨٩م) و(٧٩٢-٨٠١هـ/ ١٣٩٠-١٣٩٩م)، سمح لهم بالنزول من الطباق، وسكنى القاهرة، والتزوج من نساء أهل المدينة؛ فأخلدوا إلى البطالة. فلما كان عهد الناصر فرج بن برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/ ١٣٩٩-١٤١٢م)، انقطعت الرواتب من اللحوم، وصار غالب غذاؤهم الفول المسلوق. ثم أصبح المماليك يُجلبون كبارًا، ما بين ملاح سفينة، ووقاد في تنور خباز، وحول ماء في غيط أشجار، ونحو ذلك. واستقر رأي الناصر فرج على أن تسليم المماليك للفقيه يتلفهم، فتركهم وشأنهم؛ فصارت المماليك السلطانية أرذل الناس وأدناهم(١٨)، وكان ذلك إيذانًا بانتهاء دولتهم.

التعليم الحربي للمماليك

قام التعليم الحربي للمملوك في الأساس على تعلُّم الفروسية. وشملت الفروسية المهارة في ركوب الخيل، واللعب بالرمح، والحذق في الرمي، والضرب بالسيف، وسَوْقِ البرجاس(١٩)، والمحمل، ولعب

(١٦) القرقلات هي نوع من الدروع تتخذ من صفائح الحديد وتغشى بالديباج الأحمر والأصفر، وقد تكون مبطنة، وأحسن القرقلات ما لم تكن واسعة أو ضيقة؛ **خزانة السلاح: دراسة عن خزانة السلاح ومحتوياتها في عصر الأيوبيين والمماليك**، مؤلف مجهول، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨: ٦٢. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج. ٢: ١٣٦، ج. ٤: ١١؛ **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، محمد قنديل البقلي: ٢٧٢.

(١٧) مفردها طبر، وهو نوع من السلاح على شكل فأس، وإليه تُنسب الطبر دارية، الذين يحملون الطبر في المواكب، وهم عادة من إمرة عشرة. انظر في ذلك: **صبح الأعشى**، القلقشندي، ج. ٢: ١٣٤، ج. ٤: ٢٢؛ **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، محمد قنديل البقلي: ٤٥.

(١٨) **المواعظ والاعتبار**، المقريزي، م. ٣: ٦٩٣-٦٩٤.

(١٩) البرجاس وجمعها براجيس، وهو عبارة عن هدف خشبي مكون من سبع قطع، تركب بعضها فوق بعض من أسفل بارتفاع

الجوكان[٢٠]، واستعمال الدبوس[٢١]، والمران على المصارعة، وسباق الخيل. على أن المملوك لم يتعلم جميع فنونها وفروعها في الطباق، بل اقتصر تعليمه على استعمال الرمح والقوس والسيف وركوب الخيل فقط علي معلمين اختصاصيين. ثم يتعلم المملوك ما عدا ذلك من فنون الفروسية بعد عتقه وتخرُّجه من الطباق[٢٢]. فالمملوك بعد تخرجه من الطباق يصبح جنديًّا فقط، فالعِتاقة التي يحصل عليها في احتفال الخرج ما هي إلا شهادة تمنح له للإشارة إلى أنه قد أصبح حرًّا، وأنه قد أتم تعليمه في الطباق[٢٣]. وكان تعلُّم العمل بالسيف بأوجهه المختلفة من أهم مراحل تعليم الطباق؛ حيث كان لزامًا على الفارس تعلُّم الضرب بالسيف والحذق به. أما باقي المهارات الأخرى من الوقوف على السيفين أو استخدام النار والسيف وغيرها فكانت من بين المهارات التي يتعلمها الفارس بعد تخرجه في الطباق.

يوازي رأس الفرس، أو في نحو سبعة أذرع، وينتهي بحلقة معدنية مفرغة الوسط. في حين فسر اللسان كلمة برجاس، بأنها غرض في الهواء، يُرمى به. كما يعني البرجاس أيضًا، والتي يُعتقد أنها كلمة ذات أصل يوناني، رمح أو سارية في أعلاه كرة من ذهب أو فضة يرميها الحذاق وهم على الجياد؛ **لسان العرب**، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ت ٧١١هـ/ ١٣١١م، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مادة برجس، م. ١، ج. ٤: ٢٤٤؛ **النجوم الزاهرة**، ابن تغري بردي، ج. ١٤: ١١٢، هامش ٣. **الفروسية والمناصب الحربية**، نجم الدين حسن الرماح، ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م، تحقيق فاروق اسليم، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٧: ١٨؛ نبيل محمد عبد العزيز أحمد، **هزل فرسان الخيل**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦: ١٤٥.

(٢٠) سوق المحمل عبارة عن الاحتفال الذي كان يواكب خروج محمل الحج الذي يحمل كسوة الكعبة؛ **المحمل المصري في العصرين المملوكي والحديث (٦٤٨-١٣٧٢هـ/ ١٢٥٠-١٩٥٢م): دراسة تاريخية حضارية سياحية**، شيرين عبد الحليم القباني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية السياحة والفنادق، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٥: ٤١-٤٨. أما لعبة الجوكان أو البولو فهي عبارة عن عصى مدهونة طولها نحو أربعة أذرع برأسها خشبة مخروطة معقوفة تزيد على نصف ذراع تُضرب به الكرة من على ظهر الفرس؛ **معجم المصطلحات التاريخية في العصر المملوكي**، محمد أحمد دهمان، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠: ٨٥.

(٢١) الدبوس وجمعه دبابيس، آلة من آلات الحرب تشبه الإبرة، كانت تصنع من عود طوله قدمان من الخشب الغليظ في أحد طرفيه رأس من حديد قطرها ثلاث بوصات تقريبًا. **الفن الحربي للجيش المصري**، محمود نديم أحمد فهيم: ٢٣١.

(٢٢) **المواعظ والاعتبار**، المقريزي، م. ٣، ٦٩٢-٦٩٣؛ **المماليك**، السيد الباز العريني، ٩٧-٩٨.

(٢٣) «الفارس المملوكي»، السيد الباز العريني: ٥٧.



العمل بالسيف وتعاليمه

حفلت مخطوطات الفروسية ومصادرها بالمعلومات الوفيرة حول أسماء السيوف وأنواعها وكيفية تدريب الفرسان على الضرب بها وتعاليمها المختلفة. فيوضح يعقوب بن إسحاق الكندي إلى الخليفة العباسي المعتصم (٨٣٣-٨٤٢هـ/ ٢١٨-٢٢٧م) في «جواهر السيوف» أن الحديد الذي يطبع منه السيوف ينقسم إلى قسمين أولين: المعدني، وغير المعدني. والمعدني ينقسم إلى الشابرقاني، وهو المذكر الصلب القابل للسقي بطباعه، وإلى النرماهن، وهو المؤنث الرخو الذي لا يقبل السقي. وأما الحديد الذي ليس بمعدني فهو الفولاذ ومعناه المصفَّى، ويصنع من المعدني بأن يلقى عليه في السبك شيء يصفيه، ويشد رخاوته حتى يصير متينًا لدنًا لا يقبل السقي[٢٤]. لذا فينبغي أن يكون السيف من حديد مصفًّى مغلي عليه في النار حتى يخرج دنسه، ثم يُصفَّى كتصفية الفولاذ، ثم يُخرج من النار ويمد، فإنه إن كان غير مصفى يتعوج في اليد، ولا يمكن للضارب أن يضرب به مرة ثانية، ويخشى على الضارب أن يلتوي كفه فيُخلع رسغه وتبطُل همته[٢٥].

لذا، فكان لزامًا على الفارس أن يعلَم أصناف السيوف والعمل بها، فإنه لا شيء يوصف بالكرم والجوهر، وتبليغ الثمن، ويباهى به كالسيف. وله الهيبة وله الفضل على جميع الأسلحة[٢٦]، فهو من السلاح كالأسد بين الوحوش[٢٧]. وهو من الأسلحة التي يعمل بها، مَن عَلِم الفروسية أو لم يعلم، مثل الشيخ الكبير والشاب الصغير[٢٨]، فكلُّ أحدٍ مع كل سلاح لا يستغني عن السيف، وصاحب

(٢٤) *Medieval Islamic Swords and Swordmaking – Kindi's Treatise on "Swords and Their Kinds"*, R. G. Hoyland, B. Gilmour, Oxford, 2012: 14.

(٢٥) **النفحات المسكية في صناعة الفروسية**، شهاب الدين أحمد بن محمد الحسني الحموي، ت ١١٤٢هـ/ ١٧٢٩م، مخطوط محفوظ على قرص مرئي بمكتبة الإسكندرية، مصور عن مجموعة تشستر بيتي تحت رقم ٣٧١٩، ورقة ٣٥.

(٢٦) **الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب**، محمد بن محمود بن منكلي، ت ٧٧٨هـ/ ١٣٧٧م، دراسة وتحقيق نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب والوثائق القومية - مركز تحقيق التراث، القاهرة، ٢٠٠٠: ٢٤.

(٢٧) **الفروسية والمناصب الحربية**، نجم الدين حسن الرماح: ١١٣.

(٢٨) **نهاية السؤل والأمنية في تعلم أعمال الفروسية في أمور السلطنة**، محمد بن عيسى الأقصرائي، ت ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م، مخطوط محفوظ بمكتبة قطر الرقمية مصور من المكتبة البريطانية، مخطوط رقم ADD 18866، ورقة ٢٩و؛ **السيوف وجواهرها**، مؤلف مجهول، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله السلومي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، ١٩٩٨: ٢٥.

السيف يستغني به عن جميع السلاح، وهو أجمل ما يُتزيَّن به، ويَحْسُن حمله في مواطن الأمن والخوف[٢٩]. وقد كان للسيف أهمية قصوى منذ زمن الجاهلية، حينما كانت القبائل تُغير بعضها على بعض. ونظرًا لهذه الأهمية التي حظي بها السيف، أورد ابن سيده تعريف ابن دُريد للسيف، بأن السيف مشتق من قولهم ساف ماله إذا هلك، فلما كان السيف سببًا في الهلاك سُمّيَ سيفًا[٣٠].

وقد روي عن الرسول ﷺ أن من تقلَّد سيفًا في سبيل الله تعالى قلَّده الله بوشاح الكرامة يوم القيامة[٣١]. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «سمعت النبي ﷺ يقول: إن الله ليباهي بالتقليد ملائكته. وهم يصلون عليه ما دام متقلدًا سيفه»[٣٢].

وكان لرسول الله ﷺ جملة أسياف، فمنها: ذو الفقار الذي غَنِمه يوم بدر، وكان لمنبِّه بن الحجاج. ومنها العضب، وكان قد أعطاه له سعد بن عبادة. ومنها البتار والمخذم والرسوب والحتف، وكان له سيف قلعي[٣٣]، أصابه من سلاح بني قينقاع[٣٤]. وكان له سيف آخر ورثه عن أبيه. فهذه جملة من أسيافه عليه السلام فيما ذُكر. ورُوي أن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد، فأعطاه رسول الله ﷺ عرجون نخلة، فصار في يده سيفًا قائِمُهُ منه، وكان يُسمَّى العرجون[٣٥].

كما كان السيف أجمل ما يُتزين به، ويحسُن حمله في مواطن الأمن والخوف، مع ما قد رُوي عن فضله والفخر به في الآثار والأشعار. فقيل إنه لا يمسُّه إلا طاهر، ولا يراه من النساء حائض، ولا يسام بثمن، ولا يُتناول مشهورًا إجلالًا وعزًّا، ورُوي أن مَن ناول أخاه السيف مشهورًا فهو

---

(٢٩) **السيوف وجواهرها**، مؤلف مجهول: ٢٦.

(٣٠) **المخصص**، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده، ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م، بيروت: د.ت، م. ٦: ١٦.

(٣١) **حلية الفرسان وشعار الشجعان**، علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، تحقيق وتعليق محمد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥١: ١٨٤؛ **نهاية السؤل والأمنية**، الأقصرائي، ورقة ١٢٩و.

(٣٢) **حلية الفرسان**، ابن هذيل الأندلسي: ١٨٤.

(٣٣) القلعي نسبة إلى القلعة، وهو بلد بالهند تنسب إليه السيوف. وفي نهاية الأرب «قلعي» بفتح القاف واللام. وفي اللسان: القلعة وقلعة والقليعة، كلها مواضع، وسيف قلعي، منسوب إليه لعتقه؛ **لسان العرب**، ابن منظور، مادة قلع، م. ٥، ج. ٤٢: ٣٧٢٥. وقيل «وسيفنا قلعية»، منسوبة إلى القلعة بفتح القاف واللام، وهي موضع بالبادية تنسب إليه السيوف؛ **حلية الفرسان**، ابن هذيل الأندلسي: ١٨٤، هامش ٢.

(٣٤) **حلية الفرسان**، ابن هذيل الأندلسي: ١٨٤؛ **الحيل في الحروب**، ابن منكلي: ٢٤.

(٣٥) **حلية الفرسان**، ابن هذيل الأندلسي: ١٨٦.



ملعون، لما فيه من العيبة(٣٦). كما أنه على الفارس الذي يتعلم الضرب بالسيف، أن يعلم أنه ليس في السلاح ما يجب أن يُحذر عند العمل كالسيف. وقد وجد كثير ممن عمل به بغير حذر ولا دربة أصاب أذن فرسه أو عضده، وربما أصاب أذنه أو رجله فقطعها، أو أثر فيها. كما يجب أيضًا ألا يُسل السيف إلا عند الضرب به، وإن سُلَّ قبل ذلك فإنه يورث الجُبن(٣٧).

(٣٦) **الفروسية والمناصب الحربية**، نجم الدين حسن الرماح: ٢٠٥-٢٠٦؛ **النفحات المسكية في صناعة الفروسية**، الحموي: ٩. **كتاب الكمال في الفروسية وأنواع السلاح وآداب العمل بذلك وصفات السيوف والرماح**، مؤلف مجهول، مخطوط محفوظ بمكتبة الإسكندرية، مصور عن معهد المخطوطات العربية، فيلم ٤٢١، مخطوط ٢٤، ورقة ١٠٩.

(٣٧) **حلية الفرسان**، ابن هذيل الأندلس: ١٩٨.

أسماء السيف وصفاته

أسماء السيف

وللسيف أسماء كثيرة، وأوصاف متعددة. فمن أسمائه:

- الجزاز: وهو السيف الماضي النافذ[٣٨].
- الجُنثي: وقيل إن الجُنثي من أجود أنواع الحديد. وقيل: الجنثي هو القين الذي كان يعملها فنسبت إليه.
- القسوسي: نسبة إلى قسوس، وهو جبل فيه معدن حديد[٣٩]. وقيل: بل هو نسبة إلى قساس، وهو جبل بأرمينيا[٤٠].
- المشرفي: وهو نسبة إلى المشارف، وهي قرى من أرض العرب تقرب من الريف[٤١]. وقيل: نسبة إلى صانع جاهلي من ثقيف اسمه مشرف[٤٢].
- السريجي: وهو نسبة إلى سريج الذي كان يصنعها[٤٣]. وقيل: نسبة إلى السراج مصغرًا لبريقها[٤٤].

---

(٣٨) **كتاب السلاح**، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م، تحقيق حاتم صالح الضامن، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥: ١٧.

(٣٩) **حلية الفرسان**، ابن هذيل الأندلسي: ١٩١.

(٤٠) **السيوف وجواهرها**، مؤلف مجهول: ٧.

(٤١) **كتاب السلاح**، ابن سلام: ١٧؛ **حلية الفرسان**، ابن هذيل الأندلسي: ١٩١؛ **خزانة السلاح**، مؤلف مجهول: ١٧١.

(٤٢) **السيوف وجواهرها**، مؤلف مجهول: ٧.

(٤٣) **حلية الفرسان**، ابن هذيل الأندلسي: ١٩١.

(٤٤) **السيوف وجواهرها**، مؤلف مجهول: ٧.



- البيض: وهي السيوف القصار(٤٥).
- العضب والحسام والهُدام: وهو السيف القاطع(٤٦).

ومن أسماء صفاته، أنه إذا كان عريضًا فهو صحيفة، وإن كان لطيفًا مهذبًا فهو قضيب، وإن كان صقيلًا فهو خشيب، وقيل: إنه الذي لم يصقل، وقيل: إنه الذي لم يُحكم عمله مع صلابة فيه ومُضِيّ، وإن كان رقيقًا فهو «مهو»، وإن كان فيه حزوز مطمئنة عن متنه فهو مُشطب ومُفقر، وحزوزه: شطبه وفقره، وبذلك سُمي سيف النبي ﷺ، وسيف علي رضي الله عنه(٤٧). أما صفات السيف المذمومة فهي الكهام، وهو السيف الكليل، والمِضْد، وهو الذي يمتهن في قطع الشجر ونحو ذلك(٤٨)، والسيف الصنيع، وهو السيف الذي جُرب وبلي(٤٩).

أصناف السيوف

والسيوف أصناف، أنفعها ما حدت ظُبَّته ودق ذبابه، واشتد متنُهُ(٥٠). وأفضل الأنواع العتيق من السيوف، وليس العتيق من السيوف سيفًا واحدًا، وإنما يذهب من عتقها إلى الكرم، كما يقال فرس عتيق، يراد به كريم. والعتيق من السيوف ينقسم ثلاثة أقسام، فأولها وأجودها السيف اليماني، ثم ثانيه القلعي، ثم ثالثه الهندي(٥١).

ويحتمل الفارس قصر السيف، وهو في يده أمكن. والرَّاجِل يحتاج إلى طول السيف. ولا ينبغي أن يُتخذ من السلاح إلا الخفيف، الذي يقوى عليه صاحبه، وإلا لم ينتفع به. وإن لم يكن السيف خفيفًا في يد صاحبه على قدر قوته عليه، ثم ضرب به الضرب اليسير، وهَن كتفه،

(٤٥) **الحيل في الحروب**، ابن منكلي: ٣٣؛ **السيوف وجواهرها**، مؤلف مجهول: ٤٠.
(٤٦) **كتاب السلاح**، ابن سلام: ١٧؛ **خزانة السلاح**، مؤلف مجهول: ١٧٢.
(٤٧) **حلية الفرسان**، ابن هذيل الأندلسي: ١٩١.
(٤٨) **المخصص**، ابن سيده، م. ٦: ٢٥؛ **خزانة السلاح**، مؤلف مجهول: ١٧٢.
(٤٩) **المخصص**، ابن سيده: م. ٦: ٢٥.
(٥٠) **المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح وبنودها**، مؤلف مجهول، المكتبة الوطنية الفرنسية تحت رقم Arabe 2826، ورقة ٤١.
(٥١) **الفروسية والمناصب الحربية**، نجم الدين الرماح: ٢٠٦؛ **كتاب الكمال في الفروسية وأنواع السلاح**، مؤلف مجهول، ورقة ١١٦.

واسترخت كفه على القائم. فإذا سار إلى هذه الحالة، لم يأمن ألا تعمل ضربته أو يسقط سيفه من يده. والسيوف تُلبس بالمعاليق والحمائل[٥٢]. والمعاليق ألزم لوسط الفارس، ولا يعلق بها عند الركض. وينبغي أن يكون السيف سلسًا في غِمده في الشتاء والصيف؛ لذا فعلى الفارس أن يتفقد سَل السيف وإغماده في الركض مع الحاجة إلى حفظ العنان[٥٣].

التدريب على الضرب بالسيف

فإذا أراد الفارس أن يتعلم الضرب بالسيف، وجب عليه أن يتخذ له فرسًا جيدًا، ليس بجموح[٥٤]، ولا عثور[٥٥]، ولا جفول[٥٦]. ويكون حادَّ النَّفَس ليِّن الانعطاف. وبعدما يُعد لنفسه هذا الفرس، فليعمل إلى قصبة رطبة، يكون طولها مقدار ما إذا كان الفارس بإزائها كان على حدٍّ سواء، فإن لم يجد قصبًا فاتخذ قضبانًا رطبة، فينصبه في الأرض، ويوثق أسفله، ثم تباعد عنه، ويجعله على يمينه، ويجري فرسه. فإذا دنا من العلامة، يستل سيفه بمحاذاة منكبه. ثم يُقصر من العلامة بالضرب في كل مرة مقدار شبر حتى تصير إلى مقدار ذراع من الأرض. ويكرر الفارس ذلك، حتى يتقنه وتصير عادته، ويخف فيه.

فإذا ما أخفت يده، أي اعتادت يده على ذلك، ينصب خمس قصبات على يمينه، ويوثق من نصبها، ويكون بُعد ما بين كل قصبة عن الأخرى مقدار عشرة أذرع. ثم يجري فرسه، وهو يضرب بسيفه، بين تلك القصبات على مقدار واحد في سرعة لا تزيد واحدة عن الأخرى في القطع. فإذا حذق في ذلك، وقطعها بخفة وحذق، نصب خمس أخرى عن يساره مخالفة النصب الذي على يمينه. ثم يجري فرسه وسط القصبات يمنة ويسرة حتى تقطعها كلها. فإن مهر في ذلك وأحب أن يزيد عن

---

(٥٢) الحمائل مفردها حميلة، وهي العلاقة التي تقع على عاتق الرجل، ويقال لها أيضًا قراب، ومحمل، ونجاد؛ **الحيل في الحروب**، ابن منكلي: ٤٠، هامش ١٧٣؛ **المخزون لأرباب الفنون**، مؤلف مجهول: ٤١.

(٥٣) **الحيل في الحروب**، ابن منكلي: ٣٩-٤١؛ **السيوف وجواهرها**، مؤلف مجهول: ٢١-٥٢.

(٥٤) الفرس الجموح هو الفرس المشاكس صعب القيادة، فيتجه بفارسه حيث شاء في سيره وجريه؛ انظر: **علم الفروسية وسياسة الخيل**، بكتوت الرماح الخازندار الظاهري، ت ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م، مطابع الحرس الوطني، د.م، ١٩٨٦: ٦٤.

(٥٥) العثور في الفرس يكون لأسباب عديدة، منها بعض العلل التي تصيب قوائم الخيل، أو لثقل صدر الفرس باللحم؛ انظر: **علم الفروسية**، بكتوت الرماح: ٦٧.

(٥٦) الجفول هو سرعة الذهاب والندود في الأرض. يقال جفلت الإبل جفولًا؛ **لسان العرب**، ابن منظور، م. ١، ج. ٨: ٦٤٣.



العشرة شيئًا، فعل. فإذا حذق في ذلك، وصار طبعًا وعادة، فلينصب خمس نشابات على بُعد بنفس ما نصب بالقصبات، ثم يجري فرسه، ويضرب النشابات على مقدار واحد. فإذا فعل ذلك، نصب خمس نشابات أخر عن يساره، ويقطع عن يمينه وشماله، كما فعل في القصب على مقدار واحد. إلا أن هذا يستلزم استخدام سيف دقيق الشفرة جيد(٥٧).

وبعدما يبرع الفارس في هذا التدريب يبدأ بالتمرُّن على الضرب قدام لبب الفرس، وخلف الرجل، وعلى يساره، وعلى يمينه، وتحت الركابين، وفي كل اتجاه. هذا مع ملاحظة أن الضرب بالسيف على ستة وجوه: الضرب شذرًا (أي على اليمين وعلى اليسار)، والضرب قدمًا، والضرب ردًّا، والضرب دبرًا أو خلفًا، والضرب بعجًا(٥٨)، والضرب سفلًا. وأثقف الضرب ما كان شذرًا(٥٩).

فأقوى الضرب ما كان ردًّا ولا قدامًا. والضَّرب شزرًا هو أنْ يثني الفارس يده اليمنى حتى يصير الكف على رُمانة كتفه الأيسر برشاقة وقوة في الردِّ والضرب معًا. أما الضرب قدامًا فهو ضرْب الوجه الذي أمامه طولًا، أي أنْ يرفع يده حتى يصير كفه محاذيًا بحدِّ أذنه الأيمن، وهذا هو ضرب الوجه. أما الضرب دبرًا، أي أنْ يضرب الفارس وجه الذي تعلق به من ورائه. أما الضرب بعجًا فينبغي للضارب أن يؤخر يده اليمنى إلى خلفه ما استطاع ثم يبعج. أما الضرب سفلًا فهي ضربة الطريح من العدو، فيجب على الفارس ألا يضرب إلا بقلب السيف ليتمكن الضرب فيه(٦٠).

(٥٧) **الفروسية والمناصب الحربية**، نجم الدين حسن الرماح: ١٠٦-١٠٧؛ **نهاية السؤل والأمنية**، الأقصرائي، ورقة ١٤٨ظ؛ **الحيل في الحروب**، ابن منكلي، ٤٣-٤٥؛ **السيوف وجواهرها**، مؤلف مجهول: ٥٥-٥٦؛ **المخزون لأرباب الفنون**، مؤلف مجهول، ورقة ٤١و-٤٢ظ.

(٥٨) بعج بطنه بالسكين يبعجه بعجًا، أي شقه فزال ما فيه من موضعه وبدا متعلِّقًا؛ **لسان العرب**، ابن منظور، مادة بعج، م. ١، ج. ٤: ٣٠٨.

(٥٩) **حلية الفرسان**، ابن هذيل الأندلسي: ١٩٩؛ **الحيل في الحروب**، ابن منكلي: ٤٣-٤٥.

(٦٠) «التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية»، محمد بن محمود بن منكلي، ت ٧٧٨هـ/ ١٣٧٧م، تحقيق صادق محمود، **مجلة المورد**، المجلد ١٢، العدد ٤، العراق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م: ٣٥٣.



لوحة رقم (١): فارس يلعب بسيفه، نقلًا عن مخطوط «نهاية السؤل والأمنية».

فإذا برعَ في ذلك دخل الميدان ولعب بسيفه وفق ترتيب اصطلح عليه. فيبدأ أولًا بجولان العمل بالسيف، فيصل الفرس إلى دائرة الميدان، ويقبض على سيفه، ويجردُهُ ويلوح به يمينًا ويسارًا، ثم يدخل السيف تحت إبطه الأيمن ويأخذ المقرعة بشماله، ثم ينزل السيف في غمده. ويظل يتنوع في العمل بالسيف إلى أنْ يضرب ضربتين ثقيلتين من أذن الفرس اليمنى إلى كفله



الأيمن[٦١]. وما إن أجاد الفارس هذا العمل بدأ في التدرب على أوجه الضرب بالسيف مثل باب الواجب، وصفته أن يسحب الفارس سيفه من غِمده ويُلوِّح به فوق رأسه أربع مرات متواليات، ثم يضرب به من أذن الفرس اليسرى إلى كفله الأيسر، ثم يقلب يده، ويضرب به ضربة ثقيلة من أذنه اليمنى إلى كفله الأيمن. ثم يرد السيف إلى غمده، ويعود فيجرده، ويلتفت إلى كفل الفرس اليسرى ويضرب به من كفله الأيسر إلى أذنه اليسرى، ثم يلتفت يمينًا ويضرب من كفله الأيمن إلى أذنه اليمنى. والهدف من هذا كله هو تمرينه على حماية جانبي الكفل[٦٢].



لوحة رقم (٢): فارس يضرب بسيفه قدمًا، نقلًا عن مخطوط «نهاية السؤل والأمنية».

(٦١) **نهاية السؤل والأمنية**، الأقصرائي، ورقة ١٢٠و-١٢١ظ؛ **هزل فرسان الخيل**، نبيل محمد عبد العزيز أحمد: ١٦٠-١٦١.

(٦٢) **نهاية السؤل والأمنية**، الأقصرائي، ورقة ١٢١ظ-١٢٢و؛ **هزل فرسان الخيل**، نبيل محمد عبد العزيز: ١٦١-١٦٣.

وتتوالى الأوجه المختلفة التي يجب على الفارس تعلُّمها وإبراز مهاراته في الحِذق بها، وهي جميعها تَنْصَب حول مدى قدرته على التحكم في ضربات سيفه بأوضاعها المختلفة، فمرة يتناول السيف بيده اليسرى ويحذق في الضرب به ليعود لينقله إلى يده اليمنى ويضرب به من فوق أذن فرسه. وتارة أخرى يضرب بسيفه من تحت إبطه ليتمكن مِن إصابة مَن يحاول مهاجمته من خلف.



لوحة رقم (٣): فارس يضرب بسيفه دبرًا، نقلًا عن مخطوط «نهاية السؤل والأمنية».

واشتهر العديد من سلاطين وأمراء المماليك ببراعة استخدام السيف والحذق به، فيذكر المقريزي - على سبيل المثال - أن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٨م)



قد ساق يومًا على عادته في اللَّعب وسل سيفه، فسلت مماليكُهُ سيوفها، وحمل هو ومماليكُهُ الخواص حملة رجل واحد واصطدموا فكان منظرًا مهولا[٦٣]. والسلطان المظفر حاجي (٧٤٢-٧٤٨هـ/ ١٣٤٢-١٣٤٧م) كان يحسن فنونًا كثيرة من الملاعيب وضرب السيف مع شجاعة وإقدام[٦٤]. وكذلك كان السلطان المؤيَّد شيخ المحمودي (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م) عارفًا بأنواع الملاعيب، قويًّا في ضرب السيف، وكان يكثر من استخدام السيفية ويقول: هؤلاء قاسوا خطوب الدهر، وتأدَّبوا ومارسوا الأمور والوقائع[٦٥]. أما السلطان الظاهر تمربغا (٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م) فقد جمع بين أنواع شتى من الفروسية وفنونها، فكان يصنع القوس بيده وكذلك النِّشاب، ثم يرمي بهما رميًا لا يكاد يُشاركه فيه أحد شرقًا ولا غربًا، وكان أفضل رامٍ في زمانه. أما فن الرمح وتعليمه، فكانت له اليد الطولى في ذلك، وكذلك في سوق البرجاس والمحمل وتعبئة العساكر. وكان لا يُجارى في فن اللِّجام ومعرفته، والمهماز وأنواع الضرب به، ويعرف فن الضرب بالسيف. أما في فن اللعب بالدبوس فكان فيه أستاذًا متفننًا[٦٦]. أما الأمير تغري بردي سيدي الصغير[٦٧]، المتوفى سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، فقد عُرف عنه أنه كان يدخل القتال بثلاثة سيوف في وسطه، وكان أول ما يفعل، يرمي النشاب، ثم يأخذ الرمح، ثم الطبر[٦٨]، ثم السيف.

---

(٦٣) **السلوك**، المقريزي، ج. ١، ق. ٢: ٦١٢.

(٦٤) **النجوم الزاهرة**، ابن تغري بردي، ج. ١٠: ١٧٤.

(٦٥) **النجوم الزاهرة**، ابن تغري بردي، ج. ١٤: ١١٢.

(٦٦) **النجوم الزاهرة**، ابن تغري بردي، ج. ١٦: ٣٧٤.

(٦٧) هو الأمير سيف الدين تغري بردي بن عبد الله المدعو بسيدي الصغير، المعروف بابن أخي دمرداش. استقدمه عمه الأمير دمرداش المحمدي لما كان نائب طرابلس في الدولة الظاهرية برقوق. وتأمر تغري بردي المذكور وترقى إلى أن صار نائب حماة في الدولة الناصرية فرج. وكان شجاعًا إلى الغاية، مقدامًا مفرطًا في الشجاعة والكرم، وتوفي سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٤م؛ **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)، تحقيق محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية - مركز تحقيق التراث، القاهرة، ٢٠٠٨، ج. ٤: ٤٦-٥٠.

(٦٨) الطبر لفظة مشتقة من الفارسية «تبر»، وتعني البلطة وهي شبيهة بالفأس، ذات رأس شبه دائري كالهلال تحلى بزخارف مموهة بالذهب، استخدمت في الاحتفالات والمواكب وأثناء تجوال السلطان بشكل خاص، ويحملها المماليك الطبردارية؛ انظر: **المعجم العسكري المملوكي**، محمد عبد الله سالم العمايرة: ١٩٤.

العمل بالسيفين

إذا أراد الفارس أن يمهر في العمل بالسيفين وجب عليه أن يجرِّد سيفه ويأخذ قائمه في يده اليسرى مع العنان ويرد ذبابته[٦٩] تحت إبطه الأيمن، ثم يجرِّد السيف الآخر ويجعل قائمه فوق قائم سابقه، وذبابته على كتفه الأيسر. ثم يرفع الفارس يده اليمنى بالسيف وينظر من تحته، ويضرب ضربة ثقيلة من أذن الفرس اليمنى إلى كفله الأيمن[٧٠]. والهدف من هذا العمل هو تدرب الفارس على إمكانية استخدام السيف بكلتا يديه لمواجهة مَن يحاول التصدي له من أمامه أو من خلفه. كما كانت مثل هذه المهارات يستعرضها الفرسان في المواكب العسكرية والاحتفالية المختلفة التي حرص عليها سلاطين المماليك حتى نهاية دولتهم.



لوحة رقم (٤): فارس يتدرب على العمل بسيفين، نقلًا عن مخطوط «نهاية السؤل والأمنية».

(٦٩) ذبابة السيف أي طرف نصله؛ **حلية الفرسان وشعار الشجعان**، علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، توفي في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، تحقيق محمد بن عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥١: ١٩١.

(٧٠) **نهاية السؤل والأمنية**، الأقصرائي، ورقة ١٢٤و-١٢٥و؛ **هزل فرسان الخيل**، نبيل محمد عبد العزيز: ١٧٣-١٧٤.



الوقوف على الفرس والسيفين والبيضتين

كانت هذه اللعبة تقع وقت دوران المحمل، وهي من ألعاب الفروسية التي تتطلب مهارة فائقة من الفارس، والحِذْق بالوقوف على الفرس، واللعب برمحين، والوقوف على بيضتين وعلى السيف. وكان على مَن يريد أن يفعل ذلك أن يتخذ فرسًا سكينًا غير جفول، ويتخذ عمودين من حديد مرءوس من الرَّأسين، مشوق شقًّا يدخل فيه حدَّ السيف، ويربطهم في مقدم القربوص[٧١] القُدَّامى وفي مؤخره، ويضع فيهم سيفين، ويكون في ظهر السيوف سيخين قدر ما يسع البيضة والقبقباب. ثم يقوم بثقب بيضتين من الحجر الكدان الأبيض من الوسط، وينخس في كرسي القبقباب نخسين يدخل فيهما السيفين ثم القبقباب فيهما، ويركب ويلبس القبقباب ويسرح



لوحة رقم (٥): فارس يتدرب على الوقوف على الفرس والسيفين والبيضتين، نقلًا عن «كتاب المخزون لأرباب الفنون».

(٧١) القربوص هو الخشبة الصغيرة القائمة في مقدم السرج؛ **مسودة المواعظ والاعتبار**، المقريزي: ٢٠٦، هامش ١.

ويرمي طاق ويعمل زنديه، ويعمل الموج باليدين أو بالواحدة، أو يفتل الرمحين في يده. وكان ممن برع في هذا الأمر بكتوت الرماح خازندار الملك الظاهر بيبرس، والذي اشتهر بالوقوف على قرابيص السَّرج، والفرس سائق في مشواره، وهو يجود برمحه ويعمل بسيفه[٧٢].

التدرب على العمل بالسيف والرمح

وبعد أن يمهر الفارس في الرمي بالرمح والرمحين، والضرب بالسيف، والحذاقة في الطعن، ينتقل إلى التدرب على العمل بالسيف والرمح سويًّا. وهو أحد الفنون المهمة والصعبة التي كان الفارس يستعرض مهاراته بها في الميادين والمواكب. فكان عليه أن يكون السيف معه ويأخذ الرمح بيده منصفًا، ويبدأ عن يمين الموكب، ثم يسلم الرمح إلى يساره مع العنان ويضرب بيده اليمنى إلى قائم السيف ويجرده ويلوح به يمينًا ويسارًا. ثم يأخذ ذبابة السيف تحت إبطه الأيمن ويلزمه، ويقبض بكفه الأيسر على قائم السيف، ويتناول الرمح بيده اليمنى. ثم يدخل الفارس خطوتين أو ثلاثًا داخل الموكب والسيفُ تحت إبطه، ثم ينقل الرمح إلى يساره، ويدخل بفرسه خطوتين أو ثلاثًا مجددًا داخل الموكب وينقل رمحه ناحية اليمين والسيف إلى اليسار. ثم يلوح الفارس بالسيف يمينًا ويسارًا، ويسير بإزاء الميسرة، ثم يُولي الفارس ظهره للموكب وينقل الرمح إلى اليسار، حتى يحصل عقبه تحت الإبط الأيمن، وينقل السيف إلى يمينه[٧٣].

(٧٢) **هزل فرسان الخيل**، نبيل محمد عبد العزيز: ٣٣-٣٤.

(٧٣) **نهاية السؤل والأمنية**، الأقصرائي، ورقة ١١٠ظ-١١٢و؛ **الحيل في الحروب**، ابن منكلي: ٦٦.



نظرة تحليلية لمخطوطات الفروسية

شهد هذا العصر مراحل ازدهار وأفول الفروسية وارتبط بمراحل قوة وضعف الدولة المملوكية. فتدهورت الفروسية في مصر تحديدًا ابتداء من العقدين الأخيرين من سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة، وازداد الوضع سوءًا خلال سلطنة أبنائه، واستمر هذا التدهور حتى عصر الأشرف شعبان، الذي ما إن حاول إنعاش الفروسية حتى انتعش أدبها[٧٤].

ويمكننا تقسيم «تاريخ» أدب الفروسية إلى فترتين رئيسيتين:

الفترة الأولى: تمتد في عهد الدولة العباسية عبر القرنين الثالث والرابع الهجريين. وقد تميزت هذه الفترة بالمؤلفات التي عُنيت معظمها عناية كبيرة بالخيل ووصفها وأسمائها وأنسابها وصفاتها وما قيل فيها من أشعار[٧٥]. كما تناولت مؤلفات أخرى الفروسية، وحمل السلاح، وآلات الحرب والتدبير[٧٦]، مثل:

- ابن الكلبي، هشام بن محمد أبو النضر بن السائب، ت ٢٠٦ هـ/ ٨٢١م، «أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام».
- الأصمعي، عبد الملك بن قريب، ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م، «الخيل».
- ابن الأعرابي، أبو عبد الله محمد بن زياد، ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م، «كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها».

(٧٤) **فنون الفروسية في تاريخ المشرق والمغرب**، شهاب الصراف، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض: ١٠٩.

(٧٥) **علم الفروسية**، بكتوت الرماح: ١١.

(٧٦) **مختصر سياسة الحروب**، الهرثمي صاحب المأمون، أبو سعيد الشعراني: ٥.

- الهرثمي صاحب المأمون، أبو سعيد الشعراني(٧٧)، توفي بعد ٢٣٤هـ/ ٨٤٩م، «مختصر سياسة الحروب».
- ابن دُريد الأزدي، أبو بكر بن محمد(٧٨)، ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م، «صفة السرج واللجام».

الفترة الثانية: إبَّان الدولة المملوكية، وخاصةً الدولة المملوكية البحرية. فالدولة المملوكية قامت في أساسها على أكتاف الفرسان، حيث نشأتْ في ظروف حرجة. فالعالم الإسلامي كان يتهدده خطرُ الحملات الصليبية، التي استغلت الصراع بين أفراد البيت الأيوبي من ناحية، ومرض الصالح نجم الدين أيوب من ناحية أخرى، وقامت بإرسال حملة صليبية(٧٩) على مصر. أما الخطر الثاني الذي

(٧٧) هو أبو سعيد الشعراني الهرثمي. ربما يكون منسوبًا بالولاء إلى هرثمة بن أعين الجيلي الذي كان من أبرز قادة الرشيد العباسي، فاستعان به على إخضاع الثائرين في بلاد المغرب، فلما ظهر نجاحه بها ولاه عليها. ثم ولاه بعدها على خراسان، فأقام بها حتى كانت الفتنة بين الأخوين «المأمون والأمين»، فكان قائد جيوش الأول. ثم عاش إلى ما بعد عام ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م في خلال حكم الخليفة المتوكل. انظر: **مختصر سياسة الحروب**: ٨-٩.

(٧٨) هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن ختنم بن حماصى بن واسع أبو بكر الأرذي اللغوي، ولد في البصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين هجرية في خلافة المعتصم كما أرخ ابن دريد بنفسه تاريخ ولادته، وهو من أسرة ميسورة. تأدب بالبصرة وقرأ على علمائها ثم انتقل إلى عمان في شوال سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧١م. وأقام هناك في عمان اثنتي عشرة سنة ثم رجع إلى البصرة وسكنها مدة من الزمن ثم خرج إلى نواحي فارس بدعوة من عبد الله بن محمد بن ميكال، عامل كوز الأهواز في خلافة المقتدر بالله جعفر بن أحمد المعتضد. وفى عام ٣٠٨م انتقل من فارس إلى بغداد، وعرف الخليفة المقتدر بما له من خبرة ومنزلة علمية، فأمر أن يجرى عليه خمسون دينارًا في كل شهر، ولم تزل جارية عليه إلى حين وفاته في بغداد ليلة الأربعاء في اثنتي عشرة بقيت من رمضان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة من الهجرة.

- وقد ألَّف ابن دريد كتبًا كثيرة، منها:
- جمهرة اللغة
- أسماء القبائل
- الخيل الكبير والخيل الصغير
- السلاح
- صفة السَّرج واللجام.

انظر: **صفة السرج واللجام**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد الأزدي (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، حققه واستدرك عليه الدكتور مناف محمد، القاهرة، ١٩٩٢: ١٣، ٣٧.

(٧٩) وهي الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع، لمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة وأسبابها وأحداثها ونتائجها؛ انظر: **حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة**، محمد مصطفى زيادة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٩٦١؛ **الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية – مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية – الجزء الثالث أوروبا في العصور الوسطى ومراحل وقائع الحروب الصليبية**، سهيل ذكار، دار الفكر العربي، دمشق، ١٩٩٥؛ **بطل معركة المنصورة وآسر لويس التاسع ملك فرنسا: الملك الصالح نجم الدين أيوب وإنجازاته السياسية والعسكرية**، فاطمة زبار عنيزان الحمداني، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧.



كان يتهدد العالم الإسلامي، فكان خطر المغول، الذين اجتاحوا بلاد العراق وقضوا على الخلافة العباسية. وقد كان لهذه الظروف السياسية انعكاس على شتى مناحي الحياة السياسية والعسكرية والثقافية.

وكان الفارس أساس الجيش ومحوره، مما كان له أكبر الأثر على أدب الفروسية، فظهرت المؤلفات الكثيرة التي تدرس الفن الحربي العسكري للفارس والجندي المملوكي. وتميزت بأنها كانت من وضع معلمي الفروسية، مثل:

- بكتوت الرماح الخازندار الظاهري، المتوفى في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، «علم الفروسية وسياسة الخيل».
- نصر الدين الرماح، «كتاب اللعب بالرمح ومعرفة الفروسية».
- نجم الدين حسن الرماح المعروف بالأحدب، ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م، «الفروسية والمناصب الحربية».
- الغرناطي، عبد الله بن محمد بن جزي الكلبي، ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، «كتاب مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال».
- محمد بن عيسى الأقصرائي، ت ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م، «نهاية السؤل والأمنية في صناعة الفروسية».
- محمد بن منكلي الناصري[٨٠]، توفي بعد سنة ٧٧٨ هـ/ ١٣٧٦م، «الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب».

(٨٠) كان محمد بن منكلي أحد مقدمي الحلقة السلطانية، ثم نقيبًا للجيش المملوكي في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين ابن السلطان محمد بن قلاوون (٧٦٤هـ-٧٧٨هـ/ ١٣٦٢-١٣٧٦م)، واشتهر بأنه كان على معرفة وبصيرة تامة بفنون الحرب وحيلها علمًا وعملًا.

وله العديد من المؤلفات الحربية، مثل:

- المنهل العذب لورود أهل الحرب
- الأدلة الرسمية في التعابي الحربية
- الرسالة المرضية في صناعة الجندية
- التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية
- رسالة التحقيق في صورة التفويق (وهي رسالة عن السهم)
- كتاب الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب.

انظر: **الحيل في الحروب وحفظ المدائن وفتح الدروب**، محمد بن منكلي الناصري، ت ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م، دراسة وتحقيق نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب والوثائق القومية - مركز تحقيق التراث، القاهرة، ٢٠٠٠: ٥-٦.

- ألطمش، «غاية الإتقان في أعمال النشاب والصولجان».
- مؤلف مجهول، «معرفة لعب الدبوس والصراع على الخيل عند ملاقاة الخصم في أوقات الحروب».

ويوجد بمكتبة الإسكندرية العديد من النُّسَخ المصورة لمخطوطات الفروسية المحفوظة في المكتبة البريطانية، ومكتبة دير الإسكوريال بإسبانيا، ومعهد المخطوطات العربية، ومركز البحوث الكويتية، وكذلك المكتبة اليونانية الوطنية.

تتميز هذه المخطوطات بأنها من وضع معلمي الفروسية أنفسهم، وغالب الظن أنه كان يتم نسخها بواسطة عدد من النساخ؛ إذ تحتوي على كثير من الأخطاء الإملائية والنحوية. كما كان يتم تجاهل الهمزات فيكتب على سبيل المثال «راس» بدلًا من «رأس»، وكذلك يحذف الهمزة التي تزين حرف الكاف في نهاية الكلمات. كما يلاحظ أيضًا في مواضع عديدة تجاهل وضع نقاط الحروف المنقوطة، مثل الباء والفاء والياء، وغيرها.

كما تتداخل الألفاظ والمصطلحات الأعجمية الخاصة بالعسكرية مع الألفاظ العامية، وهو على عكس المخطوطات التي كتبها اللغويون والمحدثون المؤرخون، التي تتناول الخيل وأوصافها وألوانها، والممدوح والمذموم منها، وكذلك أسماؤها وأرسانها. فتميزت هذه المخطوطات بقوة العبارة وسلامتها من الأخطاء سواء اللغوية، أو الإملائية، أو النحوية. كما تميَّز بعضها بجمال الخط، حيث حرص كاتبها على تنميق الكتابة.



الخاتمة

كان للسيف دور مهم ومحوري في تدريبات الفروسية، وهو الأمر الذي تُظهِره المخطوطات العسكرية؛ حيث حرص المماليك على التربية العسكرية الصارمة لمماليكهم في الطباق، وتدريبهم على الحذق في الأسلحة القتالية المختلفة، التي يأتي على رأسها السيف. وكان لِزامًا على الفارس أن يتمرن على عدد من التعاليم التي تمكِّنه من إجادة أنواع الضرب المختلفة بالسيف. فبدايةً كان يعمد إلى التدرب على ضرب نشابات، فإذا أجادها امتطى صهوة جواده ليتعلم كيفية الضرب. والضرب يكون إما شذرًا أو قدمًا، أو ردًّا، أو دبرًا أو بعجًا، أو سفلًا. ثم يتعلم الفارس الضرب بالسيفين والوقوف على الفرس بالسيفين والرُّمحين، والعمل بالسيف والرمح معًا. وقد كانت كل تلك المهارات هي ما مَيَّزت الفارس المملوكي في العصور الوسطى، هذا إلى جانب تربيته العسكرية شديدة الصرامة في الطباق. وقد حفلت مخطوطات الفروسية العسكرية المملوكية بالمعلومات الغزيرة التي توضِّح لنا مدى اهتمام معلمي الفروسية بتدريب فرسانهم على أنماط الضرب بالأسلحة المختلفة والمتعددة.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر المخطوطة

- **كتاب الكمال في الفروسية وأنواع السلاح وآداب العمل وصفات السيوف والرماح**، مؤلف مجهول، مخطوط محفوظ بمكتبة الإسكندرية، مصور عن معهد المخطوطات العربية، فيلم ٤٢١، مخطوط ٢٤.
- **المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح وبنودها**، مؤلف مجهول، المكتبة الوطنية الفرنسية تحت رقم Arabe 2826.
- **النفحات المسكية في صناعة الفروسية**، شهاب الدين أحمد بن محمد الحسني الحموي، ت ١١٤٢هـ/ ١٧٢٩م، مخطوط محفوظ على قرص مرئي بمكتبة الإسكندرية، مصور عن مجموعة تشستر بيتي تحت رقم ٣٧١٩.
- **نهاية السؤل والأمنية في تعلم أعمال الفروسية في أمور السلطنة**، محمد بن عيسى الأقصرائي، ت ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م، مخطوط محفوظ بمكتبة قطر الرقمية، مصور عن المكتبة البريطانية، مخطوط رقم ADD 18866.

ثانيًا: المصادر المطبوعة

- «التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية»، محمد بن محمود بن منكلي، ت ٧٧٨هـ/ ١٣٧٧م، تحقيق صادق محمود، **مجلة المورد**، المجلد ١٢، العدد ٤، العراق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
- **حلية الفرسان وشعار الشجعان**، علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، توفي بعد ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م، تحقيق وتعليق محمد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م.
- **الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب**، محمد بن محمود بن منكلي، ت ٧٧٨هـ/ ١٣٧٧م، دراسة وتحقيق نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب والوثائق القومية - مركز تحقيق التراث، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- **خزانة السلاح**، مؤلف مجهول، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.
- **السلاح**، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط. ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
- **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦/ ١٩٥٧م.
- **السيوف وجواهرها**، مؤلف مجهول، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله السلومي، ط. ١، مكة المكرمة، ١٩٩٨م.
- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٥م.
- **علم الفروسية وسياسة الخيل**، بكتوت الرماح الخازندار الظاهري، ت ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م، مطابع الحرس الوطني، د.م، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- **الفروسية والمناصب الحربية**، نجم الدين حسن الرماح، ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م، تحقيق فاروق اسليم، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٧م.
- **لسان العرب**، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، ت ٧١١هـ/ ١٣١١م، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، ط. ٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- **مختصر سياسة الحروب**، أبو سعيد الشعراني الهرثمي صاحب المأمون، توفي بعد ٢٣٤هـ/ ٨٤٩م، تحقيق عبد الرؤوف عون، مراجعة محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، سلسلة تراثنا، القاهرة، د.ت.
- **المخصص**، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده، ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م، بيروت، د.ت.



- **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٩٩٥م.
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م، تحقيق إبراهيم علي طرخان، المؤسسة المصرية العامة للترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.
- **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م، تحقيق محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية - مركز تحقيق التراث، القاهرة، ٢٠٠٨م.

ثالثًا: المراجع العربية

- **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، محمد قنديل البقلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م.
- **الجندية في عهد الدولة الأموية**، وفيق الدقدوقي، ط. ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
- **العسكرية الإسلامية في العصر المملوكي**، أحمد محمد عدوان، عالم الكتب، الرياض، ١٩٨٥م.
- **الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري (٦٤٨-٧٨٣هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٣م)**، محمود نديم أحمد فهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.
- **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، محمد أحمد دهمان، ط. ١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م.
- **المعجم العسكري المملوكي**، محمد عبد الله سالم العمايرة، ط. ١، دار كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١١م.
- **المماليك**، السيد الباز العريني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم**، عبد المنعم ماجد، دراسة شاملة للنظم السياسية، ط. ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م.

رابعًا: الدوريات العربية والرسائل العلمية

- «الفارس المملوكي»، السيد الباز العريني، **المجلة التاريخية المصرية**، م. ٥، القاهرة، ١٩٥٦م.
- **المحمل المصري في العصرين المملوكي والحديث (٦٤٨-١٣٧٢هـ/ ١٢٥٠- ١٩٥٢م): دراسة تاريخية حضارية سياحية**، شيرين عبد الحليم القباني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية السياحة والفنادق، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٥م.

خامسًا: المراجع الأجنبية

- *Medieval Islamic Swords and Swordmaking – Kindi's Treatise on "Swords and Their Kinds"*, R. G. Hoyland, B. Gilmour, Oxford: 2012.

جهود المستشرقين الألمان
في تحقيق مخطوطات علم الكلام
ماركس مولَّر أنموذجًا

د. أحمد عطية(*)

ملخص البحث

هذه دراسة حاولتُ أن أعرض فيها جهود مدرسة الاستشراق الألماني في تحقيق مخطوطات علم الكلام، من خلال دراسة أحد أعلامها وبيان منجَزه التحقيقي لتراثنا العربي، وهو المستشرق «ماركس يوسف مولَّر» (ت ١٨٧٤م). وقد دارت الدراسة حول عدة قضايا ترتبط بهذا المستشرق ومدرسته التي ينتمي إليها مثل: مصادر ترجمته، ونقد هذه المصادر من حيث منهجية التناول، وسلبيات الدرس المصدري في تعرُّضه لترجمة يوسف مولر كما ورد في موسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي على سبيل المثال. ثم اهتمت هذه الدراسة كذلك بدراسة المنجز التحقيقي الذي خلَّفه يوسف مولر لتراثنا العربي، ويأتي على رأسه تحقيقه لمجموعة رسائل ابن رشد (فصلُ المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال - الكشفُ عن مناهج الأدلة في عقائد الملة - ضميمة العلم الإلهي)، ونقد تلك التحقيقات المختلفة؛ للوصول من خلال النقد إلى بعض الملامح العامة التي تميِّز مدرسة الاستشراق الألماني في تلك الحقبة المبكرة من تاريخ اهتمامها بالتراث العربي.

(*) كبير باحثين بمركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية.

لقد حاولتُ في هذه الدراسة أن أنطلق من النص التراثي الذي عالجه «مولر» لتقرير عدة سمات تتصل بمدرسة الاستشراق الألماني في زمنه؛ حيث جعلت عنصرًا أساسيًّا من عناصر دراسة نشرة مولر لرسائل ابن رشد تحت عنوان «ما يوحي به النص المنشور». وقد توصلتْ هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أدرجتها في نهايتها، وقد جاء على رأسها أن نشرات المستشرقين لتراثنا العربي هي من أوفق السبل - إن لم تكن أوحدها - للوصول إلى الملامح المميزة لمنهج المستشرقين في تحقيق هذا التراث. أمَّا المنهج الذي قامت عليه هذه الدراسة فهو المنهج النقدي الإحصائي، الذي يُعلي من شأن الدرس النقدي لهذا المنجز العلمي الذي خلَّفه المستشرقون الألمان في مجال تحقيقاتهم لمخطوطات علم الكلام.

The Efforts of German Orientalists in the Critical Editing of Kalam Manuscripts

Marx Müller as an Example

Dr. Ahmed Attia(*)

Abstract

This study highlights the efforts of the German school of Orientalism in the critical editing of *Kalam* manuscripts by revisiting the works of one of its eminent figures; Marx Joseph Müller (d. 1874 CE). The study investigates the sources of his biography and furnishes a critique of them; particularly the methodology in use, and where they fell short according to a number of studies, such as Abdel-Rahman Badawi's *Orientalists Encyclopedia*. The study also focuses on Müller's academic output in regards to our Arabic heritage, mainly his critical editing of some treatises of Ibn Rušd (*Fasl al-Maqāl wa Taqrīr ma bayn al-Šariʿa wa al-Hikma min al-Itisāl, al-Kašf ʿan Manāhij al-Adilla fī ʿAqā'id al-Milla & Damīma al-ʻIlm al-Ilāhī*). Through the critique of these editions, the study concludes some features of the German school of Orientalism in its early interest in Arabic heritage in the section entitled "What Müller's Critical Editions Reveal". The study is underpinned by the statistical critical approach as it enhances the examination of the academic achievements of the German orientalists in the field of *Kalam*.

(*) Senior Researcher at the Manuscripts Center, Bibliotheca Alexandrina.

في التقديم

هذه دراسة متأنية، تبدو أكثر تخصصية، نحاول عن طريقها رصد الجهود التي قدمتْها مدرسة الاستشراق الألماني تجاه التراث العربي، وبالخصوص دراسات علم الكلام القائمة على دراسة وتحقيق المنجز التراثي للعلماء المسلمين في هذا المجال المهم، الذي شكَّل في عمومه وجهة استشراقية ليس عند الألمان وحدهم، بل عند معظم مدارس الاستشراق الأوروبي.

إن التخصصية المقصودة هنا تنبع من اتجاهين لا بد أن نقررهما في بداية هذا البحث؛ حيث إنهما يمثلان الحدود التي تتحرك فيها هذه الدراسة؛ الاتجاه الأول: أن هذا البحث يهتم بدراسة مدرسة الاستشراق الألماني دون غيرها من مدارس الاستشراق المختلفة، التي كان لها سُهمة كبرى في نشر التراث العربي ودراسته.

والاتجاه الثاني: الاقتصار في الدراسة على بيان جهود مدرسة الاستشراق الألمانية في تحقيق مخطوطات علم الكلام، دون الالتفات إلى جهودهم في نشر ودراسة بقية فروع المعرفة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى دون الالتفات إلى أعمالهم الفكرية التي رصدت تاريخ الحركات الفكرية في المجتمع الإسلامي، التي تتجلى في كتابات «جوزيف فان إس» على سبيل المثال.

وقيمة هذه الحدود التي نشترطها في بداية البحث أنها تُخرجنا من دائرة الدراسات الفكرية التي قام بها المستشرقون الألمان حول علم الكلام، مثل: «الفلسفة والكلام عند ابن رشد»، لماركس يوسف مولر (ت ١٨٧٤م)، و«مذهب الذَّرَّة عند المتكلمين» لأوتو برتسل (ت ١٩٤١م)، و«صفات الله عند المتكلمين الأوائل» للمؤلف نفسه، و«مصادر جديدة تتعلق بتاريخ علم الكلام الإسلامي» ليوسف شاخت (ت ١٩٦٩م)، و«العبادات في مذهب الزيدية» لرودلف اشتروطمن (ت ١٩٦٠م)، و«القانون الدستوري لدى الزيدية» للمؤلف نفسه، و«علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة» لفان إس، إلى غير ذلك من تلك الدراسات الفكرية التي دارت حول حقل علم الكلام الإسلامي.



فهذه الدراسات على أهميتها لا تدخل في حقل الدراسة هنا، الذي يهتم بمنجز المعالجة التحقيقية لمخطوطات علم الكلام فقط. وقد تصلح أن تكون موطنًا لدراسات أخرى تدور حول تطور الدرس الفكري لدى المستشرقين الألمان في علاقتهم بعلم الكلام الإسلامي؛ بحيث تقوم على رصد حركة منجزهم الفكري منذ بداية اهتمامهم بهذا المجال إلى الوقت الحاضر.

ثم هناك مسألة منهجية أخرى بعد هذه الحدود التي بيَّناها هنا، تلتزمها هذه الدراسة، وهي أنها لن تسلك سبل التراجم العامة في دراستها للمنجز التحقيقي لهؤلاء المستشرقين الألمان، ولا حتى العرض المتعجل الذي التزمته بعضُ الدراسات التي ربما نجدها في عشر صفحات أو يزيد قليلًا عرضت لكلِّ جهود الاستشراق الألماني في علاقته بالتراث العربي على عمومه، وذلك من خلال وضع قوائم رصدية لكل مستشرق وأعماله التحقيقية التي ارتبط فيها بالتراث العربي المخطوط مع تعليق بسيط ربما لا يتعدى بضعة سطور فقط. هذا نوع من الدراسات لا ننتقده ولا نُنكره في هذا السياق، ويكفي أنه يقدم رؤية عامة حول جهود المستشرقين في علاقتهم بالتراث العربي، ولكن دراستنا هنا ستنحو منحًى أكثر تفصيلًا؛ حيث ستقف وقفة متأنية تعالج فيها كل مستشرق على حدة، وترجماته المختلفة، وقصور المؤلفات في باب الترجمة للمستشرقين، ثم منجزه التحقيقي الذي تصدى فيه لمخطوطات علم الكلام، ونقد هذه النشرات من خلال منهج يعتمد على دراسة النص المنشور، ورصد التحقيقات الأخرى لهذا النص الذي نشره المستشرق، ومكانة نشرة المستشرق بين هذه النشرات الأخرى، إلى غير ذلك من تلك النقاط المنهجية التي ستفتح الباب واسعًا أمام كثير من الدراسات التي ستدور حول عمل المستشرقين في تراثنا العربي، والتي من الممكن أن يأتي على رأسها ترجمة مقدمات المستشرقين لتحقيقاتهم المختلفة، والتي كتبوها بلغتهم الأم، والتي تحمل ملامح منهجهم في تعاملهم مع النص المخطوط.

لقد سُطرت كثير من الدراسات حول بيان منهج المستشرقين في علاقاتهم بالتراث العربي من زاوية علم معالجة النص أو علم التحقيق، ولكن افتقرت هذه الدراسات - حقيقة - إلى العمل التطبيقي على النص المنشور، وبيان آراء من أعادوا إعادة تحقيق هذا النص في النشرة الأولى للمستشرق. إن كل ذلك حريٌّ بنا أن نقف على منهج نقدي مستنبَط من النص بعد دورانه عليه.

والمستشرق الأول الذي ستدور حوله هذه الدراسة هو يوسف مولر المتوفى سنة ١٨٧٤م، وهو ما سنبينه فيما يلي إن شاء الله تعالى.



ماركس يوسف مُولَّر (ت ١٨٧٤م)

هو مستشرق لم نقف على ترجمته إلا في بعض المصادر فقط، ولعله لم يحظَ من الشهرة بمكان مما انعكس على تلك الترجمة. ولولا تلك الترجمة المتواضعة التي قدمها له الكونت فون شاك Graf von Schack في كتابه «نصف قرن: ذكريات ودراسات»، ونقلها عنه عبد الرحمن بدوي[١]؛ لانعدمت أخباره إلا مما أمدَّتنا به بعض ما وصلنا من تحقيقات لبعض المخطوطات العربية.

على أية حال، إن مصادر ترجمة هذا المستشرق يمكن أن نحصرها بدايةً في أربعة مصادر – إن كان يصح أن نطلق عليها مصادر – وهي: «معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة» ليوسف سركيس[٢]، و«موسوعة المستشرقين» لعبد الرحمن بدوي، و«الأعلام» لخير الدين الزركلي[٣]، و«معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢» لكامل الجبوري[٤].

ولكن بالتأمل في تلك التراجم الواردة لماركس مولر نجد أن الزركلي نقل ترجمته من صاحب «معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة»، وصرَّح بذلك في مصادر تلك الترجمة، وهي الترجمة نفسها تقريبًا التي أوردها له كامل الجبوري في كتابه «معجم الأدباء». هذا إذا اعتبرنا ما أورده عنه إدوارد فنديك في كتابه «اكتفاء القنوع بما هو مطبوع»[٥] أثناء الترجمة لكتابه «أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر»؛ ليس من باب الترجمة التي يمكن أن تقدِّم معلومات عن هذا المستشرق.

إذن ليس أمامنا إلا مصدران من مصادر ترجمته، وهما مهمان لمعرفة منجزه العلمي في مجال معالجة النصوص العربية المخطوطة؛ حيث إن بعض هذه المعالجات لم يصلنا منها إلا إشارات فقط في بعض تحقيقاته التي أُعيد تحقيقها مرة أخرى.

---

(١) انظر: **موسوعة المستشرقين**، عبد الرحمن بدوي: ٥٦٦.

(٢) انظر: **معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة**، يوسف إليان سركيس: ٢/ ١٧٩٦.

(٣) انظر: **الأعلام**، خير الدين الزركلي: ٧/ ٢٠٤.

(٤) انظر: **معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢**، كامل الجبوري: ٦/ ٢١٥.

(٥) انظر: **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**، إدوارد فنديك: ٣٧٦.

ويبدو أن الدكتور بدوي في ترجمته لمولر اكتفى بما كتبه عنه فون شاك فقط، وهذا أثر في ذكر بعض تحقيقاته المهمة، فلم يذكر له إلا رسالتي ابن رشد «فصل المقال» و«كشف مناهج الأدلة عن عقائد الملة»، في حين نسب إليه سركيس بعض التحقيقات الأخرى.

غاية الأمر أن أوفى ترجمة وصلتنا لماركس مولر هي تلك التي أوردها له عبد الرحمن بدوي في موسوعته التي ترجم فيها للمستشرقين، ونقلها كما بيَّنا من قبل عن الكونت فون شاك، ولم تزد ترجمة بدوي له على قوله: «مستشرق ألماني، مصنِّف فهرس للمخطوطات العربية في منشن (ميونخ)»(٦).

ثم ينقل الدكتور بدوي ترجمة فون شاك فيقول: «إنه عالم ممتاز في مجال اللغات الشرقية، وخصوصًا اللغة العربية، واتُّهم بالتهمة التي كانت شائعة كثيرًا آنذاك، وهي أنه (ديمقراطي أحمر)، فصار مشبوهًا لدى البلاط الملكي ولدى الوزارة، ومن بين ما اتُّهم به أنه في ١٨٤٨م حاول على رأس مجموعة مسلحة الاستيلاء على الحرس الرئيسي. لكن كل الذين عرفوا ملر لا بد أنهم كانوا يعلمون أن هذا غير صحيح. لقد كان ملر من الأحرار لكنه لم يكن أبدًا ثوريًّا، وابتعد تمامًا عن السياسة... ومع ذلك، كان لهذه الوشاية تأثير سيئ على مركزه، فبقي مرتّبه ضئيلًا جدًّا، بينما كان يستحق أن يُرفع. وبينما عهد على علماء آخرين بمهمات علمية، كان ملر يُهمَل دائمًا. وفي ميدان الآداب الشرقية لا يستطيع الفقراء أن يقوموا بعمل مهم دون مساعدة الدولة...»(٧).

إلى غير ذلك من تلك الترجمة التي تبين كيف أن السبل تيسرت لمولر بعد ذلك؛ حيث تم إيفاده في مهمة علمية إلى إسبانيا، واحتك هناك احتكاكًا مباشرًا بالمخطوطات العربية في مكتبة دير الإسكوريال. يقول فون شاك: «وبعد إقامته هناك لمدة قرابة عامين، قضى معظمها في الإسكوريال، عاد ملر بدوافع قوية ومخطوطات نسخها هو، وتعليقات وفيرة، ومقتطفات كثيرة - عاد ملر إلى منشن. وقد أدهشني كيف أنه استغل وقته خير استغلال. إن المواد التي عاد بها كانت ثمينة جدًّا

(٦) **موسوعة المستشرقين**: ٥٦٦.
(٧) السابق، نفسه.



ووفيرة جدًّا، حتى إنه لو قُدِّر له أن يعيش الكثير من عشرات السنين، لما استطاع أن يحقق كل النصوص التي جاء بها تحقيقًا نقديًّا أو أن يترجمها»[٨].

ولم أنقل بطبيعة الحال الترجمة كاملة في هذه الدراسة، وإنما اقتطفتُ منها ما يخدم المقصد من هذه الدراسة، وهو بيان جهود المستشرقين الألمان في تحقيق التراث العربي المخطوط؛ لذا لن تتوقف هذه الدراسات عند حد الترجمة فقط، وليس هو مقصدها الأول، وإنما هي إشارات فقط تفتح الباب لقضايا أخرى مهمة.

إن الشيء المهم في تلك الأجزاء التي تمدنا بها الترجمة السابقة هو قضاء مولر مدة عامين في مكتبة الإسكوريال الإسبانية، واطلاعه على بعض مخطوطاتها، ونسخ بعضها بيده، مما يؤكد ثراء فكرته عن التراث العربي. ثم يأتي في المقام الثاني - بعد الترجمة وقضاياها، تلك التي عرضنا لها في صدر هذه الدراسة - المنجز المعرفي الذي خلَّفه مولر في باب معالجة مخطوطات التراث العربي من زاوية علم التحقيق.

ولن نكتفي هنا بطبيعة الحال - كما فعلتْ كتب التراجم التي ترجمت لهذا المستشرق - بذكر بعض تحقيقاته على سبيل الإجمال، وإنما سنتوقف أمام بعضها مليًّا، ولو عن طريق ما كُتب عنها في حالة أنها لم تصلنا، لنحاول عن طريقها بيان منهج المستشرقين الألمان في تحقيقات التراث العربي المخطوط، وهل مدرسة الاستشراق الألماني لها ملامح خاصة بها تظهر في معالجاتها للنصوص المخطوطة؟ هذا هو مقصد الدراسة في أساسها لا عملية الترجمة فقط.

على كل حال، ليس أمامنا الآن إلا مصدران فقط يمكن عن طريقهما الوقوف على المنجز المعرفي لمولر في مجال معالجته للمخطوطات العربية من زاوية علم التحقيق، وهما: «معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة» لسركيس، و«موسوعة المستشرقين» لعبد الرحمن بدوي.

(٨) السابق، نفسه.

لقد ذكر يوسف سركيس أن مولر عني بنشر الكتب الآتي بيانُها[٩]:

- «أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر»، وهم ملوك غرناطة الأندلس، أظهرها من النسخة المحفوظة في دير الإسكوريال، ومعها ترجمة باللغة الألمانية، ميونخ، ١٨٦٣م.
- مجموعة رسائل لابن رشد.
- «المجموعة المغربية»، استخرجها من جملة تواريخ، وهي جزآن، وتشتمل على: أولًا: مفاخرة مالقة وسلا، ثانيًا: خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف، ثالثًا: أحوال المسلمين الخارجين من الأندلس، رابعًا: صفة المدن الأندلسية والمرينية لابن الخطيب، خامسًا: على مختصر تاريخ بني نصر لأبي الحسن بن عبد الله الجزامي (من القرن الثامن)، سادسًا: تراجم مستخرجة من الحلة السيراء لابن الأبار. وطُبعت هذه المجموعة في ميونخ من سنة ١٨٦٦م إلى ١٨٧٨م.
- وكذلك عني ملر بنشر الرسالة المسماة «مقنعة المسائل»، تأليف لسان الدين بن الخطيب.

هذه هي بعض المؤلفات التي عني مولر بنشرها من التراث العربي كما ذكر سركيس في «معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة». وقبل أن ننتقل إلى المصدر الآخر الذي تصدَّى لذكر المنجز التحقيقي لمولر، نجد أن هذه الترجمة قد أشارت في موطن واحد إلى مصدر المخطوطة التي اعتمد عليها مولر في نشر تحقيقه «أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر»؛ حيث ذكر سركيس أنه أظهرها عن مخطوطة الإسكوريال، وهذا أمر في غاية الأهمية؛ لأن هذه النشرة ربما لم تصلنا، ووصلتنا نسخٌ أخرى لهذا المخطوط بالإضافة إلى نسخة الإسكوريال نفسها، هنا يتوفر لدينا مرجح قوي لإعادة تحقيق هذه المخطوطة مرةً أخرى.

وهنا تأتي قيمة الدراسة المتأنية للمنجز المعرفي للمستشرقين، بدلًا من الترجمة السريعة التي تقف عند العناوين فقط. إن الدراسة المتأنية تقدم معلومات كبرى في باب الحقل المعرفي القائم حول الرغبة في إعادة تحقيق ما تمَّ إنجازه من تحقيقات على يد المستشرقين مرة أخرى لحاجة

---

(٩) انظر: **معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة**، يوسف إليان سركيس: ٢/ ١٧٩٦.



الدرس التراثي المعاصر إليه، ولأنه لم يُعالج بالصورة التي كان ينبغي أن يعالج بها وفق ضوابط وإجراءات علم التحقيق.

إن دراسة هذا المستشرق (مولر) هنا تحاول أن تقدم نموذجًا للدراسة التي ينبغي أن تقام حول المستشرقين في علاقتهم بالتراث العربي؛ بحيث تقتبس من سيرتهم الذاتية كلَّ ما يخدم تلك العلاقة، كذكر تلك الفترات التي قضوها في رحاب المكتبات الأوروبية الكبرى التي تضم آلاف المخطوطات العربية، ثم تقف وقفة متأنية أمام إنتاجهم العلمي أو بالأدق نشراتهم التحقيقية للتراث العربي، ونقد تلك النشرات، وذكر الدراسات النقدية التي وجهت إليها، والتحقيقات الأخرى للمخطوطات التي تناولوها بالتحقيق، وبيان هل تلك التحقيقات أو النشرات الأخرى قدمت جديدًا أو لا. إنها دراسة شاملة تخدم - في المنطلق القريب - المنجز التراثي الذي عالجه المستشرقون، وبيان موقعه من التراث العربي الآن.

على أية حال، إن إليان سركيس أثناء ترجمته لمولر لم يشر إلى أصول تحقيقاته الخطية إلا في كتاب «أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر»، الذي يعود إلى مخطوطة الإسكوريال كما قدمنا، وليته أشار إلى أصول بقية التحقيقات، ولو فعل لوفَّر علينا جهدًا كبيرًا في البحث عن هذه التحقيقات التي يفصلنا عنها ردح من الزمن، وأغلب الظن أنها لم تصل إلينا، وليس أمامنا إلا الرجوع إلى التحقيقات التالية للكتاب لنرى عن طريقها صنيع المستشرق أو المحقق الأول.

ثم لو تأملنا ترجمة مولر في «موسوعة المستشرقين» لعبد الرحمن بدوي – وهي في الحقيقة ترجمة الكونت فون شاك كما ذكرنا سابقًا - فسنجده يذكر من أعماله[١٠]: أبحاث في تاريخ العرب في إسبانيا - الأزمنة الأخيرة لغرناطة - الفلسفة والكلام عند ابن رشد، وهو يشتمل على تحقيق رسالتين لابن رشد هما: فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال، وكشف مناهج الأدلة عن عقائد الملة.

(١٠) انظر: **موسوعة المستشرقين**: ٥٦٧.

ومما يؤخذ على ترجمة الدكتور بدوي أمران:

أولاً: لم يعلّق بدوي في ترجمته على بعض هذه المؤلفات، ولم يبيّن أصولها الخطية الأولى، وإنما اكتفى فقط بذكر أسمائها في السياق العام للترجمة، ولعل هذا يتسق مع منهجه العام.

ثانيًا: لم يشر إلى مؤلفات أخرى قام مولر بتحقيقها، وأشار إليها سركيس، مثل «أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر» لمؤلف مجهول.

نخلص من كل ما تقدم من ترجمات لماركس مولر أنه قام بنشر المخطوطات التالية:

- «فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال» لابن رشد.
- «كشف مناهج الأدلة عن عقائد الملة» لابن رشد.
- «أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر» لمؤلف مجهول.
- «مقدمة المسائل» للسان الدين بن الخطيب.

هذا إذا اعتبرنا أن مؤلَّفَهُ «المجموعة المغربية» قد استخرجه من جملة تواريخ، ولم يقم فيه على أصول خطية معروفة.

إذن هذه بعض التحقيقات التي ستدور عليها بقية هذه الدراسة، التي سيكون هدفها هنا محاولة الوقوف على بعض ملامح منهج المدرسة الاستشراقية الألمانية في علاقتها بالتراث العربي، في تلك الحقبة المبكرة من تعرُّض المستشرقين لذلك التراث، فقد توفي مولر قرب نهايات القرن التاسع عشر، الذي احتوى مجمل حياته.



ثلاث رسائل للشيخ الأجَلّ العلامة أبي الوليد محمد بن رشد

نشر مولر تحت هذا العنوان ثلاث رسائل لابن رشد هي: «فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال»، و«الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة»، و«ضميمة العلم الإلهي».

وقد نُشرت هذه الرسائل في ميونخ سنة ١٨٥٩م، وقد شغلت الرسالة الأولى منها مقدار ست وعشرين ورقة، والثانية أخذت مساحة أكبر من المتن المنشور، فقد جاءت في حدود مائة ورقة بعد أن فصَّل مسائلها بعناوين داخلية، والثالثة جاءت في أربع ورقات فقط، وذكر في أولها أنها مسألة ذكرها أبو الوليد ابن رشد في فصل المقال.

هذا هو الوصف العام لتلك النشرة التي نشرها مولر لرسائل ابن رشد الثلاث، وهي نشرة مهمة كما بيَّنا من قبل؛ لأنها ستقدم لنا معلومات وفيرة عن منهج المدرسة الاستشراقية الألمانية في معالجتها للتراث العربي من زاوية علم التحقيق.

على كل حال، إن التعليق على هذه النشرة التي ضمَّت رسائل ثلاث لابن رشد سيكون من عدة اتجاهات مهمة:

- الاتجاه الأول: ما يوحي به النص المنشور.
- الاتجاه الثاني: ما ذكره المحققون الذين أعادوا تحقيق المخطوط مرة أخرى عن هذه النشرة.
- الاتجاه الثالث: عرض بعض الملامح العامة التي تبين منهج المدرسة الاستشراقية الألمانية عن طريق تحقيق مولر هذا.

الاتجاه الأول: ما يوحي به النص المنشور

لم تذكر كتب التوثيق والتراجم التي ترجمت لهذا المستشرق أية معلومات عن هذا التحقيق سوى أنه اعتمد فيه على مخطوطة الإسكوريال، التي جلبها مولر معه من رحلته العلمية إلى إسبانيا، وهي الرحلة التي استغرقت عامين، وهذه ربما من العيوب في كتب التراجم؛ ذلك أنها لم



تقف أمام بعض المصنفات لتقدم عنها رؤية شبه تفصيلية بسيطة يستطيع القارئ عن طريقها أن يبني تصوره السليم عن تلك النسخة الخطية أو ذلك الكتاب الذي انبثق عنها.

ولعل طبيعة التراجم العامة هي ما فرضت ذلك على من تصدوا لترجمة يوسف مولر، وهذا أفقدنا كثيرًا من المعلومات المهمة عن هذه النشرة، التي شكَّلت حلقة مهمة من حلقات التعامل مع التراث وخوض المستشرقين غمار نشره.

على أية حال، إن دراسة نشرة مولر السابقة تقدم لنا بعض الإشارات الكبرى المهمة في هذا الباب، التي تتمثل فيما يلي:

نُشرت هذه النشرة عن مخطوطة الإسكوريال فقط، ويؤيد هذا أننا لم نقف في النص المطبوع من هذه الرسالة على أثر للفروق الناتجة عن المقابلة بين النسخ الأخرى، بل هو نص واحد اعتمد فيه ناشره على نسخة واحدة، ويؤيد هذا ما ذكرتْه عنه التحقيقات التي أعادت تناول رسائل ابن رشد بالتحقيق مرة أخرى.

ورقم هذه النسخة الخطية التي اعتمد عليها مولر في نشر رسائل ابن رشد الثلاث يقع في مكتبة دير الإسكوريال تحت رقم (٦٣٢)، وتاريخ نسخه سنة ٧٢٤هـ (١٣٢٤م)، ومخطوط الإسكوريال هذا يشتمل على النصوص الرشيدية الثلاثة: فصل المقال، والضميمة، ومناهج الأدلة، كما أخبر بذلك الدكتور محمد عمارة في المقدمة التي صنعها لإعادة تحقيق فصل المقال مرة أخرى[١١].

لقد قدَّم مولر نشرته لهذه النصوص الثلاث بمقدمة بالألمانية، وهي لم تترجم إلى العربية حتى الآن - في حدود علمي - على الرغم من أهميتها، فلعلها تتضمن حديثًا مهمًّا ليس عن مخطوطة الإسكوريال ولكن عن منهج مولر في تحقيق هذا النص المخطوط. وهنا نقطة مهمة جدًّا تقدمها لنا الدراسة المتأنية للمنجز التحقيقي لمولر في مجال التراث العربي، وهذا شأن الدراسات المتأنية التي تقوم على شتى مجالات المعرفة؛ إنها قادرة على الوصول إلى تلك الدقائق التي لا يمكن أن

(١١) انظر: **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، أبو الوليد بن رشد، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة، دار المعارف بمصر: ١٢.



تُطرح على السطح بأي حال من الأحوال، فالوصول إليها يحتاج إلى بحث وتنقيب يلازمه جهد عقلي في محاولة إدراك الصورة برمتها.

إن دراسة تحقيق مولر للرسائل الثلاث لابن رشد يفتح الباب ليس نحو ترجمة مقدمة مولر وحده، وإنما نحو ترجمة مقدمات المستشرقين لأعمالهم التحقيقية المتصلة بتراثنا العربي، والتي كتبوها بلغتهم الأم، وهو أمر في غاية الأهمية من عدة وجوه، لعل أهمها بيان منهج الاستشراق في دراسته للتراث العربي، وهذه نقطة دقيقة جدًّا.

على أية حال، إن نشرة مولر المطبوعة في ميونخ سنة ١٨٥٩م لرسائل ابن رشد الثلاث خالية من أي تعليق على النص أو تخريج لما يحتاج منه إلى تخريج، وهذا ظاهر في النص الذي بدا كأنه نَقْلٌ للنص المخطوط إلى نص مطبوع فقط، وإن كانت تُحمد فيه القراءة الدقيقة للنص.

ولعلَّ عَرْض النص على هذه الهيئة مرتبط بمفهوم معالجة النص عند المستشرقين، فهو لا يتعدى نشر النص بدون تعليق ولا تخريج، إنه يدور في فلك إتاحة النص للدارسين؛ مجرد الإتاحة المبنية فقط على أساس واحد سليم، يتمثل في تقديم النص للقارئ وفق قراءة صحيحة تعبِّر عن نسخته الخطية أصدق تعبير.

وهذا هو الملمح الأول من ملامح مدرسة الاستشراق عمومًا - فضلًا عن المدرسة الألمانية - في معالجتها لنصوص التراث العربي. إن عملية إتاحة النص هي المسيطرة على ما عداها من عمليات أخرى خادمة للنص المخطوط.

ثم باستثناء المقدمة التي كتبها مولر بالألمانية لنشرته هذه، والتي لا ندري كُنهها، فقد وصلَنا النص بالعربية خاليًا من أية مقدمات قبلية، كالذي انتهجتها المدرسة المشرقية في عملها، ولعل هذا فارق مهم أيضًا بين المنهجين؛ منهج المدرسة المشرقية في التحقيق ومعالجة النص، ومنهج مدرسة الاستشراق.

صحيح أن المقدمة ربما تتضمن إشارات عن مثل هذه الدراسات القبلية، ولكن يبقى في النهاية أن النص المنشور قد وصلنا بالعربية غُفلًا من هذه الأمور المهمة.

إن نشرة مولر لرسائل ابن رشد أشبه ما تكون بطبعة الحجر التي لها خصائصها المميزة لها في تراثنا العربي. ثم إن التأمل في النص المنشور يوحي بملمح آخر لعله خاص بمولر، يتمثل في عملية تكشيف النص، أي صُنع الفهارس للنص المعالج من زاوية علم التحقيق. والسبب الذي دفعنا إلى القول إن هذا الملمح ربما خاص بمولر أو لعله خاص بالتحقيقات الأولى للمستشرقين، أن مدرسة الاستشراق في عمومها تهتم اهتمامًا مبالغًا فيه - في بعض الأحيان - بصُنع الكشافات، على عكس الصورة التي وصلَتْنا بها نشرة مولر.

غاية الأمر، هذه بعض الإشارات التي يمكن أن توحي بها الدراسة المتأنية لنشرة مولر لرسائل ابن رشد، وهي إشارات اعتمدنا عليها في بيان بعض ملامح منهج الاستشراق الألماني في تعامله مع تراثنا العربي.

وهنا إشارة مهمة لا بد من التركيز عليها، وهي أن الوصول إلى ملامح أي اتجاه فكري أو غيره لا بد أن يُنطلق من النص، فللنص إيحاءات دقيقة تغني عن صفحات كثيرة من عمليات التنظير، وهذا ما قصدناه هنا في هذه الدراسة.

وقد دارت هذه الإشارات حول ثلاث قضايا مهمة ترتبط بالنص المعالج معالجة تحقيقية، تتمثل في: التعليق على النص، والتقديم له، وتكشيفه (أي صنع فهارسه).

الاتجاه الثاني: ما ذكره المحققون الذين أعادوا تحقيق المخطوط مرة أخرى عن هذه النشرة

بين أيدينا مصدر آخر لبيان بعض ملامح طبعة مولر هذه لرسائل ابن رشد الثلاث، ويتمثل فيما ذكرته الطبعات الأخرى - التي أعاد أصحابُها تحقيق هذا المتن مرة أخرى - عن طبعة مولر التي كان لها فضل السبق في الكشف عن هذا الكتاب الذي «كان متداولًا في نسخته العربية مدة



تقرب من القرنين (بعد تاريخ تحريره)، وبعد ذلك أخذت تتداوله الأيدي في ترجمة عبرية وذلك لعدة قرون، إلى أن أصبح نسيًا منسيًا في الشرق وفي الغرب»[١٢].

إن المعلومات التي تقدمها الطبعات الأخرى التي أعاد أصحابها تحقيق المخطوط مرة أخرى مهمة للغاية؛ لأنها تقدم لنا – على الأقل - الأسباب التي دفعتهم إلى إعادة التحقيق مرة أخرى، وهي في ذاتها وصف دقيق لما عليه تحقيق مولر لهذه الرسائل الثلاث. كما أنها تمدنا بمعلومات مهمة عن النُّسخ الأخرى لهذا المخطوط وأماكن وجودها في مكتبات العالم.

وللوقوف على ما ذكره أصحاب هذه الطبعات لـ «فصل المقال» عن طبعة مولر؛ موطن الدراسة هنا، يقتضي بنا أن نقدِّم عرضًا موجزًا وسريعًا لتلك الطبعات التي توالت على كتاب «فصل المقال» لابن رشد لأهميتها. وهذا العرض مجرد قائمة فقط نبيِّن عن طريقها الخريطة العامة لطبعات المخطوط المختلفة، حتى نستطيع أن نضع الطبعات التي علَّقت على طبعة مولر في الميزان، مع العلم أن هذه القائمة موجودة في مقدمة أكثر من طبعة لفصل المقال، فهي موجودة في طبعة المطبعة الكاثوليكية في بيروت، التي قدَّم لها وعلَّق عليها الدكتور ألبير نصري نادر[١٣]، وكذلك في طبعة الدكتور محمد عمارة التي نشرتها دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢م[١٤]، ثم طبعة مركز دراسات الوحدة العربية لفصل المقال، التي كتب مدخلها ومقدمتها محمد عابد الجابري، وكتب مقدمة التحقيق محمد عبد الواحد العسري[١٥].

مع العلم أن الكلام هنا سينسحب إلى كتاب «الكشف عن مناهج الأدلة» لابن رشد، ورسالة «العلم الإلهي» أو «الضميمة»؛ لأن مولر طبعهما في كتاب واحد تحت عنوان «رسائل ابن رشد» كما قدمنا.

---

(١٢) انظر: **مقدمة الدكتور جورج فضلو الحوراني لمخطوط فصل المقال لابن رشد**، وقد وردت مترجمة إلى العربية في كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، قدَّم له وعلَّق عليه الدكتور ألبير نصري نادر، دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: ٤.

(١٣) انظر: السابق: ١-٣.

(١٤) انظر: **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، ابن رشد، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م: ١٢-١٧.

(١٥) انظر: **فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال**، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة التراث الفلسفي العربي، مؤلفات ابن رشد (١)، مع مُدخل ومقدمة تحليلية للمشرف على المشروع الدكتور محمد عابد الجابري: ٧٩-٨٠.



وتضم قائمة المطبوعات ما يلي:

- نشرة ماركس مولر في ميونخ عام ١٨٥٩م.
- ثم طُبعت هذه الرسائل الثلاث في القاهرة بالمطبعة العلمية عام ١٨٩٥م تحت عنوان «كتاب فلسفة ابن رشد».
- ثم طبعة مطبعة الآداب في مصر سنة ١٨٩٩م، التي اقتصرت على فصل المقال وضميمة العلم الإلهي تحت عنوان «فصل المقال»[١٦].
- طبعة المطبعة الحميدية (مصر) ١٩٠١م، وهي تُعَدُّ إعادة طبع لطبعة (المطبعة العلمية) التي أشرنا إليها، بحسب ما ذكر الدكتور محمد عمارة.
- نشرة ليون غوتيه في أواخر النصف الأول من القرن العشرين، حيث نشر غوتيه كتاب «فصل المقال» «والضميمة»، وترجمهما إلى الفرنسية، مضيفًا تصحيحات وتعديلات وشروح إلى النشرتين اللتين كان قد أصدرهما من قبل؛ الأولى سنة ١٩٠٥م بالجزائر، والثانية بالجزائر كذلك سنة ١٩٤٢م، مصحوبة بالنص العربي للكتاب الذي اعتمد في إخراجه على مخطوط الإسكوريال مع تصويبات وتعليقات، والثالثة نشرها عام ١٩٤٨م معتمدًا على مخطوط الإسكوريال وحده، معتذرًا عن عدم تمكنه من استعمال مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية. ونظرًا للأهمية التي ما فتئ يحظى بها التراث الرشدي في الغرب، ولراهنيته المستمرة كذلك، أُعيد طبع هذه الترجمة بالعنوان نفسه بباريس عام ١٩٨٣م، وذلك بحسب ما ذكره محمد عبد الواحد العسري في مقدمة تحقيق فصل المقال الذي نشره مركز دراسات الوحدة العربية[١٧].
- وفي سنة ١٩٥٩م، قام جورج فضلو الحوراني بتحقيق نقدي هذه المرة لكتاب «فصل المقال» مع «الضميمة»، ونشره عند بريل بليدن، وقد قدَّم للكتاب باللغة الإنجليزية ذكر فيها

(١٦) انظر: مقدمة تحقيق **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، ابن رشد، للدكتور محمد عمارة: ١٣.

(١٧) انظر: مقدمة تحقيق **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، نشرة مركز دراسات الوحدة العربية: ٧٩.



منحاه في التحقيق، وأشار إلى مختلف النسخ العربية والعبرية واللاتينية التي اعتمد عليها، كما وضع عليها تعليقات ذكر فيها أهم الفروق التي بين النسخ. ثم أعاد ألبير نادر نشر طبعة الحوراني مع ترجمة مقدمته إلى العربية، مع إضافات على مستوى الشروح والتعليقات. وقد صدرت الطبعة الأولى منذ عام ١٩٦١م، ثم توالت طبعاتها بعد ذلك.

- وفي سنة ١٩٦٩م، قام الدكتور محمد عمارة بإصدار طبعة جديدة مشكولة مستعينًا بمخطوطة أخرى توجد في التيمورية (دار الكتب المصرية رقم ١٣٣: حكمت تيمور)، كان الحوراني قد عدَّها مجرد نسخة من طبعة مولر. وتتميز طبعة محمد عمارة باهتمام صاحبها بتخريج الأحاديث، فضلًا عن الآيات القرآنية والترجمة للأعلام... إلخ. وهي تمثِّل تقدمًا لا شك فيه بالنسبة لما سبقها، ولكنها لا تخلو من بعض الهنات والهفوات، كما أن إلحاحه على كون النسخة «التيمورية» نسخة أصلية وليس مجرد نسخة رديئة من طبعة مولر لم يكن مبررًا، فلم يؤيد اعتقاده هذا بمقارنة نقدية بين تلك المخطوطة وبين مخطوطات الإسكوريال ومخطوط المكتبة الوطنية بمدريد[١٨].

- ثم نشر مركز دراسات الوحدة العربية رسالة «فصل المقال» بالإضافة إلى «ضميمة العلم الإلهي» ضمن سلسلة التراث الفلسفي العربي، مؤلفات ابن رشد (١)، مع مدخل ومقدمة تحليلية للدكتور محمد عابد الجابري. وقد كتب مقدمة التحقيق لهذه النشرة محمد عبد الواحد العسري. وجاءت هذه النشرة ضمن مشروع عام يشرف عليه الأستاذ محمد عابد الجابري، ويرمي إلى إعادة تحقيق كتب ابن رشد الأصلية، استنادًا إلى مختلف مخطوطاتها وطبعاتها المتعددة.

هذه إشارة سريعة لقائمة النشرات التي تعرَّضت لها رسائل ابن رشد الثلاث، وقيمة هذه القائمة أنها تضم نقدًا مهمًّا للمحققين الذين أعادوا تحقيق الرسائل مرة أخرى لطبعة مولر، التي نحن بصدد الحديث عنها.

(١٨) انظر: السابق: ٨٠.

وسوف نكتفي هنا بثلاث نشرات أخرى لفصل المقال، بيَّن عن طريقها محققوها مواطن الخلل في طبعة مولر التي صدرت في ميونخ عام ١٨٥٩م، وتتمثل هذه النشرات الثلاث فيما يلي:

أولًا: نشرة الدكتور محمد عمارة لـ «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال»

لقد عرض الدكتور محمد عمارة في مقدمة تحقيقه لفصل المقال قائمة بالنشرات السابقة لهذه الرسالة، والتي من بينها طبعة مولر، وقد قال عنها: «وأولى طبعات هذا الكتاب هي التي حققها وقدم لها المستشرق الألماني يوسف مولر في ميونخ سنة ١٨٥٩م، وفي تحقيقه لها - مع مناهج الأدلة - التي أخرجها مولر مجتمعة؛ كان الاعتماد على مخطوط وحيد موجود بمكتبة الإسكوريال رقمه بها (٦٣٢)، وتاريخ نسخه ٧٢٤هـ (١٣٢٤م). ومخطوط الإسكوريال هذا يشتمل على النصوص الرشيدية الثلاثة: فصل المقال، والضميمة، ومناهج الأدلة.

ولقد قدَّم مولر لطبعته هذه بمقدمة باللغة الألمانية، وخلت صفحات النص من أي تعليق موضوعي، ثم قام مولر بترجمة هذه النصوص الرشيدية الثلاثة إلى اللغة الألمانية، ونُشرت هذه الترجمة بعد وفاته بعام (١٨٧٥م).

ولمدة قرن كامل (١٩٥٩-١٨٥٩م) غدت طبعة مولر هي المصدر الوحيد والأساس لكل الطبعات التي صدرت لفصل المقال وضميمة العلم الإلهي، وهي طبعات كثيرة»[١٩].

إن أوجه النقد التي وجهها الدكتور عمارة لطبعة مولر تتمثل في أمرين مهمين:

الأمر الأول: أن مولر اعتمد على مخطوطة الإسكوريال وحدها، ولم يستوفِ النسخ الخطية للمخطوط. ولعل هذه إشارة أن هذا الإجراء من إجراءات عملية معالجة النص المخطوط لم يكن مفعلًا في أذهان المستشرقين - على الأقل - في تلك الحقبة المبكرة من تعرضهم للتراث العربي والتفاعل معه، وربما تؤكد لنا مقدمته الألمانية ذلك، تلك التي لم نقف لها على ترجمة

(١٩) انظر: مقدمة تحقيق **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، ابن رشد، للدكتور محمد عمارة: ١٢.



بالعربية حتى الآن، فإذا كان مولر لم يشر في هذه المقدمة إلى قضية معاناته في محاولة الوصول إلى نسخة أخرى للمخطوط تتم في ضوئها إخراج النص والتعليق عليه، فإن ذلك مؤشر قوي تجاه ملمح مهم من ملامح تعامل المستشرقين مع النص المخطوط، ولو في بدايات احتكاكهم بالتراث العربي، وهو أنهم لم ينشغلوا في تحقيقاتهم بقضية الوقوف على النسخ المختلفة للنص المخطوط، والتي تضبط محاولة الوصول بالنص إلى مراد مؤلفه.

هذا مجرد افتراض فقط لا يرقى إلى اليقين، وسبب ذلك أنه ليس بين أيدينا الآن ترجمة عربية لمقدمة مولر الألمانية لنشرته لـ «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» لابن رشد.

إن الدراسة المتأنية لأوجه النقد التي قام بها المحققون الذين أعادوا نشر فصل المقال، تفتح الباب واسعًا أمام دراسات أخرى، لعل أهمها عملية ترجمة مقدمات المستشرقين لتحقيقاتهم العربية، التي كتبوها بلغتهم الأم.

الأمر الثاني: وهو وجه مهم من أوجه النقد التي تمثل ملمحًا مهمًّا من ملامح منهج المستشرقين في تعاملهم مع التراث العربي، ويتمثل في قول الدكتور محمد عمارة: «وخلت صفحات النص من أي تعليق موضوعي»، فالمستشرقون في تعاملهم مع التراث العربي لا يلقون بالًا لإجراء آخر مهم من إجراءات التحقيق، يتمثل في تخريج النص والتعليق عليه، فالمهم عندهم هو إتاحة النص للقارئ، فالنص يحتل المرتبة الأولى، وإتاحته هي الهدف الأسمى.

هذان ملمحان نقديان يمكن الوقوف عليهما من خلال الوقوف على نشرة الدكتور عمارة لفصل المقال، وهما يدوران حول إجراءين من إجراءات التحقيق هما: جمع النسخ الخطية والمقابلة بينها، والتعليق على النص.

ثانيًا: نشرة الدكتور ألبير نصري نادر لـ «فصل المقال» لابن رشد

لم تختلف أوجه النقد التي وجَّهها الدكتور ألبير لنشرة مولر كثيرًا عمَّا ذكره الدكتور محمد عمارة، ولكن قيمة نشرة ألبير لفصل المقال أنه ترجم تلك المقدمة التي كتبها جورج فضلو الحوراني بالإنجليزية، وصدَّر بها تحقيقه لفصل المقال والضميمة سنة ١٩٥٩م. وقد وضع ألبير هذه

المقدمة مترجمة في صدر نشرته لفصل المقال سنة ١٩٦١م. ومن الفوائد المهمة التي توحي بها هذه المقدمة (مقدمة جورج الحوراني) أنه ذكر نسخة أخرى لهذا المخطوط، وهي النسخة المحفوظة في المكتبة الأهلية في مدريد، ويرجع تاريخ نسخه إلى عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥-١٢٣٦م[٢٠].

ثم قدَّم الحوراني في مقدمته وصفًا للنسخة المخطوطة من «فصل المقال» الموجودة في المكتبة الأهلية في مدريد، التي قال في آخرها: «ولقد فضَّلت هذا المخطوط (مخطوط المكتبة الأهلية) على مخطوط الإسكوريال في ١٤٠ موضعًا، وفي أغلب هذه المواضع كانت قراءة هذا المخطوط أوضح ومعقولة أكثر مما جاء في مخطوط الإسكوريال، كما أنها أقرب إلى أسلوب ابن رشد. وفي باقي المواضع كنتُ أفضِّل مخطوط المكتبة الأهلية لأقدميته وملاءمته»[٢١].

إن قيمة هذا الوصف الذي قدمه الحوراني لنسخة المكتبة الأهلية في مدريد مهم للغاية في مسألة ترتيب منازل النسخة الخطية للمخطوط؛ حيث أضافت بعدًا جديدًا في غاية الأهمية حيال مسألة الترتيب هذه، يتمثل في قرب المخطوط من أسلوب مؤلفه، وهذا يتطلب دراسة مؤلفات أخرى للمؤلف لمعرفة أسلوبه، وهذه نقطة تجعل من عملية التحقيق القائمة على النص حركة علمية متكاملة، وليس مجرد إجراءات اصطناعية تتصدرها المقابلة بين النسخ المختلفة للمخطوط.

ووجه النقد الوحيد الذي وجهه الحوراني لنشرة مولر في «فصل المقال»، أنه لم يطّلع على مخطوط المكتبة الأهلية هذا، حيث يقول: «لقد اضطر مولر أن ينجز عمله بسرعة، فاعتمد على مخطوط الإسكوريال فقط، فجاءت طبعته محترمة يستحق الثناء عليها»[٢٢].

---

(٢٠) انظر: **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، تحقيق ألبير نادر: ٥.

(٢١) السابق، نفسه.

(٢٢) السابق: ١٨.



ثالثًا: نشرة مركز دراسات الوحدة العربية في سلسلة التراث الفلسفي العربي

وردت هذه النشرة تحت عنوان «فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال» أو «وجوب النظر العقلي وحدود التأويل: الدين والمجتمع»، وأشرف على هذه النشرة وصنع لها مقدمة تحليلية محمد عابد الجابري. أما مقدمة التحقيق فصنعها محمد عبد الواحد العسري - كما قدمنا - وقد علّق صاحب المقدمة على طبعة مولر في إطار عرضه للنشرات السابقة لرسائل ابن رشد الثلاث، وجاء تعليقه على هذه الطبعة مهمًّا يضيف بعدًا آخر من أبعاد إجراءات التحقيق التي خلا منها النص المعالج للمستشرق مولر، حيث يقول: «في مطلع النصف الثاني من القرن الماضي نشر ماركس جوزيف مولر ضمن مجموع ثلاثة نصوص رشدية، هي هذا الكتاب مع رسالة كتبها ابن رشد لأحد أصحابه في موضوع (العلم الإلهي) وتعرف الآن بـ (الضميمة)، إلى جانب كتاب (الكشف عن مناهج الأدلة)، معتمدًا في ذلك على مخطوطة واحدة محفوظة في دير الإسكوريال قرب مدريد بإسبانيا. وفيما عدا مقدمته بالألمانية التي صدَّر بها نشرته هذه فإنه لم يهتم بتخريج الآيات والأحاديث المستشهَد بها في هذا النص، ولا بوضع تعليقات وهوامش عليه، فضلًا عن أخطاء كثيرة. وقد عمد كثير من الناشرين في مصر إلى إصدار طبعات مستنسَخة استنساخًا من هذا النص، مكرِّرة عيوبه وأخطاءه»[٢٣].

إن هذا التعليق مهم للغاية؛ لأنه يشير إلى إهمال مولر لإجراء مهم من إجراءات التحقيق، وهو تخريج النص والتعليق عليه، وثمة فارق بين التخريج والتعليق لا يخفى على المشتغل بمعالجة النصوص التراثية معالجة تحقيقية. ويبدو أن هذا ملمح عام من الملامح المميزة لتحقيقات المستشرقين، على الأقل في تلك الفترة المبكرة في التعرُّض للتراث العربي المخطوط.

إن وجه النقض هنا في نشرة مركز دراسات الوحدة العربية لا يختلف كثيرًا عن وجوه النقض التي قدمها المحققون الذين أعادوا تحقيق رسائل ابن رشد مرة أخرى، وهو ما يؤكد عمومية الملمح النقدي المتفق عليه لدى الجميع، وهو ما يدفعنا إلى الارتقاء بهذا الملمح المشتق من ملاحظة

(٢٣) انظر: مقدمة تحقيق **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، نشرة مركز دراسات الوحدة العربية: ٧٩.

النص المنشور إلى صفة عامة من صفات منهج المستشرقين في معالجة التراث العربي. وهذا الارتقاء يعتمد في تقريره على النص لا غير.

غاية الأمر، هذه هي التعليقات المهمة التي جاءت من قِبل المحققين الذين أعادوا تحقيق رسائل ابن رشد الثلاث، التي على رأسها «فصل المقال»، وهي مهمة للغاية في عملية محاولة استنباط منهج المستشرقين في تحقيق التراث العربي، لا من الدرس النظري ولكن من التطبيق الفعلي القائم على النص.

وبقي لنا في هذه الدراسة المتأنية التي دارت حول جهود المستشرق مولر في تحقيق رسائل ابن رشد، أن نعرض لبعض النتائج المستخلَصة من هذه الدراسة، وهذا ما نوضحه فيما يلي.



نتائج الدراسة

إن هذه الدراسة التي دارت حول جهود المستشرق ماركس مولر في نشر مخطوطات علم الكلام، بوصفه أحد أفراد المدرسة الألمانية في تحقيق التراث العربي في تاريخها المبكر؛ يمكن أن تقرر النتائج التالية:

أولًا: إن الدراسة المتأنية لمنجز المستشرقين التحقيقي للتراث العربي تطرح قضايا كثيرة مهمة، تحتاج إلى مزيد من الدراسات والبحوث، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تقف أمامها تلك الدراسات المتعجلة التي لا تتعدى كونها نتفًا من الترجمة لهذا المستشرق أو ذاك.

ثانيًا: إن الوقوف الحقيقي على ملامح منهج المستشرقين في تحقيقاتهم للتراث العربي - فضلًا عن منهج المدرسة الألمانية - يجب أن ينبع من النص المحقَّق ذاته، فالنص خير دليل على منهج صاحبه، والابتعاد عن النص وتقرير قضايا نظرية عامة يُدخل الدارس لمدارس الاستشراق في حيرة كبرى.

ثالثًا: إن من أهم المصادر التي يمكن عن طريقها بيان الوجهات النقدية لتحقيقات المستشرقين للتراث العربي، تتمثل في النشرات اللاحقة للنص المخطوط نفسه الذي عالجه المستشرق من قبل؛ حيث إنه يُفرض على المحقق التالي للنص أن يبين أسباب إعادة تحقيق النص مرة أخرى، وهذه الأسباب في ذاتها ملامح نقدية مهمة تبيِّن ملامح منهج الاستشراق عن قرب.

رابعًا: إن تتبع ترجمة ماركس مولر بين المصادر المختلفة تعكس لنا قضية مهمة تتمثل في أن غالبية التراجم التي دارت حول المستشرقين في الدرس التراثي الحديث، هي من باب التراجم العامة التي تقف في عجالة أمام الاسم وتاريخ الوفاة وبعض المنجزات العلمية البسيطة في بعض الأحيان فقط؛ أما بقية قضايا الترجمة من تعليق على مؤلفاته، وطرح قضاياها أمام الباحثين؛ فلا نجد لها صدًى فيما وقفنا عليه من ترجمة مولر، اللَّهُمَّ إلا ما كتبه عنه فون شاك في كتابه «نصف قرن: ذكريات ودراسات».



خامسًا: إن بعضًا من ملامح منهج مولر في تحقيقاته لمخطوطات علم الكلام الإسلامي يمكن أن تدور حول النقاط التالية:

- قصر الغرض من عملية التحقيق على مجرد إتاحة النص للقارئ، وبالتالي لم ينشغل بالبحث عن نُسخ أخرى للمخطوط يمكن أن ينضبط في ضوئها النص، ونضمن بها ولو مجرد قرب النص من مراد مؤلفه.
- لقد خلا تحقيق مولر لرسائل ابن رشد من أية تعليقات للنص، أو تخريجات لما يحتاجه إلى تخريج منها، وهو ملمح ربما نقرر فيما بعد - بعد دراسة تحقيقات أخرى للمدرسة الألمانية بعد مولر - أنه ملمح خاص ببدايات مدرسة الاستشراق الألماني في علاقتها بالتراث العربي المخطوط.
- عدم الاهتمام بتكشيف النص بالشكل الذي يخدم القارئ، ويمكن أن ينطبق ما قلناه في النقطة السابقة على هذه النقطة، من أن هذا يعدُّ أحد الملامح المبكرة فقط.

سادسًا: إن الاتجاهات النقدية المنبثقة من النص لا بد أن تدور في عمومها حول إيحاءات النص، وما قيل عنه في النشرات التالية له، ثم دراسة الحقبة التاريخية التي أُنتج فيها النص، أي بيان موقع محققه من مدرسة التحقيق التي ينتمي إليها.

المصادر والمراجع

- **الأعلام**، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.
- **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**، إدوارد كرنيليوس فانديك (ت ١٣١٣هـ)، صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي، مطبعة التأليف (الهلال)، مصر، ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م.
- **فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال**، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة التراث الفلسفي العربي، مؤلفات ابن رشد (١)، مع مُدخل ومقدمة تحليلية للمشرف على المشروع الدكتور محمد عابد الجابري.
- **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، تحقيق ألبير نادر، دار المشرق العربي، بيروت، لبنان.
- **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، أبو الوليد بن رشد، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة، دار المعارف بمصر.
- **معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢**، كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- **معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة**، يوسف إليان سركيس، مطبعة سركيس مصر، دار صادر، بيروت، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.
- **مقدمة الدكتور جورج فضلو الحوراني لمخطوط فصل المقال لابن رشد**، وقد وردت مترجمة إلى العربية في (كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، قدَّم له وعلَّق عليه الدكتور ألبير نصري نادر، دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.
- **مقدمة تحقيق فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، نشرة مركز دراسات الوحدة العربية.
- **موسوعة المستشرقين**، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.

دراسات التحقيق والفهرسة

كتاب «المجموع المبارك» للمكين جرجس بن العميد (٦٠٢ - بعد ٦٧٩هـ/ ١٢٠٥ - بعد ١٢٨٠م)

الأب الراهب ميصائيل البرَموسي(*)

ملخص البحث

كتاب «المجموع المبارك» تأليف المؤرخ المكين جرجس بن العميد هو أحد كتب التاريخ المهمة؛ لِـمَا يحتويه من تاريخ جامع منذ الخليقة إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي. وقد شمل كثيرًا من الأحداث المهمة، ولا سيما في قسمه الثاني الخاص بتاريخ المسلمين؛ حيث سلَّط الضوء على العلاقة بين المسلمين والبيزنطيين في العصر الوسيط. وقد أدرك مؤرخون مسلمون ومسيحيون، قدامى ومحدثون، أهمية تاريخ المكين، فتنبهوا له، ونبَّهوا إليه، واقتبسوا منه، وأصبح مصدرًا مهمًّا لهم، ومنهم: ابن خلدون، والقلقشندي، والمقريزي، خاصةً في الأمور المتعلقة بفترة ما قبل الإسلام أو الأحداث المسيحية بالتحديد. ويزيد من أهمية تاريخ المكين كونه واحدًا من المصادر المبكرة في حقل الدراسات التاريخية، فضلًا عما احتواه من مادة تاريخية مهمة، كما كان نقطة تحوّل في حقل الدراسات العربية في أوروبا منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي.

(*) راهب في دير السيدة العذراء برموس بوادي النطرون، وباحث في علوم المخطوطات والقبطيات.

Al-Majmūʿ Al-Mubārak by Al-Makīn Jirjis b. Al-ʿAmīd

(602 – C. 679 AH/ 1205 – C. 1280 CE)

Father Misael Al-Baramusi(*)

Abstract

Al-Majmūʿ Al-Mubārak (The Blessed Collection), a book composed by Al-Makīn Jirjis b. Al-ʿAmīd (George Elmacin), is one of the most important historical books, as it includes a world chronicle starting from the Creation till the 7th century AH/ 13th century CE. It cites many momentous events, particularly in the second part, which covers Islamic history and sheds light on the relation between Muslims and Byzantines in the Middle Ages. Ancient and contemporary Muslim and Christian historians recognized the importance of Al-Makīn's history, so they used it as constant reference and quoted from it especially in the pre-Islamic period and Christian events, to name but few: Ibn Khaldūn, Al-Qalqašandī, and Al-Maqrīzī. The book acquires also its importance from being one of the earliest references in the field of historical studies, and it was a turning point in the field of Arabic studies in Europe starting from the 17th century.

(*) Monk at the Monastery of Our Lady Baramus in Wadi El-Natrun, and researcher in Codicology and Coptic Studies.

(أولًا)

حياة المكين جرجس بن العميد (المؤلف)

هو المكين جرجس بن العميد أبو الياسر بن أبي المكارم بن أبي الطيب، الشهير بالشيخ المكين ابن العميد[1]، مؤرخ مسيحي ينتمي إلى أسرة من تكريت في بلاد ما بين النهرين، جاءت إلى مصر حيث وُلد سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م، وتقول بعض المصادر والمراجع إنه كان يعقوبيًّا، والبعض الآخر يقول إنه كان قبطيًّا، والأصح أنه سرياني لا قبطي[2]، وربما يرجع هذا اللبس لمولده في مصر ومكانة أسرته فيها، ونقطة أخرى هي أن الكنيسة القبطية والسريانية جمعتهما علاقات قوية ومتينة منذ القِدم، ما جعل هناك نوعًا من التأثير والتأثر لدى الطرفين.

عمل والده في ديوان الجيش وخدم هناك خمسًا وأربعين سنة. وشغل جرجس بن العميد نفس منصب والده في ديوان الجيش في القاهرة، ولاحقًا في سوريا، حتى سُمِّيَ المكين (كاتب الجيوش المنصورة)، فقد لقي حظوة عند الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب؛ نظرًا لأخلاقه الدمثة، وطباعه الحسنة، وأمانته، حتى إنه أصرَّ على تعيينه شاهدًا للخزانة (أمينًا للصندوق). ووفقًا للصُّقاعي، كان جرجس بن العميد ناجحًا وموثوقًا به، لكنه أثار غيرة زميله الذي خانه للحصول على منصبه. فخسر وظيفته، وقُبض عليه، وسجنه السلطان المملوكي الظاهر بيبرس[3].

---

(١) هناك بعض المؤرخين الذين ذكروا أسماء أخرى له، ولكنها غير محققة مثل: جرجس المكين بن أبي جعفر العميدي أبي المكارم المصري (**هدية العارفين**، ج. ١: ٢٥٠)؛ جرجيس «أو عبد الله» بن أبي اليسير (بروكلمان، ج. ٦: ١٤٤)؛ جوارجيوس المكين (فانديك: ٧٨)؛ جورج بن المكين (مخطوط ٢٩٢٣٥، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية). وقد كتبنا في المتن ما وضعه الكاتب بنفسه في تاريخه. راجع: **أخبار الأيوبيين**، المكين جرجس بن العميد، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٧م: ٥.

(٢) وقع الأب لويس شيخو اليسوعي في هذا الإشكال حول مذهب ابن العميد، فقال مرة إنه كان يعقوبي النحلة وأخرى إنه قبطي، في حين قال إسحق أرملة - حازمًا - إنه كان سريانيًّا، وقال بولس سباط وفؤاد إفرام البستاني إنه كان قبطيًّا. راجع: **المكين جرجس بن العميد**، وسام بشارة كبكب، نشره في مجموع أبحاث ومقالات مهداة إلى المطران ناوفيطوس إدلبي (١٩٢٠-١٩٩٥م)، جامعة القديس يوسف، بيروت، ٢٠٠٥م: ٢٠٨.

(٣) **تالي كتاب وفيات الأعيان**، فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي، تحقيق جاكلين سُوبلة، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، ١٩٧٤م: ١١٠.

وهناك رأي آخر يفيد بأنه تعرض إلى وشاية من بعض المتربصين[٤]. غير أن ابن الواسطي يعطي سببًا آخر لاعتقاله[٥]، إذ اتُّهم بالخيانة العظمى للتتار. لكن يبقى حدث الاعتقال هو المؤكد، حيث عانى عقابًا قاسيًا من سلطان المماليك الظاهر بيبرس، إذ سُجن طيلة حكم هذا السلطان، ولم يُطلق سراحه إلا في عام ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م[٦]، واختار بعدها أن يقضي بقية حياته في دمشق. ووفقًا للدراسات الحديثة، فقد توفي بعد عام ١٢٨٠م، على الرغم من أن بعض المؤرخين مثل الصُّقاعي والصفدي والمقريزي يحددون تاريخ وفاته على أنه ١٢٧٣م[٧]. وهناك دراسة أوردت عدة أسباب تنفي وفاة المكين سنة ١٢٧٣م، وهي[٨]:

- سُجن المؤرخ لمدة إحدى عشرة أو خمس عشرة سنة، أي حتى سنة ١٢٧٢م أو ١٢٧٦م، ولم يكن قد وضع بعد تاريخه.
- في الجزء الأول من المجموع المبارك «غير المنشور»، وبصدد الحديث عن الإسكندر الأكبر (مخطوط باريس ٢٩٤، ورقة ١٣٣ظ)؛ يذكر المكين سنة ٦٧٧هـ(سنة ١٢٧٨م)، ومن ثم يكون المؤرخ قد كتب بعد هذا التاريخ.
- في مقدمة الجزء الثاني من المجموع المبارك «المنشور»، يعلن المؤرخ أنه يتوقف عند حُكم الظاهر بيبرس، ويطلب له الرحمة، وقد مات بيبرس سنة ١٢٧٧م، ومن ثم فإن المكين قد كتب بعد هذا التاريخ.
- في الجزء الثاني ذكر المكين ظاهرة جوية حدثت في ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستمائة (الموافق سنة ١٢٧٦م).

---

(٤) **تاريخ آداب اللغة العربية**، جرجي زيدان، ج. ٣، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩١٣م: ١٨٥.

(٥) **رد على أهل الذمة ومن تبعهم**، شهاب الدين غازي بن أحمد ابن الواسطي، تحقيق الدكتور تركي بن فهد آل سعود، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، ٢٠١٠م: ٦٩.

(٦) **التاريخ العربي والمؤرخون**، شاكر مصطفى، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م، ج. ٢: ٤٥٤.

(٧) "Al-Makīn Jirjis ibn Al-ʿAmīd (The Elder)." Samuel Moawad, in *Christian-Muslim Relations. A Bibliographical History*, Vol. 4 (1200–1350), edited by David Thomas and Alex Mallett, History of Christian-Muslim Relations, Vol. 17. Leiden, Boston: Brill, 2012: 566.

(٨) **المكين جرجس بن العميد وتاريخه**، الأخ وديع الفرنسيسكاني، القاهرة، منشورات المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية المسيحية، نوفمبر ١٩٩٩م: ٢٣.



وعن تاريخ الوفاة الذي يقدمه الصقاعي وغيره، وهو اثنان وسبعون وستمائة، فيمكن تخمين حدوث خطأ في قراءة رقم «تسعين» فقُرأ «سبعين». فإذا قُبِل هذا يكون المكين قد توفي سنة ٦٩٢هـ، التي تقابل سنة ١٢٩٢م، أي إنه عاش ٨٧ سنة، وهذا ليس بالأمر المستبعد.

وأخيرًا، تبقى الإشارة المهمة لنقطتَيْن:

الأولى: وجود شخصَيْن باسم «المكين بن العميد»؛ أحدهما هو الذي نكتب عنه الآن، ونسميه الكبير؛ تمييزًا له عن الآخر الذي عاش بعده في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، وهو مؤلف الكتاب المشهور باسم «الحاوي». وقد أشار وميَّز بين الشخصَيْن «جراف» سنة ١٩٤٧م(٩).

الثانية: يُذكَر ابن العميد في المصادر التاريخية العربية متبوعًا بـ «النصراني» أو «المسيحي»؛ تمييزًا له عن أبي الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب، المعروف بابن العميد، والعميد هو لقب والده، وقد توفي سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م(١٠).

---

(٩) Geschichte der christlichen arabischen Literatur. 2. Band, *Die Schriftsteller bis zur Mitte des 15. Jahrhunderts*. Georg Graf, Città del Vaticano: Biblioteca apostolica vaticana. 1947: 348-351.

(١٠) **كتاب آثار الأدهار (القسم التاريخي)**، سليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحادة، المطبعة السورية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٨٧٧م: ٣٥٢.

(ثانيًا)
مصادر ومراجع ترجمة المكين(١١)

١- المكين بن العميد نفسه في تاريخه (توفي بعد ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م).

- *Historia Saracenica*... Makīn Ibn-Al-ʻAmīd, Gīrgīs Al, and Thomas Erpenius... Prostant apud Iohannem Maire, & Elzevirios, 1625: 299.

٢- شهاب الدين غازي بن أحمد ابن الواسطي (ت ٧١٢هـ/ ١٣١٢م).

- رد على أهل الذمة ومن تبعهم، شهاب الدين غازي بن أحمد ابن الواسطي، تحقيق الدكتور تركي بن فهد آل سعود، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، ٢٠١٠م: ٦٩.

٣- فضل الله بن أبي الفخر الصُّقاعي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م).

- تالي كتاب وفيات الأعيان، فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي، تحقيق جاكلين سُوبلة، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، ١٩٧٤م: ١١٠.

٤- صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م).

- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ج. ١٧: ٣٥٥.

٥- أحمد بن علي المقريزي «تقي الدين المقريزي» (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).

- المقفى الكبير، تقي الدين المقريزي، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩١م، ج. ٣: ١٦.

(١١) ذكرتُ المراجع وفقًا لتواريخ وفاة المؤلفين وليس وفقًا لتاريخ صدور الكتب، كما ذكرتُ المصادر وبعض المراجع العربية؛ حيث إن المراجع التي ذكرتْ المكين أو «كتاب التاريخ» - ولا سيما التي في العصر الحديث - كثيرة، وأغلبها ناقل عن التي قبلها. وكذلك ذكرتُ بعض المراجع الغربية المهمة.



٦- أبو الفضل محمد بن الشحنة الحلبي (ت ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م).

- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، أبو الفضل محمد بن الشحنة الحلبي الحنفي، نشره يوسف بن إيليان سركيس الدمشقي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٩م: ١٩٥.

٧- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب (ت ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٧م).

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، ليبزك، ١٨٣٧م، ج. ٢: ١٠٤.

٨- ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ج. ٨: ١٣٤.

٩- يوسف بن داود بن بهنام الموصلي (الملقب بإقليميس) (ت ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م).

- جامع الحجج الراهنة في إبطال دعاوى الموارنة، إقليميس يوسف داود؛ رئيس أساقفة دمشق على السريان، القاهرة، لايبزيج، ١٩٠٨م: ٤٩٤.

١٠- إدوارد كرنيليوس فانديك (ت ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م).

- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، إدوارد فانديك، صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الثانية، ١٨٩١م: ٧٨.

١١- يعقوب نخلة روفيلة (ت ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م).

- تاريخ الأمة القبطية، يعقوب نخلة روفيلة، مطبعة التوفيق، القاهرة، ١٨٩٨م: ١٨٦.

١٢- جرجي زيدان (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م).

- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩١٣م، ج. ٣: ١٨٥.



١٣- إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م).

- هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، إستانبول، ١٩٥١م، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ج. ١: ٢٥٠.

١٤- لويس شيخو اليسوعي (ت ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م).

- التواريخ النصرانية في العربية: لمحة تاريخية، لويس شيخو اليسوعي، في مجلة المشرق، السنة الثانية عشرة، العدد السابع، يوليو ١٩٠٩م: ٤٩٠.

- المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، الأب لويس شيخو اليسوعي، منشورات دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م: ١٣.

١٥- القس منسي يوحنا (ت ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م).

- تاريخ الكنيسة القبطية، الشماس منسّى القمص، الفجالة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٢٤م: ٥٦٦.

١٦- إليان سركيس (ت ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م).

- معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة، يوسف إليان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٠م، ج. ١: ١٩١.

١٧- الأنبا إيسوذورس؛ رئيس دير البرموس (ت ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م).

- الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، الراهب البرموسي، مطبعة صهيون، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٠٩م، ج. ٥: ٧٥.

١٨- چيورچ جراف (ت ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م).

- Geschichte der christlichen arabischen Literatur. 2. Band, *Die Schriftsteller bis zur Mitte des 15*. Jahrhunderts. Georg Graf, Città del Vaticano: Biblioteca apostolica vaticana. 1947: 348-351, 450-453.



١٩- كارل بروكلمان (ت ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة يعقوب بكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ج. ٦: ١٤٤.

٢٠- كامل صالح نخلة (ت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م).

- سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الكرسي الإسكندري، الحلقة الأولى: البابا كيرلس الثالث، كامل صالح نخلة، دير السريان، وادي النطرون، الطبعة الأولى، ١٩٥١م: ١٢١.

٢١- خير الدين الزِّرِكْلي (ت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزِّرِكْلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٨م، ج. ٢: ١١٦.

٢٢- عمر رضا كحالة (ت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).

- معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م: ٤٨٠.

٢٣- الموسوعة البريطانية.

- *The Encyclopædia Britannica*, Cambridge, University Press, 1910, Vol. 9: 296.

٢٤- الموسوعة القبطية.

- *The Coptic Encyclopedia*. Volume 5, Aziz Suryal Atiya, New York: Macmillan. 1991: 1513.

٢٥- الموسوعة الإسلامية.

- *E.J. Brill's First Encyclopedia of Islam*, 1913–1936, Houtsma, M.Th. Leiden, New York. 1993, Vol. 5: 172.

(ثالثًا)
كتاب «المجموع المبارك»

اختلف المؤرخون على تسمية الكتاب، فهو تارة «المجموع المبارك»(١٢)، وتارة أخرى «الجامع لأخبار العالم»(١٣)، أو «تاريخ ابن العميد»(١٤)، أو «تاريخ المكين»... إلخ. ولعل تعدد الأسماء يعود إلى تعدد نسخ الكتاب وتنوعها. وقد سرد فيه المكين تاريخًا عامًّا للعالم حتى سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، وهي السنة التي سُجن فيها(١٥). أما عن سبب تسميته بالمجموع المبارك فلأنه يتكون من كتابين أو جزأين للتاريخ:

الجزء الأول: قسّمه المكين إلى ١٦٦ حقبة زمنية، تغطي الفترة ما بين آدم والسنة الحادية عشرة للإمبراطور هرقل، أي سنة ٦٢١م. وقد اندرج هذا الجزء تحت عنوان بسيط (تاريخ) في المخطوطات التي تضمنته. وقد سرد فيه ابن العميد جميع التواريخ من أول خلق العالم، وشرح ما حدث في الدهور والأزمان للأمم والشعوب؛ أمة بعد أمة إلى ظهور الإسلام. ويعتمد بشكل رئيسي على العهد القديم، بالإضافة إلى أعمال المؤرخين الآخرين الذين ذكرهم المكين بالاسم، وهم: سعيد بن البطريق المعروف بأوتيخيوس (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، وأغابيوس المنبجي (ق ٤هـ/ ١٠م)، وابن الراهب (معاصر للمكين)(١٦)، وهذا الجزء لم يُنشر إلى الآن، باستثناء الفصل المتعلق بالإسكندر الكبير الذي نُشر بالإثيوبية وبالإنجليزية(١٧).

---

(١٢) ذكرت هذا أغلب المصادر والمخطوطات.

(١٣) **هدية العارفين**، إسماعيل باشا البغدادي: ٢٥٠؛ **آثار الأدهار**، سليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحادة: ٣٥٣؛ **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**، إدوارد فنديك: ٧٨.

(١٤) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، حاجي خليفة: ١٠٤.

(١٥) **ابن العميد**، كبكب: ٢٨٤.

(١٦) "Al-Makīn Jirjis ibn Al-ʿAmīd", Samuel Moawad: 568.

(١٧) **ابن العميد**، كبكب: ٢٨٥.



الجزء الثاني: يتناول تاريخ الخلفاء منذ ظهور الإسلام إلى سنة ١٢٦٠م، وسماه «تاريخ المسلمين»، وقد اعتمد المكين على الطبري المؤرخ المعروف (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، وقد أشار إلى ذلك بنفسه حين ذكر أن الأحداث التي تصل إلى عام ٩٢٠م مستمدة من «تاريخ الرسل والملوك» للطبري، وهو ما جعل بعض العلماء يطلقون على المكين «طبري النصرانية»(١٨)، واستعان كذلك بأوتيخيوس، وقد أشار في كتابه إلى موارده التي استقى منها معلوماته(١٩).

ويعد تاريخ المسلمين للمكين (وفي التقليد الأوروبي: *Historica Saracenica*) أول كتاب تطبعه مطبعة باللغة العربية على الإطلاق في حقل الدراسات التاريخية، وكان ذلك سنة ١٦٢٥م، في مدينة ليدن بهولندا(٢٠). وكذلك يعد هذا الجزء أحد أول المصادر الشرقية التاريخية التي تعود للقرون الوسطى وتحظى بتلك الشهرة في أوروبا، كما تلعب دورًا بارزًا في الدراسات المبكرة للتاريخ العربي من قِبَل الدارسين الأوروبيين(٢١). وعلى الرغم من توافر المخطوطات الكاملة للكتاب كله، فإن أحدًا لم يهتم بنشره كاملًا، بل اقتصر اهتمام المؤرخين والمستشرقين على الجزء الثاني من الكتاب فقط. كما لاحظوا أن الكُتَّاب المصريين المسلمين - مثل المقريزي - كانوا مهتمين أثناء بحثهم عن المعلومات بعادات وتقاليد شركائهم في الوطن من المسيحيين، وأنهم قد وجدوا تلك المعلومات في نصوص كتبها مسيحيون. ومرة أخرى، فقد كان المكين يشتهر لفترة طويلة بأنه المصدر الذي اعتمد عليه المقريزي في سرده للتاريخ القبطي(٢٢). كذلك كان تاريخ المكين هو مصدر مهم لابن خلدون في كتاب «العبر»، والقلقشندي في كتاب «صبح الأعشى»، ولا سيما في

---

(١٨) **جامع الحجج الراهنة في إبطال دعاوى الموارنة**، إقليميس يوسف داود؛ رئيس أساقفة دمشق على السريان، القاهرة، لايبزيج، ١٩٠٨م: ٤٩٤.

(١٩) **تاريخ المكين: تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الأتابكية**، الشيخ المكين جرجس بن العميد، تحقيق علي بكر حسن، دار العواصم، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م: ١٣.

(٢٠) *Bibliotheca Arabica*, Christian Friedrich Schnurrer, Halae ad Salam, typis et sumtu I.C. Hendelii, 1811: 113.

(٢١) *Coptic Historiography in the Fāṭimid, Ayyūbid and Early Mamlūk Periods*, Johannes Den Heijer, *Medieval Encounters* 2 (1996): 88.

(٢٢) *Coptic Historiography*, Den Heijer: 69.

الأحداث المسيحية بالتحديد[٢٣]. كما ظل الكتاب مصدرًا للمؤرخين حتى القرن السابع عشر الميلادي عندما أفاد منه البطريرك إسطفان الدويهي (١٦٧٠-١٧٠٤م)، خصوصًا طبعة إربنيوس، لوضع كتابه «تاريخ الأزمنة». ويلاحظ أن الدويهي تأثر بأسلوب ابن العميد، إذ استعمل في مطلع كتابه «قال أبو جعفر بن جرير الطبري» أو «قال المؤرخ». وهو لا يذكر ابن العميد في نصه حتى سنة ٥٠٢هـ إلا نادرًا[٢٤].

وقد نشر المستشرق الهولندي توماس إربنيوس في ليدن الجزء الثاني لأول مرة بعنوان «تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام إلى الدولة الأتابكية (١٢٦٠م)»[٢٥]. وقد أدرك إربنيوس أهمية تاريخ المكين، فعكف عليه أكثر من عقد من الزمان (١٦١٣-١٦٢٤م)، ولمّا لم يجد مطبعة عربية قريبة منه في أوروبا أنشأ مطبعة عربية في بيته ليحقق هدفًا سعى من أجله لسنوات. ثم رأى أن ينشر ترجمة له باللغة اللاتينية جنبًا إلى جنب للنص العربي[٢٦]؛ حتى تكثر فائدته ويزيد عدد المستفيدين به من المهتمين بدراسات الشرق الأدنى؛ إذ كانت اللغة اللاتينية هي لغة الأكاديميين في الجامعات ومعاهد البحث. وما كان إربنيوس ليفعل هذا لولا قناعته بأهمية المادة التاريخية التي تضمنها هذا الكتاب[٢٧]. ولكنه توقف عند السنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م؛ إذ توفي توماس إربنيوس بالطاعون، قُبيل الانتهاء تمامًا من تحقيق الكتاب، وأكمله تلميذه يعقوب يوليوس[٢٨]، ولكن العمل استند إلى نسخة واحدة فقط، وهي النسخة التي ينقص منها الجزء الذي يغطي الفترة من عام ١١٣٠م وما يليها، حتى نشر كلود كاهِن C. Cahen الجزء المتبقي من نص المكين سنة

(٢٣) “Al-Makīn Jirjis ibn al-ʿAmīd”, Samuel Moawad: 569.

(٢٤) **ابن العميد**، كبكب، مرجع سابق: ٣٠٢.

(٢٥) *Historia Saracenica*... Makīn Ibn-al-‘Amīd, Ğirğīs al, and Thomas Erpenius... Leiden, 1625.

(٢٦) كان العالم إربنيوس يعرف اللغة العربية، وذلك بعد تعلمها على يد البعض، منهم القبطي يوسف بن أبي ذقن، لبعض الوقت، ثم المغربي أحمد بن قاسم. راجع:
William Bedwell, The Arabist, 1563–1632, Alastair Hamilton, Leiden: E. J. Brill for the Thomas Brown Institute, 1985: 37.

(٢٧) **تاريخ المكين**، علي حسن: ٩.

(٢٨) مرجع سابق: ١٢.



١٩٥٥م[٢٩]. وعن طبعة إربينوس أخذ صمويل برتشاس S. Purchas معظم ما جاء في تاريخ المكين وترجمه إلى اللغة الإنجليزية، نقلًا عن اللاتينية بطبيعة الحال، ونشره سنة ١٦٢٦م[٣٠]، فكان ذلك أول عمل نشر باللغة الإنجليزية في حقل الدراسات الإسلامية على الإطلاق[٣١]، ثم نقله إلى الفرنسية بيير فاتييه P. Vattier عام ١٦٥٧م[٣٢]. وتوالت عدة ترجمات للجزء الثاني باللغتين الإنجليزية والفرنسية، أما النص العربي فبعدما ظهر في الطبعة الأولى لإربينوس، حققه الدكتور علي بكر حسن من جامعة ولاية أوهايو الأمريكية، ونشره في القاهرة سنة ٢٠١٠م تحت عنوان «تاريخ المكين: تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد حتى الدولة الأتابكية، للشيخ المكين جرجس بن العميد». وقد اعتمد في تحقيق النص على نسختين من مكتبة البودليان بجامعة أكسفورد، وقابلهما على النص الذي نشره إربنيوس. وقد ذكر الدكتور علي في مقدمة عمله أن إحدى هاتين النسختين، التي تُسمى «مخطوطة مارش» هي التي اعتمد عليها - في أغلب الظن - توماس إربنيوس في إخراجها مع ترجمة لاتينية[٣٣].

وكما يبدو واضحًا من العرض السابق، فإن الجزء الأول لم يُنشر بعد، والجزء الثاني وإن كان قد نُشر - وبعدة لغات - فإنه لم يخرج عن دراسة كاملة لنُسَخِه العديدة المنتشرة، ولم يصدر الكتاب كاملًا إلى الآن. وإن كنا بالطبع نُثمِّن كل المجهودات السابقة، فإننا ما زلنا في حاجة إلى دراسة شاملة لكافة نُسَخ الكتاب، ولا سيما أن تاريخ المكين بن العميد محفوظ في كثير من النسخ التي سيتفاجأ القارئ بعددها - كما سنوردها بعد قليل - وهي موجودة في المكتبات العربية والقبطية؛ المصرية والعربية والأوروبية، ويهتم بها الباحثون المسلمون والمسيحيون على حدٍّ سواء.

(٢٩) *Coptic Historiography*, Den Heijer: 88.
وجدير بالذكر أن هذا الجزء الذي نشره كوهن، والمقتبس نصًّا من كتاب المكين بن العميد؛ هو «أخبار الأيوبيين»، الذي تُرجم للعربية سنة ١٩٩٧م، ونشرته مكتبة الثقافة الدينية، وبدا كتابًا مستقلًّا، وهو ليس إلا القسم الأخير من الجزء الثاني من كتاب «المجموع المبارك» الذي نحن بصدده الآن.

(٣٠) S. Purchas, 'The Saracenical historie... written in Arabika by George Elmacin..., in S. Purchas, *Relation of the World and the Religions*, London, 1626: 1009-47.

(٣١) **تاريخ المكين**، علي حسن: ٩.

(٣٢) *L´histoire mahometane, ou les quarante-neuf chalifes du Macine*, P. Vattier, Paris, 1657.

(٣٣) **تاريخ المكين**، علي حسن: ٣٧.



وعلاوة على ذلك، فإن العديد من المخطوطات التي خرجت من الأوساط السورية، قد تُرجمت إلى اللغة الجعزية، ومن ثم اكتسب شعبية واسعة في إثيوبيا أيضًا[٣٤]. كما سنجد هذا الكتاب بالخط الكرشوني (الكتابة العربية بالحروف السريانية).

تكملة تاريخ ابن العميد

لتاريخ المكين هذا ذيل، كتبه المـفضَّل بن أبي الفضائل القبطي المصري (٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م)، وأصبح معروفًا بـ «النهج السديد والدُّر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد»، الذي انتهى من تأليفه في الحادي عشر من شوال سنة ٧٥٩هـ (الموافق السادس عشر من سبتمبر سنة ١٣٥٨م)، وفقًا لنسخة المخطوط الوحيد في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم (عربي ٤٥٢٥). ويتناول هذا الذيل تاريخ مصر وسوريا في الفترة ما بين سلطة الظاهر بيبرس (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) ابتداءً من عام ١٢٦٠م ووفاة الملك الناصر بن قلاوون (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) عام ١٣٤١م، مع بعض الأحداث الإضافية إلى عام ١٣٤٨م[٣٥]. كما ضمّنه تاريخ بطاركة الإسكندرية، وتاريخ المسلمين في اليمن والهند، وتاريخ التتار[٣٦]. ويرى ابن الواسطي أنَّ أبا الفضائل كان ابن شقيقة المكين بن العميد، في حين أن F. Nau يرى أن والده هو ابن شقيقة المكين، ولذا فالمفضل هو حفيد شقيقة المكين الأكبر[٣٧]. وقد أيدت بعض الدراسات اللاحقة هذا النَّسب[٣٨]. ولأجل هذا فإن عمل المفضل لا يعد أكثر من استمرار لتاريخ المكين. وغالبًا ما كان يرتب المفضل تاريخه حسب السنة، كما جرت العادة بين المؤرخين في عصره. وقد اعتمد المفضل على المؤرخين السابقين مثل بيبرس المنصوري

(٣٤) هناك تقريبًا ست مخطوطات إثيوبية تحوي كتاب «تاريخ المكين»، ذكر بعضها جراف، على سبيل المثال: إنجلترا، أكسفورد، بودليان إثيوبي ٢٨، ٢٩؛ Geschichte. Graf, Vol. 2: 351.

(٣٥) "Al-Mufaḍḍal ibn Abī l-Faḍāʾil." Samuel Moawad, in *Christian-Muslim Relations. A Bibliographical History*. Volume 5 (1350–1500), edited by David Thomas and Alex Mallett, 119–122. History of Christian-Muslim Relations, Vol. 20. Leiden, Boston: Brill, 2013: 191-120.

(٣٦) بروكلمان، ج. ٦: ١٤٦.

(٣٧) "Sur al-Makin et Ibn Abi-l-Fazaïl", F. Nau, *Revue de l´Orient Chrétien* 26 (1927-28): 210.

(٣٨) *Ägypten und Syrien zwischen 1317 und 1341 in der Chronik des Mufaḍḍal b. Abī l-Faḍā'il,* Samira Kortantamer, Freiburg im Breisgau: Klaus Schwarz Verlag, 1973: 4.



في «زُبدة الفكرة في تاريخ الهجرة»، وشهاب الدين النويري في «نهاية الأرب في فنون الأدب»، وابن الجزري في «تاريخ حوادث الزمان»، وابن الدواداري في «كنز الدُّرر وجامع الغرر»[٣٩]، وابن عبد الظاهر في «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر»، وابن شداد في «تاريخ الملك الناصر»، وقطب الدين اليونيني في «ذيل مرآة الزمان في تواريخ الأعيان»، وعلم الدين البرزالي في «المقتفي على كتاب الروضتين»[٤٠].

هذا، وإن كان لدينا تكميل تاريخ ابن العميد سابق الذكر، وهو معروف، فإن لدينا آخر غير معروف؛ فقد ذكر ابن العماد في «شذرات الذهب» أن ابن الصقاعي نسخ تاريخ المكين بخطه، وذيّل عليه إلى سنة عشرين وسبعمائة (١٣٢٠م)[٤١]، لكني بحثت عنه ولم أجده. وبهذا، يصبح لدينا مؤرخان أكملا تاريخ ابن العميد.

(٣٩) Al-Mufaḍḍal, Moawad: 120.

(٤٠) **النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد**، ابن العسال (مفضل بن أبي الفضائل)، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي السيد، دمشق، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٧م: ٢٧.

(٤١) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ابن العماد الإمام شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، المجلد الثامن، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م: ١٣٤.



(رابعًا)
أسلوب نص العميد

إن تاريخ العالم للمكين قد رُتِّب بطريقة التقسيم إلى سير ذاتية تختص بشخصيات مفتاحية (ابتداءً من آدم)، وذلك في وحدات مرقّمة تسلسليًّا. ولقد كان العهد القديم هو البنية الأساسية للجزء الأول من تاريخه إلى عام ٥٨٦ ق.م.، ثم انتقل الكاتب لإبراز شخصيات من الحكام الفارسيين وبلاد ما بين النهرين، وتبعهم الإسكندر الأكبر ثم الأباطرة الرومان والبيزنطيون. ثم انتقل في الجزء الثاني للتركيز على الأسر الحاكمة من الخلفاء والسلاطين المسلمين(٤٢). وفيه ظهر ابن العميد لا بوصفه مسيحيًّا ولا مصريًّا، وإنما بوصفه مؤرخًا داخل الدولة الإسلامية، عمله ليس تاريخ مصر بل الخلافة الإسلامية بشكل عام، وهو ما يفسر سبب شعبيته لدى المؤرخين المسلمين(٤٣). وفي الجزء الثاني يعتمد ابن العميد على نمط مغاير عما استخدمه في الجزء الأول؛ إذ يتناول حياة الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، ويذكر الأحداث داخل كل ترجمة بحسب السنوات، أي على نمط الحوليات، أي تأريخ الحوادث سنة بعد سنة، وهو النمط المعروف في التأريخ العربي الإسلامي منذ أواخر القرن الثاني للهجرة. واستدراكًا لتفتت الحادثة التاريخية التي تتعدى مدتها السنة الواحدة عمد بعض المؤرخين - بدءًا من القرن الثالث الهجري - إلى اعتماد نمط التراجم إلى جانب التأريخ الحولي. وهذا ما سار عليه الطبري في كتابه «تاريخ الرسل والملوك». وقد توقف المكين عند السنة ٦٥٨هـ، يوم مقتل الملك المظفر قُطز، وتولي الملك الظاهر ركن الدين بيبرس للسلطة(٤٤).

وعندما كتب الجزء الثاني قال في مقدمة كتابه إنه أراد تلخيص مطولات أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٥-٣١٠هـ/ ٨٤٠-٩٢٢م) لتدوين تاريخ المسلمين، بدءًا من أخبار صاحب شريعة

(٤٢) *Coptic Historiography*, Den Heijer: 89.

(٤٣) Al-Makīn, Moawad: 569.

(٤٤) **ابن العميد**، كبكب: ٢٩٧.



الإسلام حتى عهد السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، مستغنيًا عن التطويل في الشرح، متخليًا عن الأسانيد وذكر الوقائع وأسبابها وما ورد من استشهادات حولها، دون الإخلال بالمعنى العام، وإهمال الوقائع المشهورة والحوادث المذكورة. وبحسب دراسة للدكتور علي حسن بكر بجامعة أوهايو بأمريكا سنة ٢٠١٠م، حول مؤلَّف المكين جرجس، استخلص ما قام به المكين في نقله تاريخ الطبري لمؤلَّفه، ونورده على النحو التالي(٤٥):

- تخلَّص المكين تمامًا من الإسناد.
- تخلَّص من ذلك الكم الهائل من الأشعار، إلا ما يشتمل على بعض المديح وقليل من الرثاء.
- تخلَّص من الرسائل، إلا ما احتوى منها على عهد كتبه المسلمون إلى النصارى، مثل عهد عمر بن الخطاب إلى أهل إلياء.
- تخلَّص من الأمثال والخطب التي ازدحم بها تاريخ الطبري.
- حاول جاهدًا أن يتخلص من النظام الحولي الذي سار عليه الطبري، ظنًّا منه أنه يقطع الحادثة الواحدة إلى أشلاء.
- تخلَّص من الروايات المتكررة، واكتفى بأصحها وأشهرها وأكثرها واقعية وقبولًا عند الناس. وفى المقابل عوَّل المكين كثيرًا على الخلفاء، متأثرًا في ذلك بدراسته العميقة للإنجيل والتوراة، فجاء تاريخه في هيئة حلقات بيوجرافية، بلغت تسعًا وأربعين حلقة.
- لم يلتزم – كما فعل الطبري – بذكر كل سنة خاصة إن كانت أحداثها عديمة القيمة؛ إذ نراه يُسقط كثيرًا من السنوات، وأغلب الظن أن هذه السنوات لم تحمل حوادث يمكن أن يعوِّل عليها المؤرخ.

(٤٥) يزيد من أهميتها دراسته السابقة عن الطبري ومنهجه سنة ٢٠٠٤م. للمزيد، انظر: **تاريخ المكين**، علي حسن: ١٣-١٤.



وعن درجة أصالة كتابات المكين، فقد أصبح من المسلَّم به على الأقل أن كتابات المكين كانت أكثر من مجرد نسخ من مصادر أقدم، وأنه أضاف تواريخ حسب تقويم الشهداء وليس حسب التقويم الهجري، وذلك أثناء اقتباسه من المصادر الإسلامية، وكذلك اقتباسه من سلسلة حلقات التاريخ الكنسي، مثل كتاب «التواريخ» لابن الراهب كما يشير إلى ذلك الباحثون، وكذلك كتاب «تاريخ البطاركة» المنسوب لساويرس أسقف الأشمونين(٤٦)، وهو الكتاب الذي كان يشير إليه دون أن يذكر مؤلفه ساويرس بن المقفع، إذ يكتفى بالقول: «تضمن سير البطاركة» أو «ورد [في] سير البطاركة»، وهذا ما دفع «كاهِن» و«كوكين» إلى التشكيك باستعمال ابن العميد لتاريخ ابن المقفع ومكمليه(٤٧). ولحل تلك المشكلة، وبعد إجراء دراسة مبدئية وغير مكتملة حول هذا الأمر؛ قُورِن بين اقتباسات ابن الراهب من كتاب «تاريخ البطاركة» بنظيراتها من اقتباسات المكين، وكذلك من خلال التحقق من إذا كان هذا الأخير يقتبس تلك النصوص من خلال كتابات ابن الراهب، أو أنه كان يذكر تلك الاقتباسات بشكل مستقل. وأسفرت الدراسة عن أن المكين كان يقتبس أحيانًا بالفعل من كتاب «تاريخ البطاركة» مباشرة(٤٨).

وقد قدّم «كاهِن» Cahen فرضية أن يكون المكين نقل من كتاب «التاريخ الصالحي» لابن واصل (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م). لكن هذا الرأي يتعارض مع مقدمة المكين للجزء الثاني من كتابه، التي ذكرنا محتواها سابقًا؛ حيث أوضح المكين صراحةً كيف ولماذا لخَّص كتاب الطبري(٤٩).

---

(٤٦) *Coptic Historiography*, Den Heijer: 92.

(٤٧) **ابن العميد**، كبكب: ٢٩٥-٢٩٦.

(٤٨) *Coptic Historiography*, Den Heijer: 91.

(٤٩) *Ibid.*: 92.



(خامسًا)

مخطوطات كتاب «المجموع المبارك»

المخطوطات الكاملة (الجزآن)

- مصر، القاهرة، البطريركية القبطية الأرثوذكسية، تاريخ ١٧[٥٠].
- لبنان، سباط، الفهرس (٨٠)، الجزء الأول، حوزة إلياس خياط[٥١].
- لبنان، سباط، الفهرس (٨١)، الجزء الثاني، حوزة إلياس خياط[٥٢].
- سوريا، حلب، مكتبة مطرانية الروم الأرثوذكس، رقم ١١١، (١٥٤٧م)[٥٣].
- ألمانيا، لايبزيج، أول ٦٤٣ (ق ١٧)[٥٤]، (الرقم التسلسلي: ٧٣١٩١ في خزانة التراث)[٥٥].
- إنجلترا، أكسفورد، بودليان، عربي مسيحي، نيكول ٤٧، (١٦٤٦م)[٥٦].
- إنجلترا، مانشستر، عربي ٢٣٨[٥٧]، (الرقم التسلسلي: ٧٣١٩١ في خزانة التراث).

---

(٥٠) **فهارس المخطوطات القبطية والعربية الموجودة بالمتحف القبطي والدار البطريركية وأهم كنائس القاهرة والإسكندرية وأديرة القطر المصري**، مرقس سميكة باشا، مطبوعات المتحف القبطي، بولاق، القاهرة، ١٩٣٩م، ج. ٢: ٢٧٥.

(٥١) Geschichte. Graf, Vol. 2: 349.

(٥٢) Geschichte. Graf, Vol. 2: 349.

(٥٣) ذكره لويس شيخو في المخطوطات العربية بدون أن يذكر أية بيانات عنه، وتداوله الآخرون عنه كذلك بدون بيانات، حتى بحثنا في كتالوج مخطوطات المكتبة ووجدناه. راجع: **المخطوطات العربية في مكتبة مطرانية حلب للروم الأرثوذكس**، غسان ورد، منشورات جامعة البلمند، ١٩٨٩م: ٤١.

(٥٤) بروكلمان: ١٤٥. **التاريخ العربي والمؤرخون**، شاكر مصطفى، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م، ج. ٣: ١١٠. (لكن جراف يذكره ضمن الجزء الثاني فقط؛ Geschichte. Graf, Vol. 2: 350.).

(٥٥) **خزانة التراث (فهرس مخطوطات)**، أصدره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالسعودية، وتحتوي على فهارس المخطوطات الإسلامية في المكتبات والخزانات ومراكز المخطوطات في العالم، وتشتمل على معلومات عن أماكن وجود المخطوطات وأرقام حفظها في المكتبات والخزائن العالمية. نسخة إلكترونية.

(٥٦) Geschichte. Graf, Vol. 2: 349.

(٥٧) بروكلمان: ١٤٥. **التاريخ العربي والمؤرخون**، شاكر مصطفى، ج. ٣: ١١٠.

- إنجلترا، مانشستر، عربي ٢٣٩، (ق ١٨)(٥٨).
- الفاتيكان، عربي ١٦٩، (١٦٨٦م)(٥٩).
- لندن، المتحف البريطاني، شرقيات ٧٥٦٤، (١٢٨٠م)(٦٠)، (الرقم التسلسلي: ٧٣١٩١ في خزانة التراث).

مخطوطات الجزء الأول فقط من المجموع المبارك المسمى بـ «التاريخ»

- مصر، القاهرة، البطريركية القبطية الأرثوذكسية، تاريخ ١٨، (١٦٨٥م)(٦١).
- مصر، القاهرة، البطريركية القبطية الأرثوذكسية، تاريخ ٢٣(٦٢).
- مصر، القاهرة البطريركية القبطية الأرثوذكسية، عام ١١٠٤م، (١٨٧٦م)(٦٣).
- مصر، القاهرة، المتحف القبطي، تاريخ ٣٣٥، (١٦٨٥م)(٦٤).
- مصر، القاهرة، المتحف القبطي، تاريخ ٢٦٦، (١٨٩٣م)(٦٥).
- مصر، القاهرة، المتحف القبطي، تاريخ ٢٧١(٦٦).
- مصر، دير أنبا أنطونيوس، تاريخ ١، (١٣٣٧م)(٦٧).

(٥٨) Geschichte. Graf, Vol. 2: 349.

(٥٩) Geschichte. Graf, Vol. 2: 349.

(٦٠) بروكلمان: ١٤٥؛ Geschichte. Graf, Vol. 2: 349.

(٦١) **فهارس**، سميكة، ج. ٢: ٢٨٣.

(٦٢) **فهارس**، سميكة، ج. ٢: ٢٧٦.

(٦٣) **فهارس**، سميكة، ج. ٢: ٤٨٦.

(٦٤) **فهارس المخطوطات القبطية والعربية الموجودة بالمتحف القبطي والدار البطريركية وأهم كنائس القاهرة والإسكندرية وأديرة القطر المصري**، مرقس سميكة باشا، مطبوعات المتحف القبطي، بولاق، القاهرة، ١٩٣٩م، ج. ١: ٦٥.

(٦٥) **فهارس**، سميكة، ج. ١: ٦٣.

(٦٦) **فهارس**، سميكة، ج. ١: ٦١.

(٦٧) **فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية**، الراهب القس أثناسيوس المقاري، الكتابات العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ج. ١: ٣٣٩.



- مصر، دير أنبا أنطونيوس، تاريخ ٢، (١٨٨٣م)، منقول من نسخة تاريخها (١٣٣٧م)[٦٨].
- مصر، دير أنبا أنطونيوس، لاهوت ٣٢٠، (١٩٠٦م)[٦٩].
- لبنان، سباط، المكتبة، رقم ١٠٣٩/ ١٤، (ق ١٣)[٧٠].
- لبنان، دير الشرفة، سرياني ١٦/ ٤، «كرشوني»، (١٦١٨م)[٧١].
- لبنان، بيروت، مكتبة الجامعة الأمريكية، رقم MS039: H63 سابقًا، رقم ٢ (كان قبلًا في مكتبة عيسى إسكندر المعلوف)[٧٢].
- لبنان، مكتبة دير ماريوحنا الصابغ - الخنشارة للرهبانية الباسيلية الشويرية رقم ٢٥، (ق١٦)[٧٣].
- ألمانيا، جوته، عربي ١٥٥٧، «كرشوني»، (١٦٦١م)[٧٤]، (الرقم التسلسلي: ٧٣١٩١ في خزانة التراث).
- ألمانيا، ميونخ، عربي ٣٧٦[٧٥]، (الرقم التسلسلي: ٧٣١٩١ في خزانة التراث).
- إنجلترا، أكسفورد، بودليان، عربي ٦٨٣[٧٦].
- إنجلترا، أكسفورد، بودليان، عربي ٧٧٣[٧٧].

---

(٦٨) مرجع سابق.

(٦٩) مرجع سابق.

(٧٠) *Bibliothèque de manuscrits Paul Sbath*, Paul Sbath, Cairo 1928, catalogue 2, 152. Geschichte. Graf, Vol. 2: 350.

(٧١) **الطرفة في مخطوطات دير الشرفة**، الخورفسقفوس إسحق أرملة السرياني، مطبعة الآباء المرسلين اللبنانيين، جونيه، لبنان، ١٩٣٦م: ٢٦٣.

(٧٢) **المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت**، يوسف ق. خوري، مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط، الجامعة الأمريكية في بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م: ٢.

(٧٣) **ابن العميد**، كبكب، مرجع سابق: ٢٨٩.

(٧٤) *Die Orientalischen Handschriften Der Herzoglichen Bibliothek Zu Gotha*, Wilhelm Pertsch, Gotha. Friedr. Andr. Perthes. Dritter Band, 1881. 188. Geschichte. Graf, Vol. 2: 349.

(٧٥) بروكلمان: ١٤٥؛ Geschichte. Graf, Vol. 2: 350.

(٧٦) Geschichte. Graf, Vol. 2: 349.

(٧٧) Geschichte. Graf, Vol. 2: 349.

- إنجلترا، أكسفورد، بودليان، عربي ٧٨٩[٧٨].
- بولندا، مكتبة جامعة برسلاو (عربي ١٨-bei R. 157)[٧٩].
- روسيا، بطرسبرج، شرقيات ١١٢، (١٦٧٢م)[٨٠].
- الفاتيكان، عربي ١٦٨، (ق ١٦)[٨١].
- الفاتيكان، بورجيا، عربي ٢٣٢، «كرشوني»، (١٦٥٩م)[٨٢].
- الفاتيكان، مخطوط مكتبة انتشار الإيمان، رقم ١١[٨٣].
- فرنسا، باريس، عربي ٢٩٤، (ق ١٤)، يوجد نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية، رقم الحفظ: ٩٤٦[٨٤].
- فرنسا، باريس، عربي ٤٥٢٤، (١٦٧٢م)[٨٥]، (الرقم التسلسلي: ٧٣١٩١ في خزانة التراث).
- فرنسا، باريس، عربي ٤٧٢٩، (ق ١٩)[٨٦].
- النمسا، فيينا، شرقيات ٨٨٤[٨٧].

---

(٧٨) Geschichte. Graf, Vol. 2: 349.

(٧٩) *Verzeichnis der arabischen, persischen, türkischen und hebräischen handschriften der Stadbibliothek zu Breslau*, Carl Brockelmann, 1903, 10. Geschichte. Graf, Vol. 2: 349.

(٨٠) Geschichte. Graf, Vol. 2: 350.

(٨١) Geschichte. Graf, Vol. 2: 349.

(٨٢) Geschichte. Graf, Vol. 2:. 349.

(٨٣) **المخطوطات العربية**، شيخو: ١٣.

(٨٤) Geschichte. Graf, Vol. 2: 349.

(٨٥) بروكلمان: ١٤٥؛ **معجم المطبوعات**، سركيس: ١٩٢؛ Geschichte. Graf, Vol. 2: 349.

(٨٦) Geschichte. Graf, Vol. 2: 349.

(٨٧) بروكلمان: ١٤٥؛ Geschichte. Graf, Vol. 2: 350.



- هولندا، ليدن، رقم ١٢٥[٨٨].
- هولندا، ليدن، رقم ٨٣٦[٨٩]، (الرقم التسلسلي: ٧٣١٩١ في خزانة التراث).

مخطوطات الجزء الثاني فقط من المجموع المبارك المسمى بـ«تاريخ المسلمين»

- مصر، القاهرة، المتحف القبطي، تاريخ ١٧٢[٩٠].
- لبنان، بيروت، رقم ٦، (ق ١٨)[٩١].
- لبنان، بيروت، رقم ٧، (ق ١٨)[٩٢].
- لبنان، بيروت، المكتبة الشرقية في جامعة القديس يوسف، مخطوط رقم ٦، (يوجد نسخة من المخطوط مصورة في مركز الوثائق والمحفوظات التابع للجامعة الأردنية، رقم الشريط ٧٩٣)، (ق ١٨)[٩٣].
- لبنان، بيروت، المكتبة الشرقية في جامعة القديس يوسف، مخطوط رقم ٧، (ق ١٨)[٩٤].
- تونس، المكتبة الأحمدية، رقم ٢٦/ ١٨، بخط مشرقي عتيق[٩٥].
- تركيا، إستانبول، المكتبة السليمانية، رقم ٢٠٠٢، قسم لاليلي LALELI[٩٦].

---

(٨٨) *Inventory of the Oriental Manuscripts in Leiden University Library,* Jan Just Witkam. Leiden 2007, Vol. 1: 58.

(٨٩) بروكلمان: ١٤٥؛ **التاريخ العربي**، مصطفى، ج. ٣: ١١٠.

(٩٠) **فهارس**، سميكة، ج. ١: ٦٤.

(٩١) Geschichte. Graf, Vol. 2: 350.

(٩٢) Geschichte. Graf, Vol. 2: 350.

(٩٣) *Catalogue raisonné des manuscrits historiques de la Bibliothèque Orientale de l'Université Saint-Joseph*, P. L. Cheikho, S. J. 1913: 216.

(٩٤) *Ibid.*: 217.

(٩٥) **فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس (خزانة جامع الزيتونة)**، عبد الحفيظ منصور، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م: ٣٧٣.

(٩٦) **ابن العميد**، كبكب: ٢٩٣.



- ألمانيا، برلين، عربي ٩٤٤٣، (الرقم التسلسلي: ٧٣١٩١ في خزانة التراث)(٩٧).
- إنجلترا، أكسفورد، بودليان، عربي أورى ٧١٥(٩٨).
- إنجلترا، أكسفورد، بودليان، عربي أورى ٧٣٥(٩٩).
- إنجلترا، أكسفورد، بودليان، رقم ٢/ ٤٧(١٠٠)، (الرقم التسلسلي: ٧٣١٩١ في خزانة التراث).
- إنجلترا، أكسفورد، بودليان، ٣٠٩ مارش. وهو الذي اعتمد عليه إربنيوس(١٠١).
- إنجلترا، أكسفورد، بودليان، ١٦٤٦ نيكول(١٠٢).
- إنجلترا، أكسفورد، بودليان، ١٦١ لود. ويرجح «كاهِن» أن هذا المخطوط نُسخ بعد نحو خمسين سنة من كتاب ابن العميد(١٠٣).
- روسيا، بطرسبرج، المتحف الأسيوي، عربي ١٦١(١٠٤)، (الرقم التسلسلي: ٧٣١٩١ في خزانة التراث).
- روسيا، بطرسبرج، المتحف الأسيوي، عربي ١٩١، (١٨٠٨م)(١٠٥)، (الرقم التسلسلي: ٧٣١٩١ في خزانة التراث).
- فرنسا، باريس، عربي ٢٩٥، (١٨٥٤م)(١٠٦)، (الرقم التسلسلي: ٧٣١٩١ في خزانة التراث).

---

(٩٧) *Die Handschriften-verzeichnisse der Königlichen Bibliothek zu Berlin*, Wilhelm Ahlwardt, Berlin: A. Asher, 1897, Neunter Band., 49. Geschichte. Graf, Vol. 2: 351; بروكلمان: ١٤٥.

(٩٨) Geschichte. Graf, Vol. 2:. 350.

(٩٩) Geschichte. Graf, Vol. 2: 350.

(١٠٠) بروكلمان: ١٤٥؛ **معجم المطبوعات**، سركيس: ١٩٢. (يضعه في الجزء الأول).

(١٠١) **ابن العميد**، كبكب: ٢٩٣.

(١٠٢) مرجع سابق.

(١٠٣) مرجع سابق.

(١٠٤) **المخطوطات العربية لكتبة النصرانية في المكاتب البطرسبرجية**، إغناطيوس كراتشقوفسكي، مجلة المشرق، السنة ٢٣ (١٩٢٥): ٦٧٦؛ بروكلمان: ١٤٥. (وضعه خطأً في الجزء الأول من الكتاب)؛ Geschichte. Graf, Vol. 2: 35.

(١٠٥) **المخطوطات العربية**، كراتشقوفسكي: ٦٧٦؛ بروكلمان: ١٤٥. (وضعه خطأً في الجزء الأول)؛ Geschichte. Graf, Vol. 2: 351.

(١٠٦) Geschichte. Graf, Vol. 2: 350.



- هولندا، ليدن، شرقيات ٧٥٨[١٠٧].
- هولندا، ليدن، رقم ٨٣٧[١٠٨]، (الرقم التسلسلي: ٧٣١٩١ في خزانة التراث).
- هولندا، لندن، المتحف البريطاني، عربي ٢٨٢، (ق ١٧)[١٠٩].

مخطوطات غير مصنَّفة

- مصر، القاهرة، المتحف القبطي، لاهوت ٢٠٠، (١٨١٧م)، من مختصر تاريخ ابن العميد[١١٠].
- لبنان، بيروت، مكتبه الجامعة، رقم الحفظ: ٥/ ٢، (الرقم التسلسلي: ٨١٨٤٤ في خزانة التراث).
- السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، رقم الحفظ: ٤٧٢٩-فب، (الرقم التسلسلي: ٢٩٢٣٥ في خزانة التراث)[١١١].
- السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، رقم الحفظ: ب ٢٣٨٢٢، (الرقم التسلسلي: ١١٤٦٤٣ في خزانة التراث).
- السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، رقم الحفظ: ب ٢٢٩٨-٢٢٩٨٥، (الرقم التسلسلي: ١١٤٢٩٨ في خزانة التراث).
- روسيا، بطرسبرج، المكتبة العمومية، Dorn 112، (١٦٧٢م)[١١٢].

(١٠٧) Geschichte. Graf, Vol. 2: 350.

(١٠٨) بروكلمان: ١٤٥؛ **التاريخ العربي**، مصطفى، ج. ٣: ١١٠.

(١٠٩) Geschichte. Graf, Vol. 2: 350.

(١١٠) **فهارس**، سميكة، ج. ١: ٣٩.

(١١١) **خزانة التراث (فهرس مخطوطات)**، أصدره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالسعودية، نسخة إلكترونية.

(١١٢) **المخطوطات العربية**، كراتشقوفسكي: ٦٧٦.

المصادر والمراجع

- **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،** خير الدين الزِّرِكْلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٨م، ج. ٢.
- **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع،** إدوارد فانديك، صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الثانية، ١٨٩١م.
- **تاريخ آداب اللغة العربية،** جرجي زيدان، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩١٣م، ج. ٣.
- **تاريخ الأدب العربي،** كارل بروكلمان، ترجمة يعقوب بكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ج. ٦.
- **تاريخ الأمة القبطية،** يعقوب نخلة روفيلة، مطبعة التوفيق، القاهرة، ١٨٩٨م.
- **التاريخ العربي والمؤرخون،** شاكر مصطفى، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م، ج. ٢.
- **تاريخ الكنيسة القبطية،** الشماس منسَّى القمص، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٢٤م.
- تاريخ المكين: **تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الأتابكية،** الشيخ المكين جرجس بن العميد، تحقيق علي بكر حسن، دار العواصم، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- **تالي كتاب وفيات الأعيان،** فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي، تحقيق جاكلين سُوبلة، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، ١٩٧٤م.
- **التواريخ النصرانية في العربية: لمحة تاريخية،** لويس شيخو اليسوعي، في مجلة المشرق، السنة الثانية عشرة، العدد السابع، يوليو ١٩٠٩م.
- **جامع الحجج الراهنة في إبطال دعاوى الموارنة،** إقليميس يوسف داود؛ رئيس أساقفة دمشق على السريان، القاهرة، لايبزيج، ١٩٠٨م.

- **الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة**، الراهب البرموسي، مطبعة صهيون، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٠٩م، ج. ٥.
- **خزانة التراث (فهرس مخطوطات)**، أصدره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالسعودية، نسخة إلكترونية.
- **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب**، أبو الفضل محمد بن الشحنة الحلبي الحنفي، نشره يوسف بن إيليان سركيس الدمشقي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٩م.
- **رد على أهل الذمة ومن تبعهم**، شهاب الدين غازي بن أحمد ابن الواسطي، تحقيق الدكتور تركي بن فهد آل سعود، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، ٢٠١٠م.
- **سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الكرسي الإسكندري**، الحلقة الأولى: البابا كيرلس الثالث، كامل صالح نخلة، دير السريان، وادي النطرون، الطبعة الأولى، ١٩٥١م.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ابن العماد الإمام شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ج. ٨.
- **الطرفة في مخطوطات دير الشرفة**، الخورفسقفوس إسحق أرملة السرياني، مطبعة الآباء المرسلين اللبنانيين: جونيه، لبنان، ١٩٣٦م.
- **فهارس المخطوطات القبطية والعربية الموجودة بالمتحف القبطي والدار البطريركية وأهم كنائس القاهرة والإسكندرية وأديرة القطر المصري**، مرقس سميكة باشا، مطبوعات المتحف القبطي، بولاق، القاهرة، ١٩٣٩م، ج.١، ج. ٢.
- **فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية**، الراهب القس أثناسيوس المقاري، الكتابات العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ج. ١.
- **فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس (خزانة جامع الزيتونة)**، عبد الحفيظ منصور، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.



- **كتاب آثار الأدهار**، القسم التاريخي، سليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحادة، المطبعة السورية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٨٧٧م.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، حاجي خليفة، ليبزك، ١٨٣٧م، ج. ٢.
- **المخطوطات العربية في مكتبة مطرانية حلب للروم الأرثوذكس**، غسان ورد، منشورات جامعة البلمند، ١٩٨٩م.
- **المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت**، يوسف ق. خوري، مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط، الجامعة الأمريكية في بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- **المخطوطات العربية لكتبة النصرانية في المكاتب البطرسبرجية**، إغناطيوس كراتشقوفسكي، مجلة المشرق، السنة ٢٣ (١٩٢٥م).
- **المخطوطات العربية لكتبة النصرانية**، الأب لويس شيخو اليسوعي، منشورات دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
- **معجم المؤلفين**: **تراجم مصنفي الكتب العربية**، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
- **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، يوسف إليان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٠م، ج. ١.
- **المقفى الكبير**، تقي الدين المقريزي، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩١م، ج. ٣.
- **المكين جرجس بن العميد**، وسام بشارة كبكب، نشره في مجموع أبحاث ومقالات مهداة إلى المطران ناوفيطوس إدلبي (١٩٢٠-١٩٩٥م)، جامعة القديس يوسف، بيروت، ٢٠٠٥م.
- **المكين جرجس بن العميد وتاريخه**، الأخ وديع الفرنسيسكاني، القاهرة، منشورات المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية المسيحية، نوفمبر ١٩٩٩م.

- **النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد**، ابن العسال (مفضل بن أبي الفضائل)، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي السيد، دمشق، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٧م.
- **هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، إسماعيل باشا البغدادي، بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، إستانبول، ١٩٥١م، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ج. ١.
- **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ج. ١٧.
- *Ägypten und Syrien zwischen 1317 und 1341 in der Chronik des Mufaḍḍal b. Abī l-Faḍā›il*. Samira Kortantamer, Freiburg im Breisgau: Klaus Schwarz Verlag, 1973.
- "Al-Makīn Jirjis ibn Al-ʿAmīd (The Elder)". Samuel Moawad, in *Christian Muslim Relations*. A Bibliographical History. Volume 4 (1200–1350), edited by David Thomas and Alex Mallett, History of Christian-Muslim Relations, Vol. 17. Leiden, Boston: Brill, 2012.
- "Al-Mufaḍḍal ibn Abī l-Faḍāʾil". Samuel Moawad, in *Christian-Muslim Relations*. *A Bibliographical History*. Volume 5 (1350–1500), edited by David Thomas and Alex Mallett, 119–122. History of Christian-Muslim Relations, Vol. 20. Leiden, Boston: Brill, 2013.
- *Bibliotheca Arabica*. Christian Friedrich Schnurrer, Halae ad Salam, typis et sumtu I. C. Hendelii, 1811.
- *Catalogue raisonné des manuscrits historiques de la Bibliothèque Orientale de l'Université Saint-Joseph,* P. L. Cheikho, S. J. 1913.

- *Coptic Historiography in the Fāṭimid, Ayyūbid and Early Mamlūk Periods.* Johannes Den Heijer, Medieval Encounters 2 (1996).
- *Die Handschriften-verzeichnisse der Königlichen Bibliothek zu Berlin*, Wilhelm Ahlwardt, Berlin: A. Asher, 1897, Neunter Band., 49. Geschichte. Graf, Vol. 2.
- *Die Orientalischen Handschriften Der Herzoglichen Bibliothek Zu Gotha*, Wilhelm Pertsch, Gotha. Friedr. Andr. Perthes. Dritter Band, 1881. 188. Geschichte. Graf, Vol. 2.
- *E. J. Brill's First Encyclopedia of Islam*, 1913–1936, Houtsma, M. Th. Leiden, New York. 1993, Vol. 5.
- *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*. 2. Band, Die Schriftsteller bis zur Mitte des 15. Jahrhunderts. Georg Graf, Città del Vaticano: Biblioteca apostolica vaticana. 1947.
- *Historia Saracenica*... Makīn Ibn-al-ʿAmīd, Ǧirǧīs al, and Thomas Erpenius... Prostant apud Iohannem Maire, & Elzevirios, 1625.
- *Inventory of the Oriental Manuscripts in Leiden University Library*, Jan Just Witkam. Leiden 2007, Vol. 1.
- Leiden: E. J. Brill for the Thomas Brown Institute, 1985.
- *L'histoire mahometane, ou les quarante-neuf chalifes du Macine*, P. Vattier, Paris, 1657.
- *The Coptic Encyclopedia*. Volume 5, Aziz Suryal Atiya, New York: Macmillan. 1991.

- *The Encyclopædia Britannica*, Cambridge, University Press, 1910. Vol. 9.
- ‘The Saracenical historie ... written in Arabika by George Elmacin ..., in S. Purchas*, Relation of the World and the Religions*, London, 1626.
- *Sur al-Makin et Ibn Abi-l-Fazaïl*, F. Nau, Revue de l’Orient Chrétien 26 (1927–28).
- *Verzeichnis der arabischen, persischen, türkischen und hebräischen handschriften der Stadbibliothek zu Breslau*, Carl Brockelmann, 1903.
- *William Bedwell, The Arabist*, 1563–1632, Alastair Hamilton.

ملحق الصور



صورة من مخطوط باريس، عربي ٤٥٢٤، الجزء الأول من كتاب «المجموع المبارك».

بسم الله الرحمن الرحيم وبه اكتفي

نبتدي بعون الله وحسن توفيقه نكتب
كتاب مجموع مبارك جمعه واختصره الشيخ
الفاضل المكين جرجس ابن ابي الياسر ابن ابي
المكارم ابن ابي الطيب المعروف بابن العميد
نيح الله تعالى نفسه امين

الحمد لله الملك المتعالي القهار ذي العزة والوقار والعظمة
والجبروت والاقتدار الذي انعم على عبيده بافضل الانعام
وخصصهم بالعقل والفهم والسماع والنطق والكلام نشكره
على فضله ونسبحه ونمجده على نعمايه في هذه الان
وفي كل اوان .·. اما بعد فهذا شرح ما وصلت
اليه المقدرة بهذا المختصر المفيد القليل الجمع الكثير الفوايد

صورة من مخطوط باريس، عربي ٢٩٤، الجزء الأول من كتاب «المجموع المبارك».



بسم الله الرحمن الرحيم

صورة من مخطوط باريس، عربي ٢٩٤، الجزء الأول من كتاب «المجموع المبارك».

تاريخ المسلمين
من
صاحب شريعة الاسلام ابي القاسم محمد الى الدولة الاتابكية ٭
تاليف
الشيخ المكين جرجس بن العميد ابي الياسر بن ابي المكارم بن ابي الطيب ٭

ID EST,

HISTORIA

SARACENICA,

QVA

RES GESTAE MVSLIMORVM,

INDE

a MVHAMMEDE primo Imperij & Religionis Muslimicæ auctore, usque ad initium Imperij ATABACAEI, per XLIX Imperatorum successionem fidelissimè explicantur.

Insertis etiam passim Christianorum rebus in Orientis potissimum Ecclesijs eodem tempore gestis.

Arabicè olim exarata à GEORGIO ELMACINO fil. ABVLJASERI ELAMIDI f. ABVLMACAREMI f. ABVLTIBI.

Et Latinè reddita operâ ac studio

THOMAE ERPENII.

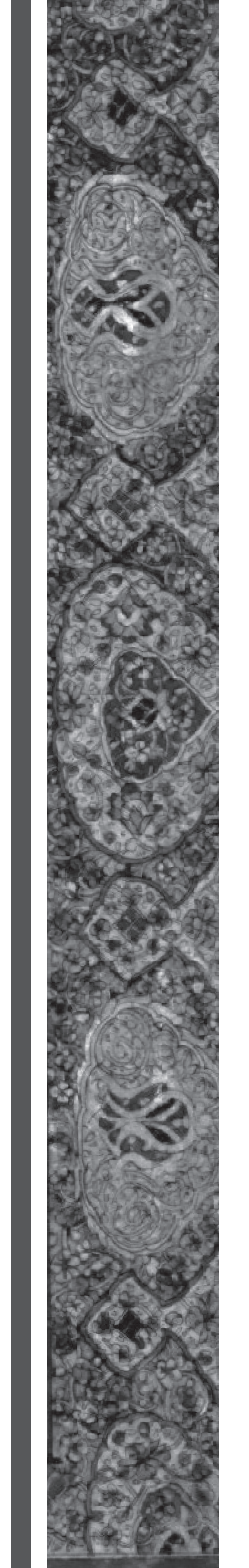
Accedit & Roderici Ximenez, Archiepiscopi Toletani, Historia Arabum, longè accuratius, quam antè, è Manuscripto codice expressa.





Lugduni Batavorum,
Ex Typographia ERPENIANA Linguarum Orientalium. 1625.
Prostant apud
IOHANNEM MAIRE, & ELZEVIRIOS.

صورة من مخطوط باريس، عربي ٢٩٤، الجزء الأول من كتاب «المجموع المبارك».



دراسات منجَز الشخصيات التراثية

تراث الحافظ ابن سَنْجَر الجُرجاني نزيل مصر
(ت ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م)
وانتقال مصنفاته إلى إفريقية والأندلس

أ. د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا(*)

ملخص البحث

كان الحافظ ابن سَنْجَر الجُرجاني؛ نزيل مصر (توفي ودُفن بها سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م)، من شيوخ الحديث الثقات الذين نُقل عنهم العلم في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد ارتحل إليه بقُطابة بصعيد مصر كثير من طلاب العلم. وقد ساهم ابن سنجر في التكوين العلمي لتلاميذه المصريين، والوافدين عليه من إفريقية، والأندلس، ونيسابور، وسمرقند، وغيرها، فصار بعضهم من شيوخ الحديث ببلدانهم. وقد نقل هؤلاء العلماء المصنفات الحديثية والفقهية لشيخهم ابن سنجر إلى بلادهم، وحدّثوا بها، وهي: المُسْنَد، ومُسْنَد علي، والعين، وتفسير محمد بن سنجر، فانتشرت بين طلاب العلم حتى نهاية القرن السابع الهجري. غير أن تلك المصنفات قد ضُرب عليها بمرور الزمن. وفي هذا السياق، تُسلِّط الدراسة الضوء على سيرة ابن سنجر وتراثه العلمي، فقد كان هذا التراث مصدرًا مُهمًّا للمعرفة، استند إليه بعض العلماء بمصر وإفريقية والأندلس. وستلقي الدراسة أيضًا أضواء جديدة على انتقال مصنفات ابن سنجر إلى إفريقية والأندلس، وستكشف عن رواتها في تلك البلاد، ومنهم: عيسى بن مسكين الإفريقي وأخوه محمد، وأحمد ابن عمرو بن منصور الإلبيري الأندلسي، وستكشف أيضًا عن صفحة منسية من تاريخ الحركة العلمية بمصر وإفريقية والأندلس في العصر الإسلامي المبكر.

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية.

The Transmission of Al-Hāfiz b. Sanjar Al-Jurjānī's

(D. 258 AH/ 872 CE)

Legacy to Africa and Andalusia

Prof. Ibrahim Abdul-Minaam Salama Abul-'Ila(*)

Abstract

Al-Hāfiz b. Sanjar Al-Jurjānī was one of the trustworthy *hadith* Sheikhs and Transmitters in the 3rd century AH/ 9th century CE. He was a resident of Egypt, where he died and buried in 258 AH/ 872 CE. Many *hadith* students traveled to Qutaba in Upper Egypt, to learn from him. Ibn Sanjar contributed to the scientific formation of his Egyptian students as well as many others who came from Africa, Andalusia, Nishapur, Samarkand, etc. Some of them later became Sheikhs of *hadith* in their countries transmitting with them the *hadith* and jurisprudential works of their Sheikh Ibn Sanjar. Furthermore, they narrated *hadith* in many works attributed to him that were well known until the end of the seventh century AH, namely: *Al-Musnad, Musnad 'Alī, Al-'Ayn*, and the Exegesis of Muhammad b. Sanjar. However, these works fell eventually into oblivion. In this context, the study sheds light on the biography of Ibn Sanjar and his academic legacy, which was an important source of knowledge for some hadith scholars in Egypt,

(*) Professor of Islamic History and Civilization, and Head of Islamic and Egyptian Archaeology and History Department, Faculty of Arts, Alexandria University.

Africa and Andalusia. The study will trace down the transmission of Ibn Sanjar's works to Africa, and Andalusia, and its transmitters, including: ʿĪsā b. Maskīn Al-Ifrīqī and his brother Muhammad, and Ahmed b. ʿUmar b. Mansūr Al-Ilbīrī Al-Andalusī. Finally, it will reveal a forgotten page of the history of the scientific movement in Egypt, Africa and Andalusia in the early Islamic era.

مقدمة

يذخر تاريخ الإسلام بشيوخ كبار أجلّاء برزوا في العلوم الدينية (الشرعية)، كالفقه، وعلوم القرآن الكريم، والحديث، وصَنّفوا مصنفات قيمة في ذلك المجال، وكانت جهودهم وإسهاماتهم في تلك العلوم إنجازًا إسلاميًّا صرفًا. وقد تحلق حولهم جموع من طلاب العلم من أبناء بلدانهم، وغيرهم من طلاب العلم الذين تقاطروا عليهم من الآفاق، ونهل الجميع من فيض علمهم. بيد أن الباحثين المحدثين في مجال التاريخ العلمي الإسلامي - رغم ما قدموه من بحوث كثيرة قيمة - لم ينتبهوا إلى بعض هؤلاء العلماء، وغفلوا عن تناول سيرهم وتسليط الضوء على آثارهم، فصار بعضهم من العلماء المنسيين، رغم ما قدموه للتراث الإنساني من خدمات جليلة. وكان ابن سنجر الجرجاني؛ نزيل مصر (توفي ودُفن بها سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م)، من شيوخ الحديث الثقات الذين نُقل عنهم العلم بمصر في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد ارتحل إليه بصعيد مصر حيث نزل - لعلمه الغزير - كثير من طلاب العلم، وتكبد بعضهم في الرحلة إليه مشاقَّ جمة. ومع ذلك، كان ابن سنجر من العلماء الذين أهملهم التاريخ ولم ينصفهم، فلم ينل قدره من الاهتمام الذي يتناسب وقيمته العلمية وأثره في الحياة العلمية بمصر، والمغرب، والأندلس. وربما كان السبب في ذلك، أن الكُتّاب القدامى والمحدثين كانوا يهتمون بذكر مشاهير شيوخ الحديث بمراكز الثقافة الإسلامية البارزة، بالحجاز، واليمن، وبلاد فارس، والعراق، والشام، ومصر، والمغرب، والأندلس.

وقد أسهم ابن سنجر في التكوين العلمي لتلاميذه المصريين، والوافدين عليه بمصر من إفريقية، والأندلس، ونيسابور، وسمرقند، وغيرها، فصار بعضهم من شيوخ الحديث ببلدانهم. وقد نقل هؤلاء العلماء المصنفات الحديثية والفقهية لشيخهم ابن سنجر إلى بلادهم، وحدّثوا بها، فانتشرت بين طلاب العلم حتى نهاية القرن السابع الهجري. غير أن تلك المصنفات قد ضُرب عليها بمرور الزمن، فلم تكن مشهورة ومتداوَلة بين شيوخ الحديث وطلابه في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، فعند ترجمة الإمام الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)، لابن سنجر، قال عنه: «ويعِزّ

وقوع حديثه لنا»[١]، وأُخبر الإمام ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، بمُسْنَد ابن سنجر مشافهة[٢].

ومن هنا تأتي أهمية الدراسة لإلقاء الضوء على سيرة ابن سنجر، وآثاره العلمية التي خلَّفها ومصيرها، ولإبراز دور ابن سنجر المهم في تاريخ الحركة العلمية الإسلامية. ولأنها كانت مصدرًا مُهمًّا للمعرفة، فقد استند إليه بعض العلماء بمصر وإفريقية والأندلس، وتتضح أهمية الدراسة أيضًا في أنها ستلقي أضواء جديدة لم تُدرَس من قبل على انتقال مصنفات ابن سنجر إلى إفريقية والأندلس، وستكشف الدراسة عن رواتها في تلك البلاد، وستكشف أيضًا عن صفحة منسية من تاريخ الحركة العلمية بمصر وإفريقية والأندلس في العصر الإسلامي المبكر؛ فقد أغفل الباحثون المتخصصون في دراسة العلاقات الفكرية بين تلك البلاد أثر ابن سنجر في تشكيل ثقافة شيوخ المغرب والأندلس الذين تتلمذوا على يديه في مصر، فلم يُشر إليه محمود علي مكي في دراسته القيمة عن التيارات الحضارية المشرقية في الأندلس، رغم أنه ذكر أعلام طلاب العلم الأندلسيين الذين درسوا على يد شيوخ الحديث في مصر في القرن الثالث الهجري[٣]، وأشار بعض المتخصصين في الحياة العلمية بإفريقية والقيروان إلى رحلة عيسى بن مسكين إلى مصر وتتلمذه على أيدي شيوخها، غير أنهم لم يذكروا ابن سنجر من بينهم[٤]. ونلتمس بعض العذر لهؤلاء الباحثين؛ فبعض المصادر المغربية لم تترجم لابن مسكين[٥]، وأغفلت بعض المصادر التي ترجمت له الإشارة إلى لقائه بابن سنجر وسماعه منه، رغم أنها ذكرت رحلته إلى مصر وكشفت عن شيوخه الذين تتلمذ عليهم هناك[٦].

---

(١) **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، بعناية عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، م. ١، ج. ٢، رقم ٦٠٢: ٥٧٨.

(٢) **المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد شكور محمد الحاجي أمرير المياديني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م: ١٣٩.

(٣) *Ensayo sobre las aportaciones orientales en la Espana Musulmana*, Makki (Mahmud Ali) Madrid, 1968.

(٤) **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية**، محمد محمد زيتون، دار المنار، القاهرة، ١٩٨٨م: ٢٩٤، ٤٣٠؛ **الحياة العلمية في إفريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري**، يوسف أحمد حوالة، جامعة أم القرى، مكة، ١٤١٩هـ: ١٣٣.

(٥) لم يترجم له المالكي ضمن طبقته من علماء القيروان (الطبقة الخامسة)، رغم أنه أشار إليه في ترجمة شيخه سحنون بن سعيد، وفي مواضع كثيرة من كتابه **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، حققه بشير البكوش، راجعه محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م، ج. ١: ٤٨، ٧٥، ١٩٠، ٢٤٣-٢٤٥، ج. ٢: ٤٨، ١٥٦، ١٥٩، ١٩٣، ٢٠١، ٢٦١، ٢٧٣، ٣٠٩، ٤٥١.

(٦) **تأريخ قضاة الأندلس**، النباهي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م: ٣٠-٣٢.



وقد ارتكزتُ في الدراسة على المنهج التاريخي القائم على الوصف، والتحليل، والاستقراء. وقد حرصتُ على توثيق كل رواية، وتحليل، واجتهاد، انطلاقًا من الأصول التي اتسمت بالكثافة والتنوع. وحرصتُ أيضًا على تخريج الأحاديث النبوية من مظانها الأصلية، وتناولتها بالجرح والتعديل، قصد التحقق من صحتها. وقد اهتممت بالاستشهاد بأكبر قدر ممكن من النصوص التاريخية، والدينية، والأدبية، والجغرافية، وتوظيفها بإحكام ودقة، والاستشهاد بها في استنباط كثير من التخريجات، فلم أدّخر وسعًا في التنقيب في ثنايا أرشيفات الكتب التراثية. وتحتاج الدراسة إلى استقراء تام للمصادر الأولية التي ترجمت لابن سنجر، وتناولت الحركة العلمية والفكرية في مراكز الثقافة الإسلامية، ومنها: جُرجان، ونيسابور، وبلاد ما وراء النهر، وكبريات مدن العراق، كالبصرة، والكوفة، وبغداد، والشام، ومصر، وإفريقية، والمغرب، والأندلس خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

ويكتسي كتاب «تاريخ جُرجان» لحمزة السهمي؛ مُؤرخ جُرجان ومُحدثها، منزلة خاصة لمعظم مباحث الدراسة. وحسبنا تقديرًا لهذا الكتاب أنه أوفى المصادر التي أمدتنا بالمعلومات المتعلقة بأولية ابن سنجر، ومكانة أسرته الاجتماعية في جُرجان، وتكوينه العلمي من خلال رحلاته العلمية إلى مراكز الثقافة الإسلامية، وطرق تلقيه العلم عن شيوخه، وأمدنا تاريخ جُرجان للسهمي أيضًا برواية قيمة عن ثراء ابن سنجر الذي مَكّنَه من الإنفاق على رحلاته الكثيرة، لأخذ العلم بكثير من البلدان، والتفرغ لسماعه، وأمدنا السهمي أيضًا ببعض الروايات القيمة التي سمعها ابن سنجر من بعض شيوخه، واستند إليها في مصنفاته التي اقتدى فيها بهؤلاء الأعلام.

وتعد بعض المصادر المغربية والأندلسية من أهم أعمدة الدراسة، ونذكر منها: «طبقات علماء إفريقية وتاريخ الفقهاء والمحدثين» للخشني، و«تاريخ علماء الأندلس» لابن الفرضي، و«رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم» للمالكي؛ وبعض مصنفات ابن عبد البر القرطبي، ومنها: «الاستيعاب والتمهيد»، و«جذوة المقتبس» للحُميدي، و«ترتيب المدارك» للقاضي عياض، و«فهرسة ابن خير الإشبيلي»، و«بغية الملتمس» للضبي، و«معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» لابن الدباغ، فقد استقيت منها معلومات مُهمة عن ابن سنجر ومؤلفاته، خاصة مُسْنَديه، وكتاب العين، وكيف انتقلت هذه الكتب إلى إفريقية والأندلس. وقد احتوت

المصادر المغربية والأندلسية على بعض روايات ابن سنجر الحديثية التي دوَّنها في بعض كتبه المفقودة. واحتوت هذه الكتب أيضًا - خاصة «طبقات علماء إفريقية» للخشني - على روايات قيمة لعيسى بن مسكين القيرواني عن التكوين العلمي المتين لشيخه ابن سنجر، وأسباب نزوله مصر وانزوائه في صعيدها، ونشره العلم هناك، وتكبُّد الطلاب المغاربة والأندلسيين مشاق الرحلة إليه، وجلوسه للرواية حتى آخر أيامه. وأمدني الخشني أيضًا برواية مهمة عن تحديد موقع قطابة بأرض مصر. واحتوت تلك الكتب أيضًا - خاصة «ترتيب المدارك» - على تراجم لأهم تلاميذه ورواة كتبه من المغاربة والأندلسيين.

ووقفت أيضًا على مادة علمية ثرية تخدم موضوع الدراسة في كتب الجرح والتعديل، كمؤلفات العجلي، والبخاري، والعقيلي، وابن حبان، وابن حجر العسقلاني، واستفدت أيضًا من المصادر الحديثية وكتب التراجم المشرقية، ومنها: «عمل اليوم والليلة» لابن السني، وكتب الصِّحاح. وأمدني كتاب «توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم» لابن ناصر الدمشقي، برواية مهمة عن ضبط اسم ابن سنجر. وزودتني مؤلفات الإمام الذهبي، ومنها: «تذكرة الحُفاظ»، و«سير أعلام النبلاء»، و«العِبَر»، و«المعين في طبقات المحدثين»؛ بمعلومات قيمة عن سيرة ابن سنجر، ومؤلفاته، وشيوخه وتلاميذه، واحتوت أيضًا على بعض رواياته الحديثية التي دوَّنها في بعض كتبه المفقودة. وانفرد الذهبي أيضًا بنص مهم عن انتقال كتاب «تفسير ابن سنجر» إلى إفريقية والأندلس، وأشار إلى بعض رواته، وتلاميذهم المغاربة والأندلسيين الذين أخذوه منهم ورووه عنهم. وأمدني «المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة» لابن حجر العسقلاني؛ بمعلومات مهمة عن مسند ابن سنجر، ومسانيد شيوخه التي اعتمد عليها في تأليف مسنده. ويكتسي كتاب «طبقات الحُفّاظ» للسيوطي (ت ٩١١هـ)، أهمية خاصة للدراسة؛ فهو يعد رغم تأخره زمنيًّا من أهم مصادر دراسة تراجم الحُفاظ؛ فقد ترجم لابن سنجر، واحتوى على عشرات التراجم لشيوخه وتلاميذه.

واقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى مقدمة وثلاثة مباحث، وقد أشرت في المقدمة إلى موضوع الدراسة وأهميته، ومنهج المعالجة، والاستفادة من أهم المصادر أعمدة الدراسة. وأفردت المبحث الأول لإلقاء الضوء على سيرة ابن سنجر الجرجاني نزيل مصر، فعرضت لاسمه ونسبه



وكُنيته ولقبه، وتحدثت عن مولده ومنشئه وطلبه للعلم، ومذهبه، وتحدثت أيضًا بالتفصيل عن رحلاته العلمية وشيوخه الذين أثّروا في تكوينه الثقافي، فبيَّنت بجلاء مكانة هؤلاء الشيوخ العلمية ومصنفاتهم التي أخذها ابن سنجر منهم، وتحدثت أيضًا عن استقراره بمصر، وأشرت إلى أبرز تلاميذه، وإلى مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه وثنائهم عليه، وختمت هذا المبحث بالحديث عن وفاته. وخصصت المبحث الثاني للتعريف بتراث الحافظ ابن سنجر، وذكرت من مصنفاته: المُسْنَد، ومُسْنَد الإمام علي بن أبي طالب، وكتاب العين، وتفسير محمد بن سنجر، والأسباب الباعثة على تأليفها، ومنهجه الذي اتبعه في مصنفاته ورواية الحديث، ومصادره التي اعتمد عليها. فإذا ما كان المبحث الثالث تتبعت انتقال تلك الآثار - خاصة مسند ابن سنجر، وتفسيره، وكتاب العين - إلى إفريقية والأندلس من طريق تلاميذه المغاربة والأندلسيين الذين أخذوا منه العلم بمصر وقاموا بنشره ببلادهم، ومن طريق طلاب العلم الأندلسيين الذين أخذوا كتبه من تلاميذه (شيوخهم)؛ رواة كتبه بإفريقية، وقد عرضت لكثير من الروايات التي عثرنا عليها من تلك المصنفات. وختمت الدراسة بخاتمة تُجْمِل أغراضها واستنتاجاتها. ثم أوردت ثبَتًا بالمصادر الأصلية وأمهات المراجع العربية والمُعرَّبة، والمراجع الأجنبية.

(أولًا)
سيرة ابن سَنْجَر الجُرجاني نزيل مصر

اسمه ونسبه وكُنيته ولقبه

هو الإمام المُحدّث المُصَنِّف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سَنْجَر (بفتح أوله، ثم نون ساكنة، ثم جيم مفتوحة، ثم راء)(٧)، الجُرجاني (نسبة إلى مدينة جُرجان)(٨)، ثم القُطابي (نسبة إلى

(٧) **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**، ابن ناصر الدمشقي، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ج. ٥: ١٨٣؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، طبعة شعيب الأرنؤوط وزميله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ج. ١٢: ٤٨٦. ورسمه ابن حجر العسقلاني في المعجم المفهرس (ص١٣٩) سُنْجَر (بضم السين والجيم المفتوحة).

(٨) **تاريخ جرجان**، السهمي، نشر الدكتور محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م، رقم ٦٣٣: ٣٣٧؛ **الأنساب**، السمعاني، طبعة عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨م، ج. ٤: ٥١٨. وتقع جُرجان في أقصى شمال بلاد فارس جنوبي شرقي بحر قزوين. وبدأ الفتح الإسلامي لها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م، ثم ارتد أهلها، فافتتحها يزيد بن المهلب في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك في سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م، وقام بإعادة بنائها. وتعد جرجان أكبر مدن بلاد فارس، وكان لها مياه كثيرة وضياع عريضة وقلاع واسعة. وكان سكانها قبل الإسلام خليطًا من الفرس والترك، وبعد الفتح الإسلامي دخلها نفر من الصحابة والتابعين، واستقر بعضهم مع أهلهم بها، وهاجرت إليها بعض عشائر القبائل العربية واستقرت بها، ومنهم: تميم، وثقيف، وأسد، وآل المهلب بن أبي صفرة، وغيرهم من الأزد، وبعض العناصر القرشية، كبني سهم، وبعض الأنصار، والعلويين. وبذلك امتزج العنصر العربي بالعناصر المحلية، وغدت جرجان بلدًا إسلاميًّا (**فتوح البلدان**، البلاذري، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وزميله، بيروت، ١٩٨٧م: ٢٦٧، ٤٦٩-٤٧١؛ **صورة الأرض**، ابن حوقل، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م: ٣٢٤-٣٢٥؛ **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، المقدسي، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه الدكتور محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧م: ٢٧٢-٢٧٤؛ **تاريخ جرجان**، السهمي: ٤٤-٥٢؛ **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، م. ٢: ١١٩-١٢٢؛ **بلدان الخلافة الشرقية**، كي لسترنج، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وزميله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م: ٤١٨-٤٢١؛

The Early Islamic Conquests, Donner (F.), Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1981: 438; *Gurgan, The Encyclopedia of Islam*, Hartmann (R.)-Boyle (J.A.), New Edition, Brill, Leiden, 1983: 1141.



قُطابة[٩]، من قرى صعيد مصر[١٠]؛ نزيل مصر[١١].

مولده ومنشؤه وطلبه للعلم

لم تذكر المصادر تاريخ ميلاد ابن سنجر. ويتضح من استقراء النصوص أنه وُلد في الربع الأخير من القرن الثاني الهجري (قرابة عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م)؛ فشيخه عبد الله بن نُميْر الهمداني الكوفي، وقد سمع منه بالعراق خلال رحلته العلمية، ومات في سنة ١٩٩هـ/ ٨١٤م[١٢]. ومن المرجح أن ابن سنجر رحل عن بلده، لطلب العلم في العشرينيات من عمره، ولقي عبد الله بن نُمير قبل وفاته، وبذلك يكون مولده قرابة التاريخ الذي اقترحناه. ويتضح من الروايات أن ابن سنجر وُلد بجُرجان، ونشأ وترعرع فيها، وحمله والده إلى مجالس علماء جُرجان، التي كانت تذخر بكبار الحفّاظ في تلك

(٩) **تاريخ جرجان**، السهمي: ٣٣٧؛ **الأنساب**، السمعاني، ج. ٤: ٥١٨؛ **اللباب في تهذيب الأنساب**، ابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، ج. ٣: ٤٣. وضبط ياقوت الحموي اسمها، فقال: «قُطابة بالضم وبعد الألف باء موحدة؛ قرية بمصر ينسب إليها محمد بن سنجر القُطابي» (**معجم البلدان**، ج. ٤: ٣٧٠). ويسميها ابن خير الإشبيلي نطابا (**فهرسة ابن خير الإشبيلي**، حققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٩م: ١٨٢). ولعلها محرّفة عن قطابة التي ذكرها السهمي والسمعاني وابن الأثير.

(١٠) انفرد الخشني بتحديد موقع قطابة، فقال: إنها بصعيد مصر (**طبقات علماء إفريقية**، أبو العرب تميم والخشني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون تاريخ: ١٤٢؛ وتابعه السيوطي، **حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٧م، ج. ١: ٣٨٤؛ **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ، ج. ٢: ١٣٨). وذكر الذهبي أنها من أعمال مصر (**تذكرة الحفاظ**، ج. ٢: ٥٧٩؛ وله أيضًا: **العِبَر في خبر مَنْ غبر**، طبعة أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج. ١: ٣٧١).

(١١) **جذوة المقتبس**، الحميدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م، رقم ٦٧١: ٢٩٦؛ **فهرسة**، ابن خير الإشبيلي: ١٨٢؛ **بغية الملتمس**، الضبي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، رقم ١١٣٤: ٤٠٠؛ **تاريخ الإسلام (حوادث ٢٥١-٢٦٠هـ)**، الذهبي، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م: ٢٩٧؛ وله أيضًا: **المعين في طبقات المحدثين**، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٤م، رقم ١١٦٤: ١٠٢؛ **الرسالة المستطرفة**، محمد بن جعفر الكتاني، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٩٥م: ٤٦.

(١٢) **تاريخ الثقات**، العجلي، طبعة الدكتور عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م، رقم ٩٠١: ٢٨٢؛ **العبر**، الذهبي، ج. ١: ٢٥٨؛ وله: **سير أعلام النبلاء**، ج. ٩: ٢٤٤؛ **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، حيدر آباد الدكن، ١٣٢٦هـ، ج. ٦: ٥٧؛ وله أيضًا: **تقريب التهذيب**، طبعة مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م: ١٩٢؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٩م، رقم ٢٩٩: ١٥٤-١٥٥.

الفترة، ومنهم: حماد بن زيدك الجُرجاني[١٣]، ومخلد بن خداش بن مخلد بن يزيد المهلبي، وابنه محمد ابن مخلد[١٤]، فاغتنم ابن سنجر ذلك، وتتلمذ على أيديهم ونهل من علمهم الكثير، ومن المرجّح أنه درس أيضًا على العلماء القادمين إلى جُرجان آنذاك.

مذهبه

لم تُشر المصادر التي ترجمت لابن سنجر إلى مذهبه الفقهي. ونستدل من الروايات أنه كان سُنيًّا؛ فالمقدسي يذكر أن معظم أهالي جُرجان كانوا من السنة[١٥]، ولعله كان يعتنق المذهب المالكي، فشيوخه الذين تتلمذ على أيديهم بجُرجان - وغيرها من الأمصار التي زارها ودرس بها - كانوا من كبار الفقهاء المالكية، ولا شك أنهم أثّروا في توجهه الفقهي، وكان عيسى بن مسكين - أبرز تلاميذه وراوية كتبه - شيخ المالكية بالمغرب[١٦].

---

(١٣) رحل إلى مكة المكرمة؛ لأداء الفرض، وطلب العلم، فالتقى هناك بسفيان بن عيينة وتحلق حوله وسمع منه، وكان حماد بن زيدك يروي عن علماء آخرين، منهم: ابن المبارك، وسهل بن الحسن. وقد استفاد طلاب العلم الجرجانيون من علم حماد بن زيدك الذي تلقاه عن شيوخه بمكة، ورووه عنه، ومن أشهرهم: إسحاق بن إبراهيم بن خالد الطلقي المؤذن الاستراباذي، وكان من أهل الرأي الثقة في الحديث، والحافظ عمار بن رجاء الاستراباذي، وكان محدثًا ثقة (**تاريخ جرجان**، السهمي، رقم ٢٩٢: ٢٠١-٢٠٢، رقم ١٠٦٩: ٥١٧، رقم ١١٣٣: ٥٣٥).

(١٤) كان مخلد بن خداش يروي عن شيوخه، عن جده يزيد بن المهلب بن أبي صفرة عن أنس بن مالك، وقد أخذ منه ابنه محمد بن مخلد، فصار شيخًا من شيوخ العلم بجرجان، وقد تتلمذ عليه بعض طلاب العلم الجرجانيين، وغيرهم ممن وفدوا على جرجان، فأخذوا منه ورووا عنه، ونذكر منهم: محمد بن أحمد بن ماهان الأيلي، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) صاحب كتاب غريب الحديث (**غريب الحديث**، ابن قتيبة الدينوري، صنع فهارسه نعيم زرزور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ج. ٢: ٢٥٤؛ **تاريخ جرجان**، السهمي: ٥٢، ٤٨٨). وانظر أيضًا: **أضواء جديدة على دور المهالبة السياسي والثقافي في جُرجان (٩٧-٣٨٦هـ/ ٧١٥-٩٩٦م)**، إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، الطبعة الأولى، النادي الثقافي بمسقط، سلطنة عمان - مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٢م: ١٣٩-١٤١.

(١٥) **أحسن التقاسيم**، المقدسي: ٢٧٤-٣٧٥، ٢٨٠-٢٨٢.

(١٦) **طبقات الفقهاء**، الشيرازي، طبعة الدكتور إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م: ١٥٩؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٣: ٥٧٣.



رحلاته العلمية وشيوخه الذين أثّروا في تكوينه العلمي واستقراره بمصر

اشتهر أهل جُرجان بشغفهم بالعلوم والآداب، وبذل الأموال الكثيرة في تحصيلها ببلادهم، وشد الرّحال عدة مرات في طلبها خارجها[١٧]. وقد نبغ من جُرجان طوائف من أهل العلم في مختلف فروع المعرفة، واتصف أهلها بمكارم الأخلاق، وخرج منها رجال كثيرون اشتهروا بالفضل، وعُرفوا بالكرم، فالإدريسي يذكر: «وفي أهلها مروءة ظاهرة، وفيهم علماء، وطلاب للأدب»[١٨]. ولم يكتفِ ابن سنجر بالسماع من شيوخ بلده والعلماء القادمين إليها وإجازتهم له فحسب، إنما رحل من جُرجان، فجال البلاد وطوّف بها، ولقي شيوخها وحُفاظها[١٩]، لتحصيل الإسناد والأجزاء الحديثية، وجمع طرق الأحاديث، ومُناظرة الرواة ومعرفة الرجال[٢٠]، ونستدل على علو إسناده أنه لقي نحو ألف شيخ من أهل الحديث[٢١].

ورغم أن المترجمين لابن سنجر لم يحددوا المراكز الثقافية الإسلامية التي رحل إليها، فإنه يتضح من عدد الشيوخ الذين قابلهم وسمع منهم أنه دخل بلدانًا كثيرة؛ فقد رحل إلى العراق، وكانت مدنها تذخر بكوكبة من مشاهير أهل العلم والفضل العراقيين، والقادمين إليها، والنازلين بها، فصحب بعضهم، وتتلمذ عليهم، واقتبس منهم العلم، فمن شيوخه بالكوفة، عبد الله بن نمير الهمداني الكوفي[٢٢]؛ أحد أصحاب الحديث الثقات المشهورين[٢٣]، والمحدث الثقة يَعْلى بن عُبيد ابن أبي أمية الطَّنافِسِي الكوفي (ت ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)[٢٤]، وعبيد الله بن موسى بن أبي المختار باذام الكوفي العبسي مولاهم الشيعي (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، وكان قد روى عن السفيانيين، وخلق، وروى

---

(١٧) **تاريخ جرجان**، السهمي: ١٢١، ٤٤٧.

(١٨) **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، الإدريسي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م، م. ٢: ٦٨٨.

(١٩) **تاريخ الإسلام (حوادث ٢٥١-٢٦٠هـ)**، الذهبي: ٢٩٧؛ **هدية العارفين**، إسماعيل البغدادي، بيروت، بدون تاريخ، م. ٢: ١٦.

(٢٠) **الرحلة في طلب الحديث**، الخطيب البغدادي، تحقيق نور الدين عتر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م: ٨٩-٩٠؛ **علوم الحديث**، ابن الصلاح، تحقيق وشرح نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م: ٢٤٦-٢٤٧، ٢٥٦.

(٢١) **طبقات علماء إفريقية**، الخشني: ١٤٢.

(٢٢) **تاريخ جرجان**، السهمي: ٣٨٠؛ **طبقات علماء الحديث**، ابن عبد الهادي الدمشقي، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م، ج. ٢: ٢٧٤؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ج. ٢: ٥٧٩؛ وله: **سير أعلام النبلاء**، م. ١، ج. ٢: ٥٧٨-٥٧٩.

(٢٣) **تاريخ الثقات**، العجلي، رقم ٩١: ٢٨٢؛ **العبر**، الذهبي، ج. ١: ٢٥٨؛ **التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، ج. ٦: ٥٧.

(٢٤) **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ج. ٢: ٥٧٩؛ وله أيضًا: **تاريخ الإسلام (حوادث ٢٥١-٢٦٠هـ)**: ٢٩٧.

عنه البخاري، وابن حنبل، وابن معين، وخلق[٢٥]، والحافظ الصدوق خالد بن مخلد القَطَواني الكوفي (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)[٢٦]، ومنهم أيضًا: مُحدث الكوفة الإمام الحافظ المتقن أبو نُعيم الفضل بن دُكين الملائي (ت ٢١٩هـ/ ٨٣٤م)[٢٧]، ويحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الكوفي الحِمّاني (ت ٢٢٨هـ/ ٨٤٣م)، وكان ضعيف الحديث[٢٨].

ومن شيوخ ابن سنجر بالبصرة، النبيل الحافظ الثقة الثبت المتقن الضحاك بن مخلد بن الضحاك الشيباني البصري (ت ٢١٢هـ/ ٨٢٧م)[٢٩]، وعمرو بن عاصم بن عبد الله الكلابي القيسي البصري (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)[٣٠]، ومنهم أيضًا: الثقة الثبت أبو الهيثم البصري مُعَلى بن أسد (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م)[٣١]، وإبراهيم بن زكريا العجلي البصري الضرير المعلم، وكان يُحدث بالبواطل[٣٢]، ومنهم: عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار البصري نزيل بغداد (ت ٢١٩هـ/ ٨٣٤م)؛ أحد الأئمة الأعلام أصحاب السنة الثقات المتقنين[٣٣]، وشيخ الإسلام الثقة الثبت عبد الله بن مسلمة بن قعنب المدني، نزيل البصرة، ثم مكة (ت ٢٢١هـ/ ٨٣٦م)[٣٤]، والمحدث الثقة الثبت

(٢٥) **مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار**، ابن حبان، حققه ووثقه وعلق عليه مرزوق علي إبراهيم، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٧م، رقم ١٣٨٥؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ج. ١، رقم ٣٥٣؛ **سير أعلام النبلاء**، ج. ٩: ٥٥٣؛ وله أيضًا: **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ج. ٣: ١٦؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٣٣١: ١٦٩.

(٢٦) **تاريخ جرجان**، السهمي: ٣٣٧.

(٢٧) **العبر**، الذهبي، ج. ١: ٢٩٧؛ **حسن المحاضرة**، السيوطي، ج. ١: ٣٤٨؛ وله: **طبقات الحفاظ**، رقم ٣٤٩: ١٧٨.

(٢٨) **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٤٠٩: ٢٠٤-٢٠٥.

(٢٩) **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، الدارقطني، طبعة الدكتور محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥م، ج. ٣: ١٧٧-١٧٨؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ج. ١: ٣٦٦؛ **سير أعلام النبلاء**، ج. ٩: ٤٨٠؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ١٧٥: ٣٤٠.

(٣٠) **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ج. ١: ٣٩٢؛ **سير أعلام النبلاء**، ج. ١٠: ٢٥٦؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٣٧٠: ١٨٧.

(٣١) **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، ج. ١٠: ٢٣٦؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٤٤٩: ٢٢٤.

(٣٢) **الضعفاء الكبير**، العقيلي، حققه ووثّقه عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م، رقم ٨٩.

(٣٣) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج. ١٢: ٢٦٩؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ج. ١: ٣٧٩؛ **تهذيب التهذيب**، ابن حجر، ج. ٧: ٢٣٩؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٣٦٣: ١٨٣-١٨٤.

(٣٤) **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٠: ٢٥٩؛ **تذكرة الحفاظ**، السيوطي، رقم ٣٦٦: ١٨٥.



موسى بن إسماعيل التبوذكي البصري المنقري (ت ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م)[٣٥]، وشيخ الإسلام المحدث الثقة أبو الوليد الطيالسي هشام بن عبد الملك الباهلي البصري (ت ٢٢٧هـ/ ٨٤٢م)[٣٦].

ودخل ابن سنجر بغداد أيضًا، فلقي شيخ الإسلام الإمام الحافظ الثبت المتقن يزيد بن هارون الواسطي، البخاري الأصل (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م)[٣٧]، والحافظ الثقة هيثم بن جميل البغدادي (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)[٣٨]، والحافظ الثقة سعيد بن سليمان الضبي المعروف بسَعْدُويه البزاز الواسطي نزيل بغداد (ت ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م)[٣٩].

ورحل ابن سنجر أيضًا إلى الشام، فلقي الإمام محمد بن يوسف بن واقد الفريابي (ت ٢١٢هـ/ ٨٢٧م)، وكان صدوقًا ثقة فيما يرويه، وكان قد سكن قيسارية ورحل الناس إليه[٤٠]، ومن شيوخ ابن سنجر أيضًا: عبد القدوس بن الحجاج الخَوْلاني الحمصي (ت ٢١٢هـ/ ٨٢٧م)[٤١]، والحكم بن نافع البهراني الحمصي (ت ٢٢١هـ/ ٨٣٦م)، وكان ثقة ثبتًا[٤٢]، والحافظ الثقة المتقن شيخ دمشق ومُحدثها ومرجع أهل الشام في الجرح والتعديل أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م)[٤٣]. ورحل ابن سنجر إلى مكة قبل سنة ٢١٩هـ/ ٨٣٤م، لأداء الفريضة وطلب

---

(٣٥) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، م. ٣: ١٤١١؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ج. ١: ٣٩٤؛ **سير أعلام النبلاء**، ج. ١٠: ٣٦٠؛ **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، ج. ١٠: ٣٣٣؛ **تذكرة الحفاظ**، السيوطي، رقم ٣٩٨: ١٩٨-١٩٩.

(٣٦) **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٠: ٣٤١؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٣٦٤: ١٨٤.

(٣٧) عن ترجمته، انظر: **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، ج. ١٤، رقم ٧٦٦١: ٣٣٧-٣٤٧؛ **علوم الحديث**، ابن الصلاح: ٢٢٣، ٢٤١-٢٤٢، ٣٩٣؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ١: ٣١٧؛ **سير أعلام النبلاء**، ج. ٩: ٥٣٨؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٢٨٦: ١٤٨؛ **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، ج. ١: ١٦؛ **علم رجال الحديث**، تقي الدين الندوي المظاهري، دبي، ١٩٨٦م: ٢٤٩-٢٥٠.

(٣٨) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، ج. ١٤: ٥٦-٥٧؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٠: ٣٩٦.

(٣٩) **جامع بيان العلم وفضله**، ابن عبد البر، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج. ١: ٨٨؛ **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، ج. ٩: ٨٦؛ **العبر**، الذهبي، ج. ١: ٣١٠-٣١١؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٣٩٦: ١٩٨.

(٤٠) **تاريخ جرجان**، السهمي: ٦٥، ٦٩، ١١٥، ١٣٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٣٣٠؛ **الأنساب**، السمعاني، ج. ٤: ٣٧٦؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ١، رقم ٣٧٢: ٣٧٦؛ وله أيضًا: **العبر**، ج. ١: ٢٨٥-٢٨٦؛ **تقريب التهذيب**، ابن حجر، ج. ٩: ٥٣٥-٥٣٧؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٣٥٠: ١٧٩.

(٤١) **العبر**، الذهبي، ج. ١: ٢٨٥؛ وله: **تذكرة الحفاظ**، ج. ١: ٣٨٦؛ **سير أعلام النبلاء**، ج. ١٠: ٢٣٣؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٣٤٣: ١٧٦.

(٤٢) **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ج. ١: ٤١٢؛ **سير أعلام النبلاء**، ج. ١٠: ٣١٩؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٣٧٥: ١٨٩.

(٤٣) **عمل اليوم والليلة**، ابن السني، طبعة بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، بدون تاريخ، رقم ٤٧٥: ٢٢٤؛ **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، ج. ١١: ٧٢-٧٤؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٠: ٢٣٣-٢٣٦؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٣٦٢: ١٨٣.

العلم، فلقي عالم أهل مكة الإمام المحدث الحافظ الثقة أبا بكر عبد الله بن الزبير الحُميدي القرشي (ت ٢١٩هـ/ ٨٣٤م)، وسمع منه(٤٤)، وزار ابن سنجر المدينة المنورة أيضًا وسمع من شيوخها، ومنهم: أبو عبد الله إسماعيل بن أبي أُوَيْس عبد الله بن أويس المدني (ت ٢٢٦هـ/ ٨٤١م)، وكان صدوقًا يخطئ، يروي عن خاله مالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وروى عنه البخاري، ومسلم، والدارمي، وأبو حاتم(٤٥).

وكان ابن سنجر متفرغًا في رحلاته العلمية للسماع من العلماء والحفاظ، فكان يصحب معه ورّاقًا خاصًّا يترك له مهمة تدوين هذه السماعات؛ فقد خرج للرحلة العلمية يحمل معه سبعة آلاف وخمسمائة دينار، وأخرج معه إسحاق بن منصور بن بهرام الشهير بالكوسج (ت ٢٥١هـ/ ٨٦٥م)(٤٦)، يورّق له(٤٧). ونستدل من الروايات أن ابن سنجر أنفق أمواله الكثيرة التي حملها معه من جُرجان، فالسهمي يذكر أنه مكث بالبصرة زمنًا، وكان يكتب ويعمل عمل القز(٤٨). ولعله أنفق هذه الأموال في طلب العلم، بالإضافة إلى تكاليف إقامته هو والكوسج رفيقه بالغربة(٤٩).

وأغفلت المصادر رحلة ابن سنجر إلى صنعاء، للقاء شيوخ الحديث والأخذ عنهم. وقد استدللنا على رحلته إليها قياسًا على الرحلات اليمنية لأقرانه طلاب العلم الجُرجانيين الذين رافقوه في الأخذ عن شيوخ العلم في مراكز الثقافة الإسلامية الأخرى؛ فالذهبي يذكر أن إسحاق الكوسج سمع من الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م)، وروى

---

(٤٤) **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢، رقم ٤١٩: ٤١٤؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٤٠٠: ٢٠٠.

(٤٥) **العبر**، الذهبي، ج. ١: ٣١١؛ وله: **سير أعلام النبلاء**، ج. ١٠: ٣٩١؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٣٩٣: ١٩٦-١٩٧.

(٤٦) ولد بمرو، ورحل إلى العراق والحجاز واليمن والشام، فسمع من شيوخها، وروى عن الإمام ابن حنبل، وورد بغداد وحدّث بها، فروى عنه من أهلها خلق كثير، منهم: عبد الله بن أحمد بن حنبل، وروى عنه أيضًا البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود. وكان الإمام إسحاق الكوسج عالمًا فقيهًا، حافظًا حجة ثقة مأمونًا، وقد استوطن نيسابور في آخر عمره، وتوفي بها سنة ٢٥١هـ/ ٨٦٥م (**ذكر أسماء التابعين**، الدارقطني، طبعة بوران الضناوي وزميلها، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٥م، ج. ١، رقم ٥١: ٦١؛ **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، ج. ٦: ٣٦٢؛ **العبر**، الذهبي، ج. ١: ٣٦٠؛ وله أيضًا: **سير أعلام النبلاء**، ج. ١٢: ٢٥٨-٢٦٠).

(٤٧) **تاريخ جرجان**، السهمي: ٣٣٧. جعل السمعاني وابن عبد الهادي الدمشقي والذهبي المبلغ تسعة الآف دينار (**الأنساب**، السمعاني، ج. ٤: ٥١٨؛ **طبقات المحدثين**، ابن عبد الهادي الدمشقي، ج. ٢: ٢٧٥؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢، رقم ٦٠٢: ٥٧٩).

(٤٨) **تاريخ جرجان**، السهمي: ٣٣٧.

(٤٩) من الطريف أن الكوسج كان يتزوج في كل بلد ينزل به، وكان ابن سنجر يؤدي المهر عنه (**تاريخ جرجان**، السهمي: ٣٣٧؛ **الأنساب**، السمعاني، ج. ٤: ٥١٨). ويبدو أن هذه المهور التي دفعها ابن سنجر عن الكوسج، كانت مقابل عمله ورّاقًا له.



عنه[٥٠]. وكان الكوسج رفيقًا لابن سنجر في رحلته العلمية، وشاركه في أكثر رجاله[٥١]. فمن المرجح أن يكون ابن سنجر رحل مع رفيقه إسحاق الكوسج إلى اليمن، وأخذ مثله عن عبد الرزاق[٥٢]، وغيره، وكان عبد الرزاق من أوعية العلم، ومشاهير شيوخ الحديث الثقات الذين نقل عنهم العلم، وله «المصنف» و«الأمالي في آثار الصحابة»[٥٣]، وقد ارتحل إليه من الآفاق لعلمه كثيرٌ من طلاب العلم وشيوخ الحديث، وتكبد بعضهم في الرحلة إليه مشاق جمة[٥٤].

ولقي ابن سنجر أيضًا بعض المحدّثين الثقات محسِني الحديث، فسمع منهم وروى عنهم، ونذكر منهم: أحمد بن عبد الملك بن واقد الأسدي (ت ٢٢١هـ/ ٨٣٦م)[٥٥]، وعبد الله بن صالح[٥٦]، وعبد الوهاب بن عيسى الواسطي[٥٧]، وعمرو بن عاصم القيسي[٥٨]، والهيثم بن جميل[٥٩]، وعبد الله بن إسماعيل الجوداني[٦٠]. ولقي ابن سنجر أيضًا بعض المحدّثين الضعفاء المجاهيل المناكير

---

(٥٠) **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ج. ٢، رقم ٥٤٢: ٥٢٤؛ **تهذيب التهذيب**، ابن حجر، ج. ٦: ٣١١.

(٥١) **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ج.١: ٣٨٦، ٣٩٢؛ وله أيضًا: **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٠: ٢٣٣، ٢٥٦، ج. ١٢: ٢٥٩-٢٦٠.

(٥٢) «التواصل الحضاري بين بلاد اليمن وجُرجان حتى منتصف القرن الخامس الهجري: دراسة في الصلات العلمية والاقتصادية والاجتماعية»، إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، بحث منشور بالعدد الثالث، السنة السابعة، **مجلة كلية التربية**، جامعة كفر الشيخ، ٢٠٠٧م: ١٨.

(٥٣) **تاريخ الثقات**، العجلي، رقم ١٠٠٠: ٣٠٢؛ **الثقات**، ابن حبان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٣م، ج. ٣: ١٠٤؛ **تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم**، ابن شاهين، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، رقم ١٠٣٦: ٢٥٧؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ج. ١: ٣٦٤؛ **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، ج. ٦: ٣٢٨.

(٥٤) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصبهاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، بدون تاريخ، ج. ٩: ١٧٤-١٧٥؛ **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، حققه محمود فاخوري، طبعة الدكتور محمد رواس قلعه جي، بيروت، ١٩٨٦م، م. ٢: ٣٤١؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١١: ١٩١، ١٩٢، ٣٠٦؛ **الوافي بالوفيات**، الصفدي، اعتناء يوسف فان إس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٢م، ج. ١٨، رقم ٦٩٦٨: ٢٤٥.

(٥٥) **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٤٥٠: ٢٢٤-٢٢٥. وانظر أيضًا: **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، ج. ٤: ٢٦٦؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٠: ٦٦٢.

(٥٦) **عمل اليوم والليلة**، ابن السني، رقم ٧٩: ٤٠.

(٥٧) **عمل اليوم والليلة**، ابن السني، رقم ١٠٣: ٥٢.

(٥٨) **عمل اليوم والليلة**، ابن السني، رقم ١٩٥: ١٠١.

(٥٩) **الاستيعاب**، ابن عبد البر، م. ٤، رقم ٣٣٣٤: ١٨٣٦.

(٦٠) **الضعفاء الكبير**، العقيلي، رقم ٨٦١.

متروكي الحديث، وأخذ منهم وروى عنهم، ومنهم: موسى بن مسعود، وإبراهيم بن زكريا، وزيد بن عوف، وسمع من عمر بن صبيح القيسي[٦١].

وانتهى بابن سنجر المطاف بمصر، فألقى عصا الترحال بها، واستوطن قرية تسمى قُطابة بالصعيد[٦٢]. ولم تحدد لنا الروايات تاريخ دخوله مصر واستقراره بها، غير أنه من استقراء الروايات يتبين أنه دخلها أكثر من مرة، فكانت المرة الأولى قبل المحرم سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م، وهو تاريخ وفاة شيخه المحدث الثقة المصنف أسد بن موسى الأموي نزيل مصر، ويقال له أسد السُّنة[٦٣]. ومن المرجح أن ابن سنجر نزل الفسطاط عند دخوله مصر المرة الأخيرة، فقد كانت عاصمة مصر الثقافية، وكانت تذخر بكبار الحفاظ آنذاك، وأخذ العلم من شيوخها قبل أن يستقر به المقام بقطابة. ويؤيد هذا التخريج أيضًا أنه ما وفد على مصر لينزوي في قطابة فحسب، بل قدم سعيًا وراء تحصيل العلم ولقاء شيوخ الحديث المصريين والعلماء القادمين إليها والمقيمين بها، وكان معظمهم يستوطن الفسطاط، وأخيرًا يذكر الذهبي أن ابن سنجر سكن مصر، وأنه استقر بقطابة في آخر عمره[٦٤].

ولم تذكر الروايات سبب نزول ابن سنجر قطابة المغمورة علميًّا. وقد أثار استقراره بها وتركه الفسطاط دهشة بعض تلاميذه المغاربة؛ فقد سأله عيسى بن مسكين عن سبب ذلك، فأجابه: «لأنه يكفيني بالصعيد في جميع قُوْتِي، ما لا يكفيني بالفسطاط إلا النيل لا غيره»[٦٥]. وهكذا يتضح أن نزوله الصعيد واستقراره بقطابة كان لأسباب اقتصادية تتعلق بضيق الأرزاق بالفسطاط، وكثرة خيرات الصعيد في أواخر عصر الولاة التابعين للدولة العباسية في عصرها الثاني (٢٣٢-٢٥٤هـ/ ٨٤٧-٨٦٨م)، وقبل استقلال أحمد بن طولون بمصر وتأسيسه إمارة وراثية بمصر

---

(٦١) **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، ابن حبان، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ١٤٠٢هـ، رقم ٩٧١.

(٦٢) **تاريخ جرجان**، السهمي: ٣٣٧؛ **الأنساب**، السمعاني، ج. ٤: ٥١٨؛ **فهرسة**، ابن خير الإشبيلي: ١٨٢؛ **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، ج. ٤: ٣٧٠؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢، رقم ٦٠٢: ٥٧٩.

(٦٣) **العبر**، الذهبي، ج. ١: ٢٨٤، **تهذيب التهذيب**، ابن حجر، ج. ١: ٢٦٠؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٣٧٣: ١٨٨.

(٦٤) **تاريخ الإسلام (حوادث ٢٥١-٢٦٠هـ)**، الذهبي: ٢٩٧.

(٦٥) **طبقات علماء إفريقية**، الخشني: ١٤٢-١٤٣.



والشام (٢٥٤هـ/ ٨٦٨م)[٦٦]. وهذا دليل آخر على أنه قد نزل الفسطاط أولًا قبل أن يتحول عنها إلى قطابة، ويُستفاد من ذلك النص أيضًا أنه كان يمارس بمصر عملًا تجاريًّا يقتات منه (لعله تجارة القز التي كان يحترفها بالبصرة)، فلما اكتمل تحصيله، وصار محدّثًا ذا شهرة، وكسدت تجارته بالفسطاط، تحول عنها إلى الصعيد.

تلاميذه

روى عن ابن سنجر خلق كثير، وهذا يتناسب وقيمته ومكانته العلمية، واتساع رحلته. ومن المرجح أن عددًا كبيرًا من طلاب العلم والعلماء المعاصرين له بمصر، وغيرها من البلدان الإسلامية الأخرى، أدركوا قيمته العلمية وعرفوا له أستاذيته، فرحلوا إليه بصعيد مصر، وتكاثروا عليه، وتحلقوا حوله ينهلون من فيض علمه، فسمعوا منه وكتبوا عنه. ولا ريب أن حصر تلاميذ ابن سنجر متعذر جدًّا، فبعد أن ذكر الذهبي بعض تلاميذه المعروفين، أشار إلى غيرهم المجهولين،

(٦٦) ينحدر أحمد بن طولون من أصول تركية. وكان والده طولون من المماليك الأتراك الذين أرسلهم حاكم مدينة بخارى ببلاد ما وراء النهر إلى الخليفة العباسي المأمون، وولد ابنه أحمد بن طولون في مدينة «سامراء» في عهد الخليفة المعتصم في سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م، ولما ازداد نفوذ القادة الأتراك على الدولة العباسية ومعظم أقاليمها، عين الخليفة المعتز بالله (٢٥٢-٢٥٥هـ/ ٨٦٦-٨٦٩م)، باكباك واليًا على مصر، فعقد لأحمد بن طولون على مصر، فحضر إليها في رمضان سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م، فسعى إلى تثبيت أقدامه في حكمها والانفراد بشئونها السياسية والمالية، وتأسيس دولة يحكمها وأولاده من بعده. ولما قتل باكباك وحل محله يارجوخ في ولاية مصر، تزوج أحمد بن طولون من ابنته، فقام يارجوخ بتثبيته في النيابة عنه بالفسطاط، وأطلق يده في مصر كلها، فتخلص ابن طولون من كبار رجال الولاية، خاصة ابن المدبر صاحب الخراج، وشقير صاحب البريد، وجمع كل السلطات في يده، ولم ينازعه أحد في حكم مصر (**تاريخ اليعقوبي**، اليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م، م. ٢: ٥٠٣-٥٠٩؛ **تاريخ الأمم والملوك**، الطبري، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، ج. ٩: ٣٦٣، ٣٨١. وانظر أيضًا: **مصر في عصر الولاة من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية**، سيدة إسماعيل كاشف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م).

فقال: «وجماعة غيرهم من طلاب العلم الرّحالين»(٦٧). وسنذكر فيما يلي بعض مشاهيرهم الذين تخرجوا على يديه:

- أبو موسى عيسى بن مسكين بن منصور بن جريج بن محمد الإفريقي (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٩م)(٦٨).
- أبو عبد الله محمد بن مسكين أخو عيسى بن مسكين، وكان يصغره بثلاث سنين(٦٩).
- أبو جعفر أحمد بن عمرو بن منصور الإلبيري (نسبة إلى إلبيرة) الأندلسي(٧٠)، (ت ٣١٢هـ/ ٩٢٢م)(٧١).

---

(٦٧) **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ج. ٢: ٥٧٨.

(٦٨) **طبقات علماء إفريقية**، الخشني: ١٤٢-١٤٣؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢: ٥٧٨. صحب سحنون بن سعيد وسمع منه جميع كتبه، وكان يشبهه في سمته وهيئته، ورحل فلقي بمصر الحارث بن مسكين، ويونس بن عبد الأعلى وسمع منهما، ولقي أبا جعفر الأيلي بالشام وسمع منه، وله تصانيف، وكان عالمًا باللغة، قائلًا للشعر، وكان مستجاب الدعوة، ومناقبه كثيرة (**طبقات علماء إفريقية**، الخشني: ١٤٢-١٤٣؛ **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٣٤٦، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٦٩، ٣٧١؛ **ترتيب المدارك**، عياض، طبعة محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، م. ١: ٤٩٢-٤٩٣، ٥٠١؛ **تأريخ قضاة الأندلس**، النباهي: ٣٠-٣١، ١٦٨).

(٦٩) **ترتيب المدارك**، القاضي عياض، م. ١: ٥٠١-٥٠٢.

(٧٠) Elvira من كور جنوب الأندلس، وتقع شمال غرب غرناطة على سفح جبل (سييرا إلبيرة)، وأصبحت عاصمة لغرناطة. وهي بين القبلة والشرق من قرطبة، وهي جليلة القدر، أسسها الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل، ونزلها جند دمشق من العرب، وحولها أنهار كثيرة، وهي مدينة العلم، فقد اجتمع فيها سبعة من رواة الإمام سحنون في وقت واحد (**فرحة الأنفس**، ابن غالب، نشر الدكتور لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، م. ١، ج. ٢، القاهرة، ١٩٥٥م: ١٤-١٥؛ **معجم البلدان**، ياقوت، ج. ١: ٢٤٤، ج. ٢: ١٩٥؛ **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، الحميري، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م: ٢٩-٣٠).

(٧١) **تاريخ الفقهاء والمحدثين**، الخشني: ١٤-١٦؛ **تاريخ علماء الأندلس**، ابن الفرضي، رقم ٧٦: ٢٧-٢٨؛ **جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٢٣٧: ١٣٩؛ **بغية الملتمس**، الضبي، رقم ٤٤٩: ١٩٧. سمع بالأندلس، ورحل إلى المشرق، فلقي محمد بن سحنون، ويونس بن عبد الأعلى، والربيع بن سليمان الجيزي، ونصر بن مرزوق، وجماعة سواهم كثير. روى عنه خالد بن سعد، وغيره؛ **تاريخ ابن يونس الصدفي (تاريخ الغرباء)**، ابن يونس المصري، جمع وتحقيق ودراسة وفهرسة الدكتور عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج. ٢، رقم ٦٥: ٢٨؛ **جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٤٠٩: ٢٠٥؛ **فهرسة**، ابن خير الإشبيلي: ١٤٢؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢: ٥٧٨؛ **الوافي بالوفيات**، ابن أيبك الصفدي، ج. ١٣، رقم ٣٩٥٦: ١٥٢؛
La obra biografica de Jalid b. Sad, E.O.B.A, Avila (M. L.), Consejo Superior de Investigacion Cientificas, Escuela de Estudios Arabes, Granada-Madrid, 1991, Vol. IV: 189-193; *Andalusies en Al-Wafi-Bi-L-Wafayat*, E.O.B.A, Avila (M. L.), Consejo Superior de Investigacion Cientificas, Escuela de Estudios Arabes, Granada-Madrid, 1991, Vol. IV: 193.



- أبو عبد الله محمد بن المسيب بن إسحاق بن عبد الله النيسابوري الأرْغِياني الزاهد (ت ٣١٥هـ/ ٩٢٥م)(٧٢).
- محمد بن دليل بن بشر البغدادي، وكان ثقة(٧٣)، وقد حدّث بما سمعه منه بالرملة(٧٤).
- عبد الجبار بن أحمد السمرقندي، وتتلمذ عليه بمصر، وكان مجهول الحال(٧٥).
- إبراهيم بن محمد بن الضحّاك المصري، وكان صدوقًا حسن الحديث(٧٦). ولازم ابن سنجر في قطابة، فسمع منه كثيرًا، وروى عنه(٧٧).
- عبد الرحمن بن أحمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن رشدين بن سعد المهري المصري (ت ٣٢٦هـ/ ٩٣٦م)، وكان ثقة صحيح السماع(٧٨).
- عبد الله بن سلمة بن يونس الأسواني(٧٩).
- أبو سلمة أسامة بن أحمد أبو سلمة التجيبي مولاهم (ت ٣٠٧هـ/ ٩١٨م)، وكان صدوقًا حسن الحديث(٨٠).

---

(٧٢) **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢: ٥٧٨؛ وله أيضًا: **سير أعلام النبلاء**، ج. ١٤: ٤٢٢. الحافظ البارع، وكان قد رحل في طلب العلم وسماع الحديث، فدخل مصر، فتتلمذ على شيوخها، وكان يمشي في دروبها وفي كمه مائة جزء (**العبر**، الذهبي، ج. ١: ٤٧٠-٤٧١؛ **نكت الهميان في نكت العميان**، الصفدي، نشر أحمد زكي، القاهرة ١٩١١م: ٢٧٤؛ **البداية والنهاية**، ابن كثير، ج. ١١: ١٦٥؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٧٥٤: ٣٥٠).

(٧٣) **تاريخ جرجان**، السهمي: ٣٣٨؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢: ٥٧٨.

(٧٤) **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، ابن حبان، رقم ٩٧١؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢: ٥٧٨.

(٧٥) **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، رقم ١٠٣٧١؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢: ٤١٤، ٥٧٨.

(٧٦) **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢: ٥٧٨.

(٧٧) **عمل اليوم والليلة**، ابن السني، أرقام ٧٩، ١٠٣، ١٩٣، ٤٧٠: ٤٠، ٥٢، ١٠١، ٢٢٤.

(٧٨) **تاريخ جرجان**، السهمي: ٣٣٨؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢: ٥٧٨.

(٧٩) **الضعفاء الكبير**، العقيلي، أرقام ٨٩، ٨٦١.

(٨٠) **الكامل في ضعفاء الرجال**، العجلي، رقم ٤٤٤؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ج. ٢: ٥٧٨. كان محدثًا مكثرًا، وكانت أحاديثه معروفة، وكان لا يخلط بين الأحاديث الصحيحة المعروفة التي يرويها الثقات، وبين غيرها من المناكير غير المعروفة، روى عن يونس، وروى عنه الكندي وابن يونس، وغيرهما (**تاريخ ابن يونس (تاريخ المصريين)**، ابن يونس، ج. ١: ٣٦؛ **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، ابن ماكولا، طبعة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ، ج. ٤: ٣٥٨).

أقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه

كان ثناء العلماء المعاصرين أو غيرهم بمثابة التعديل والتزكية لمن عدّلوا أو زكوا، وأقوال أولئك العلماء لا تُطلق جزافًا، إنما تعبر عن منزلة الرجل عند أهل العلم. فقال عنه ابن حاتم: «ابن سنجر ثقة»[٨١]. وزاد ابن العماد الحنبلي على ذلك، فقال: «وكان ابن سنجر ثقة خيًّرا»[٨٢]، ووصفه ابن حبان، فقال: «مستقيم الحديث»[٨٣]، ووصفه الذهبي والسيوطي بالحافظ الكبير[٨٤]، وفي هذا دلالة على سمو وارتفاع مكانته العلمية، وقوة حفظه للأحاديث النبوية الشريفة؛ فالحافظ (مأخوذ من الحفظ)، وهو مَنْ اجتمعت فيه صفات المُحدّث، كالمهارة في الحديث روايةً ودرايةً، والتمييز بين سقيمه وصحيحه، ومعرفة علومه واصطلاحات أهله، والمؤتلف والمختلف من رواته، ومعرفة غريب ألفاظ الحديث، بالإضافة إلى كثرة الحفظ وجمع الطرق. وقال بعض علماء الحديث إن الحافظ من وعى مائة ألف حديث متنًا وإسنادًا، ولو بطرق متعددة، وعَرَف من الحديث ما صح، وعرف اصطلاح هذا العلم[٨٥]، ومما يدل أيضًا على سمو مكانة ابن سنجر بين المحدثين أن الذهبي كان يعده من كبار أئمة الدين[٨٦]، وجعله في طبقة واحدة من طبقات المحدثين مع الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، ومحمد بن يحي الذُهَلي شيخ نيسابور، والفقيه المحدث إسحاق بن منصور الكوسج، والحافظ العلامة يعقوب بن شيبة السدوسي البصري نزيل بغداد (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٦م)، وكان صدوقًا كثير الرواية والتصنيف[٨٧].

---

(٨١) **طبقات المحدثين**، ابن عبد الهادي الدمشقي، ج. ٢: ٢٧٤؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢: ٥٧٨-٥٧٩.

(٨٢) **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، ج. ٢: ١٣٨؛ **الرسالة المستطرفة**، الكتاني: ٤٦.

(٨٣) **تاريخ الإسلام (حوادث ٢٥١-٢٦٠هـ)**، الذهبي: ٢٩٧.

(٨٤) **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢: ٥٧٨؛ **سير أعلام النبلاء**، ج. ١٠: ٢٥٩؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٥٧٣: ٢٧٧.

(٨٥) **أصول الحديث**، محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٩م: ٤٤٨.

(٨٦) **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢ رقم ٤١٩: ٤١٤.

(٨٧) **المعين في طبقات المحدثين**، الذهبي، رقم ١١٦٤: ١٠٢؛ وله أيضًا: **العبر**، ج. ١: ٣٧٧.



وفاته

وبعد رحلة حافلة بالتنقل والترحال في طلب العلم ونشره في الآفاق، فاضت روح ابن سنجر لتلقى بارئها في شهر ربيع الأول ٢٥٨هـ/ يناير ٨٧٢م[٨٨]. ورغم أن معظم المترجمين له لم يحددوا مكان وفاته، فمن المرجح أنه مات بقطابة ودفن بها؛ فقد نزل بها، واتخذها مستقرًّا له بمصر حتى نُسب إليها. ويؤيد هذا التخريج رواية عيسى بن مسكين، وكان شاهد عيان على وفاته بقطابة[٨٩]، ويؤيد ذلك أيضًا قول الذهبي إنه مات بصعيد مصر[٩٠].

(٨٨) **تاريخ جرجان**، السهمي: ٣٣٧؛ **الأنساب**، السمعاني، ج. ٤: ٥١٨؛ **فهرسة**، ابن خير الإشبيلي: ١٨٢؛ **طبقات المحدثين**، ابن عبد الهادي الدمشقي، ج. ٢: ٢٧٥؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢: ٥٧٩؛ **حسن المحاضرة**، السيوطي، ج. ١: ٣٤٨.

(٨٩) **ترتيب المدارك**، القاضي عياض، م.١ : ٤٩٨.

(٩٠) **العبر**، الذهبي، ج. ١: ٣٧١؛ وله: **سير أعلام النبلاء**، ج. ١٢: ٤٨٦؛ **شذرات الذهب**، العماد الحنبلي، ج. ٢: ١٣٨.

(ثانيًا)
تراث الحافظ ابن سَنْجَر الجُرجاني نزيل مصر

مصنفاته

كان ابن سنجر مشتغلًا بالجمع والتصنيف، وألَّف مما جمع في رحلاته كتبًا كثيرة، وكانت مؤلفاته عظيمة الفائدة نافعة سارت عنه، ومع ذلك فلم يُعدد المترجمون له مصنفاته. وقد وقفنا على بعضها في مظان متعددة، وهي كبيرة الحجم وتضم أسفارًا كثيرة في الفقه، والحديث النبوي الشريف، ومن تصانيفه:

- المُسْنَد: وهو كتاب في الحديث[٩١]، وهو من المسانيد المخرجة على أسماء الصحابة ﷺ، ويقع في عشرين جزءًا[٩٢]. وقد اشتهر ابن سنجر به، فقيل: محمد بن سنجر أبو عبد الله الجرجاني الحافظ صاحب المسند[٩٣].
- مُسْنَد علي (الإمام علي بن أبي طالب): وهو كتاب مشهور، ذَكَره ابن عبد الهادي الدمشقي[٩٤]، والذهبي[٩٥]، والسيوطي[٩٦].

---

(٩١) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٧٨، ٨٠-٨١، ٨٥، ٨٧، ١١٢؛ **جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٦٧١: ٢٩٦؛ **بغية الملتمس**، الضبي، رقم ١١٣٤: ٤٠٠؛ **تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة**، ابن حجر العسقلاني: ١٨٧؛ **هدية العارفين**، البغدادي، م. ٢: ١٦.

(٩٢) **فهرسة**، ابن خير الإشبيلي: ١٨٢. وانظر أيضًا: **الرسالة المستطرفة**، الكتاني: ٤٦؛ **هدية العارفين**، البغدادي، ج. ٢: ١٦؛ **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٥٩م، ج. ١٠: ٢١٨؛ **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م، ج. ٧: ٩٤.

(٩٣) **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ٢، رقم ٤١٩: ٤١٤؛ وله أيضًا: **سير أعلام النبلاء**، ج. ١٢: ٤٨٦؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي: ٢٧٧.

(٩٤) **طبقات المحدثين**، ابن عبد الهادي الدمشقي، ج. ٢، رقم ٥٧١: ٢٧٤.

(٩٥) **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ٢: ٥٧٨-٥٧٩؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي: ٢٧٩.

(٩٦) **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٥٧٣: ٢٧٧.



- كتاب العين: وهو في الحديث، ويقع في ستة أجزاء(٩٧).
- تفسير محمد بن سنجر: وهو كتاب كبير يقع في عشرين جزءًا(٩٨).

المساند لغة واصطلاحًا ونماذج من أشهرها

المساند أو المسانيد (مفردها المُسْنَد)، وهو مصطلح صحيح على الوجهين معًا(٩٩). وهي كتب ليست على الأبواب، ولكنها على أساس المسانيد، موضوعها وضع حديث كل صحابي على حدة. وقد اعتمد أصحاب المسانيد على الرواية غير متقيدين بأن يكون حديثًا محتجًّا به، فاشتملت على الأحاديث الصحيحة، وغير الصحيحة، فلهذا تأخرت مرتبتها عن مرتبة كتب الصِّحاح وما التحق بها من الكتب المصنفة على الأبواب(١٠٠). والمسانيد غير السنن، فالسنن في اصطلاح المحدثين هي الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية من الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة، وغيرها(١٠١). وقد سلك أصحاب المسانيد في ترتيب أسماء الصحابة مسالك شتى، فمنهم مَن رتبها هجائيًا، أو السابقة في الإسلام، أو على القبائل والشرافة النسبية، ومنهم مَن لم يراعِ شيئًا من ذلك(١٠٢). وقد قرظ ابن حزم الأندلسي المسانيد وعدها من أجلّ المصنفات وأولى الكتب بالتعظيم؛ لأنها أفردت لكلام رسول الله ﷺ صرفًا(١٠٣).

(٩٧) **فهرسة**، ابن خير الإشبيلي: ١٨٣؛ **هدية العارفين**، البغدادي، ج. ٢: ١٦؛ **معجم المؤلفين**، عمر كحالة، ج. ١٠: ٢١٨؛ **الأعلام**، الزركلي، ج. ٧: ٩٤.

(٩٨) **توضيح المشتبه**، ابن ناصر الدمشقي، ج. ٥: ١٨٣؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٨: ١٥٦؛ وله أيضًا: **العبر**، ج. ٢: ٣١٦.

(٩٩) **علوم الحديث**، ابن الصلاح: ٣٧.

(١٠٠) **علوم الحديث**، ابن الصلاح: ٣٨.

(١٠١) **علوم الحديث**، ابن الصلاح: ٣٨.

(١٠٢) **أصول التخريج ودراسة الأسانيد**، محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٦م: ٤٠.

(١٠٣) **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٨: ٢٠٢-٢٠٣.

ويمكن جمع المسند على الأبواب معللًا، وهو أحسن، فإنه لا يأتي فيه تكرار، لأن النظر فيه إلى المتن، فلا يضر الاختلاف في صحابيه على الراوي بخلاف الأول(١٠٤)، ويذكر المؤلف فيه الصحابي ثم يسوق ترجمته بأسانيده، ثم يسوق أحاديثه ويذكر عليها. وقد يطلق المسند على كتاب مرتب على الأبواب أو الحروف أو الكلمات، لكون أحاديثه مُسْنَدة ومرفوعة، أو أسندت ورفعت إلى النبي ﷺ، فصحيح البخاري يسمى بالمسند الصحيح، وكذا صحيح مسلم، يسمى المسند الكبير(١٠٥)، وسنن الدارمي (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)، فإنها تسمى مسند الدارمي. وربما كان لبعض المحدثين، مسندان أو ثلاثة؛ فقد صنف ابن سنجر مسندين، هما: المسند، ومسند عليّ، وصنف الحافظ السدوسي مسند أبي هريرة، ومسند عليّ(١٠٦)، والمسند الكبير المعلل(١٠٧).

وقد بلغت المسانيد التي صنفها الأئمة المحدثون مائة مسند أو تزيد(١٠٨)، ومن أشهرها: مسند الحافظ أبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت ٢٠٣هـ/ ٨١٨م)(١٠٩)، ومسند عبيد الله ابن موسى (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، ومسند الحافظ نعيم بن حماد الخزاعي المروزي نزيل مصر (ت ٢٢٩هـ/ ٨٤٤م)(١١٠)، ومسند الحافظ أبي جعفر عبد الله بن محمد بن اليمان الجعفي البخاري المعروف بالمسندي (ت ٢٢٩هـ/ ٨٤٤م)، وقد لقب بذلك «لأنه كان يتتبع المسند ويتطلبه»(١١١)، ومسند إسحاق بن إبراهيم المروزي (ابن راهويه) نزيل نيسابور وعالمها (ت ٢٣٨هـ/ ٨٥٣م)(١١٢)، ومسند عثمان بن شيبة (ت ٢٣٩هـ/ ٨٥٤م)، ومسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، والمسند الكبير لشيخ الإسلام الحافظ بقي بن مخْلَد القرطبي (ت ٢٧٦هـ/ ٨٩٠م)، وروى فيه «عن ألف

(١٠٤) **كشف الظنون**، حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج. ٢: ١٦٧٩.

(١٠٥) **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٥٩١: ٢٨٣-٢٨٤.

(١٠٦) **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٥٧٢: ٢٧٧.

(١٠٧) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، ج. ١٤، رقم ٧٥٧٥: ٢٨١؛ **المعين في طبقات المحدثين**، الذهبي، رقم ١١٦٤: ١٠٢؛ **البداية والنهاية**، ابن كثير، ج. ١١: ٤٠؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٥٧٢: ٢٧٧. وراجع أيضًا: **الرسالة المستطرفة**، الكتاني: ٦٩.

(١٠٨) **الرسالة المستطرفة**، الكتاني: ٤١-٥٠؛ **أصول التخريج ودراسة الأسانيد**، محمود الطحان: ٤٠.

(١٠٩) **تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة**، ابن حجر العسقلاني: ١٣٣.

(١١٠) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، ج. ١٣: ٣٠٦، ٣١٣-٣١٤؛ **العبر**، الذهبي، ج. ١: ٣١٨؛ وله: **تذكرة الحفاظ**، ج. ٣، رقم ٤٢٤: ٤١٨-٤٢٠؛ **البداية والنهاية**، ابن كثير، ج. ١٠: ٦٦٤.

(١١١) **العبر**، الذهبي، ج. ١: ٣١٨.

(١١٢) **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ج. ٢، رقم ٤٤٠: ٤٣٣-٤٣٥.



وثلاثمائة صحابي ونيف، ورتبه على أبواب الفقه، فهو مسند ومصنف ليس لأحد مثله»[١١٣].
وأحصى أحد الباحثين عناوين قرابة الخمسين مسندًا من المسانيد الضائعة، منها: مسند الصحابة الذين نزلوا مصر لمحمد الربيع الجيزي، ومسند ابن سنجر[١١٤].

أسباب تأليف ابن سَنْجَر لمسانيده

أدرك ابن سنجر أهمية تقييد العلم، بالتأليف فيه، فقد روى لتلاميذه، ومنهم: عيسى بن مسكين، عن شيوخه، أن عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيج (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، وكان من أوعية العلم، وأحد فقهاء أهل مكة وقرائهم ومفتيهم، وأول من صنف الكتب بالحجاز[١١٥]؛ روى عن عطاء بن أبي رباح (ت ١١٤هـ/ ٧٣٢م)[١١٦]، أن عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ/ ٦٨٧م)[١١٧]، نصح تلاميذه بتقييد العلم، أي كتابته[١١٨]. وقد شعر علماء القرن الثالث الهجري، ومنهم ابن سنجر، بالخطر المحدق بالسنة المشرفة الذي كاد يذهب بنورها، فقاموا ببلورة التدوين للحديث، لمطاردة الكذابين والقضاء على باطل الأفاكين. ومن أسباب تأليف ابن سنجر لمسانيده أيضًا إظهار المقدرة العلمية في التصنيف والجمع والترتيب خدمةً للحديث النبوي، واقتداءً بشيوخه الذين صنفوا المسانيد، ومنهم: يزيد بن هارون، وعبد الرزاق الصنعاني، وأسد السنة، وابن باذام الكوفي، والحميدي المكي.

(١١٣) **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، المقري، حققه الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م، م. ٣: ١٦٨.

(١١٤) **أصول التخريج ودراسة الأسانيد**، محمود الطحان: ٤٠.

(١١٥) عن ترجمته، راجع: **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، ج. ١٠، رقم ٥٥٧٣: ٤٠٠-٤٠٧؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ٧: ١١١؛ **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، الفاسي، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٦٢-١٩٦٧م، ج. ٥: ٥٠٨-٥١٠؛ **التهذيب**، ابن حجر، ج. ٦: ٤٠٢.

(١١٦) **طبقات الحفاظ**، السيوطي: ٣٧-٣٩.

(١١٧) **المعرفة والتاريخ**، الفسوي، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٤هـ، ج. ٣: ٣٣٠.

(١١٨) **جامع بيان العلم وفضله**، ابن عبد البر، ج. ١: ٨٨.

منهج ابن سَنْجَر في مصنفاته ورواية الحديث

أمدتنا المصادر بإشارات مهمة عن منهج ابن سنجر في رواية كتب الحديث. فقد كان يرويها لتلاميذه المتحلقين حوله في المجالس العامة والخاصة من كتبه، التي كتبها بخطه، وكتبها له ورّاقه إسحاق الكوسج، وجلبها معه إلى مصر. وقد اعتمد ابن سنجر على الرواية، واجتهد أن تكون الأحاديث محتجًّا بها، فقد كان ثقة مستقيم الحديث، ولهذا اشتملت مصنفاته على الأحاديث الصحيحة لبعض الصحابة الذين صحبوا رسول الله ﷺ، ورووا عنه حديثًا كثيرًا، ومنهم: عثمان ابن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبو هريرة بن عامر بن عبد ذي الشّري بن طريف الدوسي (ت ٥٧هـ؟/ ٦٧٦م)(١١٩). وكان بعض الصحابة الرواة الذين أدخلهم ابن سنجر في مسنده قد غزوا إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي السرح سنة ٢٧هـ(١٢٠)، وكانت لهم في ذلك آثار ومقامات مشهورة، ونذكر منهم: حمزة بن عمرو الأسلمي (ت ٦١هـ/ ٦٨٠م)(١٢١)، والمطلب بن وداعة الحارث ابن ضبيرة السهمي(١٢٢)، وبلال بن الحارث المزني المدني (ت ٦٠هـ/ ٦٧٩م)(١٢٣). وجرهد بن خويلد بن

---

(١١٩) **أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد منهم من العدد**، ابن حزم، تحقيق سيد كردي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م: ٣٧؛ **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر العسقلاني، القاهرة، ١٣٢٨هـ، ج. ٧: ١٩٩.

(١٢٠) عن هذه الغزوة، راجع: **فتوح مصر وأخبارها**، ابن عبد الحكم، تقديم وتحقيق محمد صبيح، القاهرة، ١٩٧٤م: ١٢٤-١٢٥؛ **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ١٤-٢٧؛ **الحلة السيراء**، ابن الأبار، حققه وعلق حواشيه الدكتور حسين مؤنس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ج. ١: ١٤، ٢٠، ٢٤-٢٥، ٢٨؛ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ابن عذاري، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ج. ١: ٨-١١.

(١٢١) **أسماء الصحابة الرواة**، ابن حزم، رقم ١٩٥: ١٦٥؛ **الاستيعاب**، ابن عبد البر، م. ١، رقم ٥٤٢: ٣٧٥.

(١٢٢) **أسماء الصحابة الرواة**، ابن حزم، رقم ١٩٨: ١٦٦، ٢٣١؛ **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٧٧-٧٨؛ **الاستيعاب**، ابن عبد البر، م. ٣، رقم ٢٤١٤: ١٤٠٢.

(١٢٣) **أسماء الصحابة الرواة**، ابن حزم، رقم ٢١٦: ١٧٦؛ **الاستيعاب**، ابن عبد البر، م. ١، رقم٢١٥: ١٨٣.



بجرة السلمي المدني (ت ٦١هـ/ ٦٨٠م)[١٢٤]، وربيعة بن عِباد الدؤلي المدني[١٢٥]، وبُسْر بن أرطأة الشامي (ومات بالشام قبل سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م)[١٢٦].

وأدخل ابن سنجر في مسنده أيضًا بعض الصحابة من قادة فتح إفريقية، ومنهم: معاوية بن حُديج الكندي (السكوني)، وكان قد دخل إفريقية غازيًا ثلاث مرات مفترقات، وكانت له بها مقامات جليلة ومشاهد مشهورة شريفة[١٢٧]، ورُوَيفع بن ثابت بن سكن بن عدي بن حارثة الأنصاري (توفي ببرقة وهو أمير عليها سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م)[١٢٨]، وكانت له بالمغرب وإفريقية ولايات وفتوحات[١٢٩]، وفضالة بن عبيد (ت ٥٣هـ/ ٦٧٢م)، ودخل إفريقية مع رُوَيفع بن ثابت سنة ٤٧هـ/ ٦٦٦م[١٣٠].

وقد عثرنا على بعض الأحاديث التي رواها تلاميذ ابن سنجر القيروانيون من مسنده بإفريقية؛ ومنها: من طريق ابن سنجر، عن بسر بن أرطأة، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «اللَّهُمَّ أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة»[١٣١]، ومن طريق ابن سنجر في مسنده في جملة ما رواه عن الصحابة، عن جرهد بن خويلد، عن النبي ﷺ، أنه قال: «الفخذ

(١٢٤) **أسماء الصحابة الرواة**، ابن حزم، رقم ٢٠٩: ١٧٢؛ **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٨٣؛ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، تحقيق إبراهيم البنا وأحمد عاشور، منشورات كتاب الشعب، القاهرة، ١٩٧٣م، ج. ١: ٣٣١؛ **الإصابة**، ابن حجر العسقلاني، ج. ١: ٢٤١.

(١٢٥) **أسماء الصحابة الرواة**، ابن حزم، رقم ٢٨٠: ٢١١؛ **الاستيعاب**، ابن عبد البر، م. ٢، رقم ٧٦٢: ٤٩٣؛ **أسد الغابة**، ابن الأثير، ج. ٢: ٢١٣؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ٣: ٣٣٩.

(١٢٦) **أسماء الصحابة الرواة**، ابن حزم، رقم ٣٢٩: ٢٣٦؛ **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٨٥؛ **الاستيعاب**، ابن عبد البر، م. ١، رقم ١٧٤: ١٥٧-١٦٦؛ **تاريخ بغداد**، البغدادي، ج. ١: ٢١٠؛ **أسد الغابة**، ابن الأثير، ج. ١: ٢١٣؛ **الإصابة**، ابن حجر العسقلاني، ج. ١: ١٥٢.

(١٢٧) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٢٨-٣٠، ٩٣. وانظر أيضًا: **فتوح مصر وأخبارها**، ابن عبد الحكم: ١٢٨، ١٣١-١٣٢؛ **أسماء الصحابة الرواة**، ابن حزم، رقم ٣٤٠: ٢٤٢؛ **أسد الغابة**، ابن الأثير، ج. ٥: ٢٠٦؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ٧: ٣٧؛ **الإصابة**، ابن حجر العسقلاني، ج. ٦: ١١١.

(١٢٨) **طبقات علماء إفريقية**، أبو العرب تميم: ٢٨؛ **أسماء الصحابة الرواة**، ابن حزم، رقم ٢١٤: ١٧٥؛ **الاستيعاب**، ابن عبد البر، م. ٢، رقم ٧٨٨: ٥٠٤؛ **أسد الغابة**، ابن الأثير، ج. ٢: ٢٣٩؛ **الإصابة**، ابن حجر، ج. ٢: ٢١٤.

(١٢٩) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٨١؛ **الاستيعاب**، ابن عبد البر، م. ٢، رقم ٧٨٨: ٥٠٤.

(١٣٠) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٨٠. وانظر أيضًا: **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج. ٢: ١٧؛ **أسماء الصحابة الرواة**، ابن حزم، رقم ٦٢: ٨٠؛ **الاستيعاب**، ابن عبد البر، م. ٣، رقم ٢٠٨٠: ١٢٦٢؛ **أسد الغابة**، ابن الأثير، ج. ٤: ٣٦٣؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ٣: ١١٣.

(١٣١) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٨٥.

عورة»[١٣٢]، ومن طريق محمد بن سنجر، عن معاوية بن حديج، أن رسول الله ﷺ، قال: «إن كان في شيء شفاء ففي شرطة من محجم أو شربة من عسل أو كية بنار»[١٣٣]، ومن طريق ابن سنجر، عن حنش بن عبد الله الصنعاني، قال: «غزونا المغرب وعلينا رويفع بن ثابت فافتتحنا قرية يقال لها جربة، فقام فينا رويفع بن ثابت خطيبًا، فقال: إني لا أقوم فيكم إلا بما سمعت من رسول الله ﷺ، قام فينا يوم خيبر حين افتتحناها فقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس ثوبًا من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يركبن دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه»[١٣٤]. ومن طريق ابن سنجر، عن ربيعة بن عباد الدؤلي، قال: «رأيت رسول الله ﷺ بذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله ﷻ، ووراءه رجل تقد وجنتاه، وهو يقول: أيها الناس لا يغرنكم عن دينكم ودين آبائكم، قلت: من هذا؟ قالوا: عمه أبو لهب لعنه الله»[١٣٥]. ومن طريق ابن سنجر عن فضالة بن عبيد، قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أَمِنَه الناس على أموالهم وأنفسهم. والمسلم؟ من سلم الناس من لسانه ويده. والمجاهد؟ من جاهد نفسه في طاعة الله ﷻ. والمهاجر؟ من هجر الخطايا والذنوب»[١٣٦].

وقد أدخل ابن سنجر في مسنده أيضًا بعض الأحاديث الموضوعة الظاهرة من لفظها، ومنها: أحاديث رويت في ذم البربر، فمن ذلك ما ذكره مُسْنَدًا عن عثمان بن عفان، عن رسول الله ﷺ، قال: «قسم الله تعالى الخبث على سبعين جزءًا فجعل في البربر تسعة وستين جزءًا والثقلين جزءًا واحدًا»[١٣٧]. وقد انفرد ابن سنجر بذكر بعض الصحابة الرواة عن رسول الله ﷺ، منهم:

---

(١٣٢) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٨٣. وانظر أيضًا: **صحيح البخاري**، البخاري، طبعة جديدة، دار ابن كثير، دمشق -بيروت، ٢٠٠٢م، رقم ١٢: ١٠٣. وذكر ابن عبد البر أن حديث جرهد هذا مضطرب (**الاستيعاب**، م. ١، رقم ٣٥٥: ٢٧١).

(١٣٣) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٩٢.

(١٣٤) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٨١؛ **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، الدباغ، طبعة محمد ماضور، المكتبة العتيقة بتونس، مكتبة الخانجي، بمصر، ١٩٧٨م، ج. ١: ١٢٢-١٢٥.

(١٣٥) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٧٩. وانظر أيضًا: **الاستيعاب**، ابن عبد البر، م. ٢، رقم ٧٦٢: ٤٩٣؛ **أسد الغابة**، ابن الأثير، ج. ٢: ٢١٣؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ٣: ٣٣٩.

(١٣٦) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٨٠؛ **معالم الإيمان**، الدباغ، ج. ١: ١٠٥-١٠٦.

(١٣٧) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ٢: ٣٥٤.



زياد بن الحارث الصداني (وصداء حيٌّ من اليمن)، وأغرب في حديث عنه(١٣٨). ويعد ابن سنجر المُصنِّف الوحيد من أصحاب المسانيد الذي أدخله في مسنده؛ فعن ابن أنعم عن زياد بن نعيم الحضرمي، عن زياد بن الحارث الصداني صاحب رسول الله ﷺ، قال: «أتيت نبي الله ﷺ، فبايعته على الإسلام، فأخبرت أنه بعث جيشًا إلى قومي، فقلت: يا نبي الله ارْدُد الجيش، وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم. قال: فاذهب فردهم. فقلت: يا رسول الله، إن راحلتي قد كلّت، فبعث رسول الله ﷺ فردهم. قال الصداني: فكتبت إليهم، فقدم وفدهم بإسلامهم»(١٣٩).

وأدخل ابن سنجر في كتابه المسند أيضًا بعض كبار التابعين، ومنهم: حِبّان بن أبي جبلة القرشي (ت ١٢٥هـ/ ٧٤٢م)، وكان من أهل الفضل والدين، وأحد التابعين العشرة الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز لنشر الإسلام في إفريقية، فسكن القيروان وانتفع به أهلها، وكان قد روى عن جماعة من الصحابة، منهم: ابن عباس، وعمرو بن العاص وولده عبد الله، وحدّث عبيد الله بن زحر، عن حِبّان بن أبي جبلة، عن أبي قتادة صاحب رسول الله ﷺ، أنه قال: «من اغتسل ثم غسل رأسه ثم دنا فاستمع يوم الجمعة وأنصت، كان له كأجر سنة صيامها وقيامها»(١٤٠). وكان ابن سنجر يذكر عددًا من رواة الأحاديث الذين أغفلهم كبار المحدثين؛ فقد أدخل الإمام مالك بن أنس حديثًا في موطئه عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبيه، عن بلال ابن الحارث المزني، بينما ذكر ابن سنجر ذلك الحديث وأدخل علقمة جد محمد بن عمرو، وقد قرظ الشيخ أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن القابسي في كتابه «الملخص لما في الموطأ من الحديث المسند»، منهج ابن سنجر في مسنده، فقال عن روايته لذلك الحديث: «وفي اتصاله شيء»(١٤١).

(١٣٨) بايع النبي ﷺ، وأذن بين يديه، وروى عنه أربعة أحاديث (**أسماء الصحابة الرواة**، ابن حزم، رقم ٣٣٩: ٢٤٢). ويعد في المصريين، ودخل إفريقية وشهد المغازي. وعن ترجمته، راجع: **الاستيعاب**، ابن عبد البر، م. ٢، رقم ٨٢٥: ٥٣٠-٥٣١؛ **أسد الغابة**، ابن الأثير، ج. ٢: ٢٩٦؛ **الإصابة**، ابن حجر العسقلاني، ج. ٣: ١٨.

(١٣٩) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٨٧-٨٩. والحديث بتصرف عند ابن عبد البر (**الاستيعاب**، م. ٢، رقم ٨٢٥: ٥٣١).

(١٤٠) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ١١١-١١٢.

(١٤١) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ١: ٧٦-٧٧.

مصادر ابن سَنْجَر في مصنفاته

استقى ابن سنجر موارد مصنفاته من مصادر عديدة متنوعة؛ ومنها: المصادر المكتوبة؛ فقد صنف علماء الحديث المتقدمين عليه، والمعاصرين له المسانيد الكثيرة، منها: مسند الطيالسي، ومسند عبيد الله بن موسى، ومسند إسحاق بن راهويه، ومسند الدارمي، ومسند عثمان بن شيبة، ومسند أحمد بن حنبل. واعتمد ابن سنجر أيضًا على مسانيد شيوخه، ومنها: مسند أسد السنة، ومسند يحي بن عبد الحميد الحِمّاني، ومسند الحُمَيْدي المكي، واستند ابن سنجر أيضًا فيما نعتقد إلى مؤلفات شيخه عبد الرزاق الصنعاني «المصنف»، و«الأمالي في آثار الصحابة»، وكانا يذخران بروايات الصحابة.

واستقى ابن سنجر موارد مصنفاته أيضًا من المصادر المسموعة؛ فقد تتلمذ على نحو ألف شيخ من أهل الحديث وسمع منهم[١٤٢]. ولا شك أن مروياته عنهم كانت من مصادره الرئيسة لكتابه المسند، ونذكر منهم: يزيد بن هارون، وكان ثبتًا في الحديث متقنًا، يحفظ منه خمسة وعشرين ألف إسناد تقدم بها على حُفاظ عصره[١٤٣]، والفضل بن دكين، وكان محدّثًا ثقة، ثبتًا في الحديث، وكان عالمًا بالرجال وأنسابهم[١٤٤]، وروى ابن سنجر في مسند علي عن شيوخه المحدثين الثقات، ومنهم: عبد الله بن نمير الهمداني الكوفي، ويزيد بن هارون، ويعلى بن عبيد[١٤٥]، وعن شيوخه الضعفاء كإبراهيم بن زكريا الواسطي[١٤٦].

(١٤٢) **طبقات علماء إفريقية**، الخشني: ١٤٢.

(١٤٣) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، ج. ١٤، رقم ٧٦٦١: ٣٣٩-٣٤٠؛ **علوم الحديث**، ابن الصلاح: ٢٢٣-٢٤٢، ٣٩٣؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، م. ١، ج. ١: ٣١٧؛ وله: **سير أعلام النبلاء**، ج. ٩: ٥٣٨؛ **طبقات الحفاظ**، السيوطي، رقم ٢٨٦: ١٤٨؛ **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، ج. ١: ١٦؛ **علم رجال الحديث**، تقي الدين الندوي المظاهري، الطبعة الأولى، دبي، ١٩٨٦م: ٢٤٩-٢٥٠.

(١٤٤) **تاريخ الثقات**، العجلي، رقم ١٣٥١: ٣٨٣؛ **تاريخ أسماء الثقات**، ابن شاهين، رقم ١٠٧٦: ٢٦٤؛ **تاريخ بغداد**، البغدادي، م. ١٢، رقم ٦٧٨٧: ٣٤٦-٣٥٧؛ **العبر**، الذهبي، ج. ١: ٢٩٧؛ وله أيضًا: **سير أعلام النبلاء**، ج. ١٠: ١٤٩.

(١٤٥) **طبقات المحدثين**، ابن عبد الهادي الدمشقي، ج. ٢: ٢٧٤؛ **تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ج. ٢: ٥٧٩؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، م. ١، ج. ٢: ٥٧٨-٥٧٩.

(١٤٦) **الضعفاء الكبير**، العقيلي، رقم ٨٩؛ **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، رقم ١٠٣٧١.



(ثالثًا)
انتقال مصنفات ابن سَنْجَر إلى إفريقية والأندلس

مُسْنَد ابن سَنْجَر في إفريقية

جذبت شهرة ابن سنجر ومكانته العلمية كثيرًا من طلاب العلم المغاربة، فحرصوا على السماع منه أثناء رحلاتهم العلمية إلى مصر ومراكز الثقافة الإسلامية المشرقية، وكان أبو موسى عيسى بن مسكين من مشاهير تلاميذه المغاربة، فقد رحل إلى المشرق رحلتين، غير أنه لم يسمع من ابن سنجر في رحلته الأولى (وكانت قبل سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٦م)، التي توفي فيها شيخه الإمام الحارث بن مسكين؛ قاضي الديار المصرية[١٤٧]، فرجع في الثانية بسببه، فلما دخل مصر، علم أن ابن سنجر يطلب أحد القُراء المجيدين، ليقرأ لابن الأمير مُسْنَدًا، فرأى ابن مسكين - وكان يحسن القراءة - ذلك فرصة، فتوجه إلى دار ابن سنجر، لينهل من علمه، فلازمه واستفاد منه، فسمع كثيرًا منه، وروى عنه، وكان يكتب كتبه الليل كله، ويقرأ بالنهار لطلاب العلم الذين قصدوا ابن سنجر ليأخذوه عنه، حتى كمل نسخه للمسند، وسماعه[١٤٨]. ويتضح من الروايات أن رحلة ابن مسكين إلى قطابة كانت في أواخر حياة ابن سنجر سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م، فما مرت تلك الأيام حتى مات ابن سنجر[١٤٩].

انصرف عيسى بن مسكين إلى إفريقية بعلم كثير، فتبوأ مكانة علمية سامقة، فصنف كتبًا كثيرة في الفقه والآثار، وكان متفننًا في الحديث، والفقه، وأسماء الرجال وكناهم، وقويهم

(١٤٧) كان فقيهًا على المذهب المالكي، وكان ثقة في الحديث ثبتًا، وروى عنه كافة المصريين (**تاريخ ابن يونس الصدفي**، ابن يونس المصري، ق١، رقم ٢٦٩: ١٠٠؛ **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، ج. ٨: ٢١٦-٢١٧؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٢، رقم ١٢: ٥٤-٥٨؛ وله: **العبر**، ج. ١: ٣٥٨؛ **البداية والنهاية**، ابن كثير، ج. ١١: ٧؛ **رفع الإصر عن قضاة مصر**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، رقم ٥٠: ١١٥.

(١٤٨) **ترتيب المدارك**، القاضي عياض، م. ١: ٤٩٨.

(١٤٩) **ترتيب المدارك**، القاضي عياض، م. ١: ٤٩٨.

وضعيفهم، وكان ثقة مأمونًا، فصار شيخ المالكية بالمغرب وفقيه أهل إفريقية[١٥٠]. وأقام بكورة الساحل بإفريقية[١٥١]، فكان يجلس للناس يفتيهم ويُحدثهم، وكان يحضر مجلسه كثير من العُباد وطلاب العلم[١٥٢]، فسمع منه أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت ٣٣٣هـ/ ٩٤٧م)، وكان قد كتب بيده أكثر من ثلاثة آلاف كتاب، وكان عالمًا بما فيها، وسمع منه أيضًا: أحمد بن محمد بن المثنى[١٥٣]، والفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي هاشم مسرور مولى بني عبيدة التجيبيين المعروف بابن الحجام (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٨م)[١٥٤]، وحمدون بن مجاهد الكلبي[١٥٥]. وقد احتفظت المصادر المغربية ببعض الأحاديث التي سمعها أبو العرب تميم من شيخه عيسى بن مسكين، عن محمد بن عبد الله الجُرجاني، مرفوعًا إلى النبي ﷺ، أنه قال: «يكون في آخر الزمان قوم يُسمَّوْن الرافضة، فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنهم كفار»[١٥٦]، وقد روى أبو العرب تميم هذا الحديث بالمسجد لما بلغه أن الفقهاء اجتمعوا في تدبير الخروج مع الثائر أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي

---

(١٥٠) **طبقات علماء إفريقية**، الخشني: ١٤٢-١٤٣؛ **طبقات الفقهاء**، الشيرازي: ١٥٩؛ **ترتيب المدارك**، القاضي عياض، م. ١: ٤٩٢-٤٩٣، ٥٠١؛ **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، ج. ٢: ٢٢٠.

(١٥١) تقع جنوب القيروان وبينهما مسيرة يوم. وهي ليست بساحل البحر. وكانت كثيرة السواد من الزيتون والشجر والكروم، ولذلك عرفت بسواد الزيتون، وعرف أهل الساحل بأهل السواد. وهي قرى متصلة بعضها في بعض كثيرة، ولهذه البلد مدينتان يقال لإحداهما «سه»، وللأخرى «قبيشة» (**كتاب البلدان**، اليعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج. ١: ١٨٩؛ **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، البكري، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ: ٢٤، ٣١).

(١٥٢) وكان من سيرته - في غير مدة قضائه كما ذكر القاضي عياض - أنه كان إذا أصبح قرأ حزبه من القيروان، ثم جلس للطلبة إلى العصر. فإذا كان العصر، دعا بنته وبنات أخيه، يعلمهن القرآن والعلم (**ترتيب المدارك**، م. ١: ٥٠١).

(١٥٣) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ٢: ٣٠٩؛ **ترتيب المدارك**، القاضي عياض، م. ١: ٥٠٢؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٣: ٥٧٣.

(١٥٤) **طبقات علماء إفريقية**، الخشني: ١٧٦-١٧٧؛ **ترتيب المدارك**، عياض، م. ٢: ٤٤؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٣: ٥٧٣. هو أحد الأئمة، سمع من يحي بن عمر، وسعيد بن إسحاق، وعبد الله بن سهل الأندلسي، وجماعة غيرهم من شيوخ إفريقية. ورحل فسمع في رحلته بمصر، وغيرها من جماعة، منهم: إبراهيم بن جميل، وابن الأعرابي. وفضائله مشهورة، وكان يشبه بشيخيه يحي ابن عمر، وحمديس القطان في علمهما وورعهما وزهدهما، وانتفع به عالَم كثير. وكانت له تأليفات ومصنفات في أنواع من العلوم، منها: كتاب المواقيت ومعرفة النجوم والأزمان (**طبقات علماء إفريقية**، الخشني: ١٧٦؛ **رياض النفوس**، المالكي ج. ٢: ٤٢٢-٤٢٤؛ **ترتيب المدارك**، عياض، م. ٢: ٤٤-٤٦؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٥، رقم ٢٨٦: ٥٠٦، **معالم الإيمان**، الدباغ، ج. ٣: ٥٧-٥٨).

(١٥٥) **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٣، رقم ٢٩٦: ٥٧٣.

(١٥٦) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ٢: ٣٠٩؛ **معالم الإيمان**، الدباغ، ج. ٣: ٣٥.



(صاحب الحمار)، إلى المهدية عاصمة الدولة الفاطمية، وكانت تلك الثورة من أخطر الثورات التي اندلعت ضد الفاطميين وهددت نفوذهم في بلاد المغرب (٣٣٢-٣٣٦هـ)[١٥٧].

ونستدل من الروايات أن عيسى بن مسكين حدّث أيضًا بالقيروان، ورَقادة حاضرة دولة الأغالبة؛ فقد تقلد قضاء القيروان للأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبي، فأسكنه برَقادة[١٥٨]، ثم

(١٥٧) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ٢: ٣٠٩-٣١٠؛ **معالم الإيمان**، الدباغ، ج. ٣: ٣٥. ابتدأت دعوة أبي يزيد زمن الخليفة المهدي سنة ٣١٦هـ، فلما كثر أتباعه وقوي أمره جاهر الفاطميين بالعداء سنة ٣٣٢هـ، فبايعه أنصاره وتلقب بأمير المؤمنين، ودعا للخليفة عبد الرحمن الناصر صاحب الأندلس، فخرج بهم من جبال أوْراس واستولى على المناطق الجبلية الوعرة والقلاع في غرب تونس، ثم اتجه بجموع البربر نحو المهدية، وقد أقدم الخليفة إسماعيل المنصور الذي خلف والده القائم في سنة ٤٣٤هـ، وكان يتمتع بالحزم والقوة، على أبي يزيد وجموعه، وقد استفحل أمره، فتغلب على أعمال إفريقية، وحصره بالمهدية، ثم انتقل إلى مدينة سوسة، فانهزم الخارجي قدّامه إلى القيروان ثم إلى سبيبة، وهزمه في موقعة تعرف بيوم الجمعة في السابع من المحرم سنة ٣٣٥هـ، وقد مات الخارجي بعد هزيمته وانكسار جيشه متأثرًا بجراحه سنة ٣٣٦هـ. راجع: **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، ابن حماد، تحقيق فوندر هايدن، باريس - الجزائر، ١٩٢٧م: ١٩-٢٦؛ **عيون الأخبار وفنون الآثار**، الداعي إدريس، تحقيق فرحات الدشراوي، تونس، ١٩٧٩م: ٨٠، وما بعدها حتى ٢١٦؛ **الحلة السيراء**، ابن الأبار، ج. ١: ٢٩٠-٢٩١، ج. ٢: ٣٨٧-٣٨٩؛ **تاريخ ابن خلدون**، ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحاذة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ج. ٤: ٥٢-٥٧؛ **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، عبد العزيز المجدوب، الطبعة الثانية، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٥م: ٢٠٣؛ **تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنو زيري إلى قيام المرابطين)**، سعد زغلول عبد الحميد، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ج. ٣: ١٧٠-١٩٩؛

La révolte d'Abou Yazid au Xe siècle, Letourneau (R.), Les Cahiers de Tunisie, V. 1, 1953.

(١٥٨) كانت دولة الأغالبة من الناحية الفقهية إمارة استكفاء بعقد اختيار، فقد تولاها الأمير الأغلبي برضى الخليفة العباسي واختياره. فقد قلد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٨م)، إبراهيم بن الأغلب إفريقية سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م، فاستقل بملكها وأورث سلطانها بنيه نيفًا على مائة سنة. وذكر ابن الأبار أنه لم يلِ إفريقية أحد قبل إبراهيم بن الأغلب أعدل في سيرة ولا أحسن لسياسة ولا أرفق برعية ولا أضبط لأمر منه (**الحلة السيراء**، ج. ١: ٩٣-٩٤). قدم أهل القيروان إبراهيم بن أحمد الأغلبي، لحُسن سيرته وعدله، فامتنع ثم أجاب (٢٦١هـ/ ٨٧٥م). وقد أحسن السيرة فيهم نحوًا من سبع سنين، ثم أصيب بمرض عقلي يعرف بالماليخوليا (الهوس)، فتبدلت أحواله، فظلم الرعية، وامتحنهم بإسرافه حتى سموه الفاسق، ثم ثاب إلى رشده، لتهديد الخليفة العباسي المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠٢م) بعزله (المصدر السابق، ابن الأبار، ج. ١: ١٨٠؛ **تاريخ ابن خلدون**، ابن خلدون، ج. ٤: ٢٥٩-٢٦١)، ولظهور أبي عبد الله الداعي الشيعي يدعو للعبيدين واتباع قبيلة كتامة له، وكان ذلك كما ذكر ابن خلدون «من الأسباب التي دعته إلى التوبة والإقلاع والخروج إلى صقلية» (**تاريخ ابن خلدون**، ج. ٤: ٢٦١). ولم يلِ إفريقية قبله أطول عمرًا من ذلك الأمير الأغلبي في سلطانه، فقد ملك تسعًا وعشرين سنة إلا خمسة أشهر وثمانية عشر يومًا (٢٦١-٢٨٩هـ/ ٨٧٥-٩٠٣م) (مصدر سابق، ابن الأبار، ج. ١: ١٧١-١٧٢). وقام الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبي بتشييد مدينة رَقادة على مسافة أربعة أميال من القيروان سنة ٢٦٣هـ، وانتقل إليها من مدينة القصر القديم التي أسسها إبراهيم بن الأغلب قبلي مدينة القيروان وعلى ثلاثة أميال منها (سنة ١٨٤هـ)، وبنى إبراهيم بن أحمد الأغلبي برقادة قصورًا عجيبة وجامعًا، وعُمّرت بالأسواق والحمامات والفنادق. ولم يكن بإفريقية كما ذكر أبو عُبيد البكري أعدل هواء، ولا أرق نسيمًا، ولا أطيب تربة من مدينة رَقادة، وكان الأمير إبراهيم بن أحمد قد أرق ولم ينم أيامًا، فعالجه طبيبه وأمره بالخروج والمشي، فلما وصل إلى موضع

استعفاه بعد ثماني سنوات وأحد عشر شهرًا فأعفاه، فعاد إلى منزله بكورة الساحل، فظل يفتي ويحدّث بها حتى وفاته بها سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٩م[١٥٩].

وانتقل كتاب المسند لابن سنجر إلى إفريقية أيضًا عن طريق أبي عبد الله محمد بن مسكين، فقد رحل مع أخيه محمد بن مسكين في رحلته الثانية إلى مصر، وشاركه في أكثر رجاله، فسمع من محمد بن سنجر[١٦٠]. وكان محمد بن مسكين من أهل العلم صالحًا، ثقة، عاقلًا، وأقام بكورة الساحل بإفريقية يفتي ويحدث الناس، فسمع منه أبو العرب تميم بن محمد، وأحمد بن محمد بن المثنى[١٦١]، وأبو محمد عبد الله بن مسرور[١٦٢].

وقد انتشر كتاب المسند لابن سنجر في إفريقية عن طريق مشاهير تلاميذ تلاميذ عيسى بن مسكين وأخيه محمد بن مسكين؛ فقد سمع لقمان بن يوسف (ت ٣١٩هـ/ ٩٣٠م)، وكان بصيرًا بالحديث وعارفًا بالرجال، من شيخه عيسى بن مسكين؛ سيرة ابن سنجر ومصنفاته، ورواها عنه، فأخذها خلق كثير من تلاميذه المتحلقين حوله، وكان لقمان بن يوسف من آنَس الناس مجلسًا وأغزرهم حديثًا وخبرًا، وأعرفهم بأخبار القيروان وأخبار شيوخها[١٦٣]، وسمع أبو محمد عبد الله بن مسرور مسند ابن سنجر من عيسى بن مسكين، ومحمد بن مسكين[١٦٤]، وقد أجازه عيسى بن مسكين

رَقادة نام، فسميت رَقادة من يومئذ، واتخذت دارًا ومسكنًا للأمير الأغلبي (**المغرب في ذكر بلاد إفريقية**، البكري: ٢٤، ٢٧-٢٨؛ **تراجم أغلبية**، عياض، استخرجها من المدارك محمد الطالبي، المطبعة الرسمية، تونس، ١٩٦٨م؛ **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، م. ٣: ٥٥، ابن الأبار، نفسه، ج. ١: ١٧٢-١٧٣). وانظر أيضًا: **تاريخ المغرب العربي (تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين)**، سعد زغلول عبد الحميد، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م، ج. ٢: ١١٣-١١٩؛ **الدولة الأغلبية (التاريخ السياسي)** (١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م)؛ **تعريب المنجي الصياد**، محمد الطالبي، مراجعة حمادي الساحلي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.

(١٥٩) **ترتيب المدارك**، القاضي عياض، م. ١: ٤٩٣-٥٠١؛ **تأريخ قضاة الأندلس**، النباهي: ٣١-٣٢. ذكر ابن عذاري أنه مات سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٩م (**البيان المغرب**، ج. ١: ١٤٤-١٤٥).

(١٦٠) **ترتيب المدارك**، القاضي عياض، م. ١: ٥٠١.

(١٦١) **ترتيب المدارك**، القاضي عياض، م. ١: ٥٠٢.

(١٦٢) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ٢: ٤٢٢-٤٢٤.

(١٦٣) كان لقمان بن يوسف حافظًا بمذهب مالك، وكان عالمًا باللغة، سمع من عيسى بن مسكين ويحي بن عمر وغيرهما من أهل القيروان، ورحل حاجًّا فسمع بمصر حديثًا كثيرًا (**طبقات علماء إفريقية**، الخشني: ١٧١؛ **رياض النفوس**، المالكي، ج. ٢: ١٩٣-١٩٤؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٣: ٥٧٣).

(١٦٤) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ٢: ٤٢٢-٤٢٤؛ **تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة**، ابن حجر العسقلاني: ١٣٩.



أكثر سماعه(١٦٥)، وغلب عليه الجمع والرواية، فانتفع به عالَم كثير من طلاب العلم القيروانيين؛ فقد سمع منه أبو محمد بن أبي زيد، ومحمد بن إدريس، وأبو عبد الله الصدفي، وغيرهم من أهل إفريقية ومصر والأندلس(١٦٦). وكان أبو محمد عبد الله بن مسرور حسن التقييد، صحيح الكتاب، وكانت كتبه كلها سبعة قناطير بخط يده، فحبّسها على المسلمين، وكان ثلثها عند تلميذه أبي محمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني شيخ المالكية(١٦٧)، وثلثاها عنده، فلما مات أمر السُّلْطَان العُبَيْدِي (الخليفة الفاطمي)(١٦٨)، بمصادرة ما كان عنده، ووضعها في القصر ومنع الناس منها «كيدًا للإسلام وبغضًا فيه»، ولم يَسْلم منها إلا الثلث الذي كان عند ابن أبي زيد (ت ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م)، فانتفع به الناس(١٦٩). وقد حدّث علي بن محمد الربعي، قال: حدثنا أبو محمد بن مسرور، قال: حدثنا عيسى بن مسكين، عن محمد بن عبد الله بن سنجر، عن حجاج بن مِنهال، عن حماد، عن عاصم بن بهدلة، عن الشعبي، أن رسول الله ﷺ، قال: «مِن اقتراب الساعة أن يُرى الهلال ابن ليلة كأنه ابن ليلتين»(١٧٠).

---

(١٦٥) **الديباج المذهب**، ابن فرحون، تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ، ج. ١: ٤٢٣-٤٢٤.

(١٦٦) **معالم الإيمان**، الدباغ، ج. ٣: ٥٧-٥٨؛ **الديباج**، ابن فرحون، ج. ١: ٤٢٣-٤٢٤؛ **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية**، محمد محمد زيتون: ٤٣٠-٤٣١.

(١٦٧) كان يلقب مالكًا الصغير. ورحل إليه من الأقطار ونَجبَ أصحابه، وكثر الآخذون عنه، وملأ البلاد في تواليفه، وكان له رحلة، فحج وسمع من أبي سعيد بن الأعرابي، وغيره، وأخباره مبثوثة عند المالكي رغم أنه لم يترجم له (**رياض النفوس**، ج. ٢: ١٠١، ١٠٤، ١١٠، ٢٨٦-٢٨٨، ٣٠٠، ٤٨٣، ٥٠١؛ **العبر**، الذهبي، ج. ٢: ١٧٧).

(١٦٨) **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٥، رقم ٢٨٦: ٥٠٦. وأطلق المالكي لقب «سلطان الوقت» (**رياض النفوس**، ج. ٢: ٤٢٣-٤٢٤؛ **ترتيب المدارك**، م. ٢: ٤٤)، ولم يذكر اسمه. فلعله يقصد الخليفة معدّ الملقب بالمعز لدين الله الفاطمي، وكان قد تقلد الخلافة في السابع من ذي الحجة سنة ٣٤١هـ/ ٢٤ إبريل ٩٥٣م (**الحلة السيراء**، ابن الأبار، ج. ٢، رقم ٣١٦: ٣٩١-٣٩٣؛ **تاريخ ابن خلدون**، ابن خلدون، ج. ٤: ٥٨).

(١٦٩) **رياض النفوس**، المالكي، ج. ٢: ٤٢٣-٤٢٤؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٥، رقم ٢٨٦: ٥٠٦؛ **معالم الإيمان**، الدباغ، ج. ٣: ٥٨.

(١٧٠) **السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها**، الداني، دراسة وتحقيق الدكتور رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ، ج. ١، رقم ٣٩٨.

مُسْنَد ابن سَنْجَر في الأندلس

اعتبر الفقيه ابن حزم مسند ابن سنجر من الكتب الأَوْلَى بالتعظيم في الأندلس[١٧١]. وكان الفقيه المحدث أحمد بن عمرو بن منصور مولى بني أمية، ويعرف بابن عمريل من أهل إلبيرة، قد رحل إلى المشرق فلقي محمد بن عبد الله بن سنجر الجرجاني بمصر، وسمع منه «مسنده»[١٧٢]. ونستدل من الروايات أن ابن منصور الإلبيري لقي ابن سنجر بمصر نحو عام ٢٥٧هـ/ ٨٧١م، فقد كان في المشرق، وحج في نفس العام (٢٥٧هـ)[١٧٣]. وبعد أن استكمل الإلبيري تحصيله في رحلته المشرقية التي استغرقت خمس عشرة سنة، عاد إلى الأندلس بعلم كثير، فتقلَّد منصب صاحب صلاة إلبيرة وخطيبها إلى أن مات ٣١٢هـ/ ٩٢٤م، وجلس للرواية، فقد كان فقيهًا، يفهم الحديث بصيرًا بعلله، ثبتًا فيما روى حافظًا لما قيد، ويعرف الرجال، فتحلق حوله كثير من طلاب العلم الأندلسيين، وتكبدوا مشقة الرحلة إليه من مختلف نواحي البلاد[١٧٤]. وقد روى مُحدث الأندلس أحمد بن عمرو بن منصور الإلبيري مسند ابن سنجر لتلاميذه، فسمعه منه الحافظ خالد بن سعد القرطبي (ت ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م)، وكان إمامًا في الحديث حافظًا له مكثرًا، بصيرًا بعلله، عالمًا بطرقه، مقدّمًا على أهل وقته في ذلك[١٧٥]، وقام بروايته لتلاميذه[١٧٦]، فسمعه منه الحافظ المُصنِّف أبو محمد قاسم بن أصبغ البياني (٢٤٤-٣٤٠هـ/ ٨٥٨-٩٥١م)، وكان إمامًا من أئمة الحديث، بصيرًا

---

(١٧١) **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٨: ٢٠٣.

(١٧٢) **أخبار الفقهاء والمحدثين**، الخشني: ١٤-١٦؛ **تاريخ علماء الأندلس**، ابن الفرضي، رقم ٧٦: ٢٧-٢٨؛ **جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٢٣٧: ١٣٩؛ **بغية الملتمس**، الضبي، رقم ٤٤٩: ١٩٧.

(١٧٣) **أخبار الفقهاء والمحدثين**، الخشني: ١٥.

(١٧٤) **أخبار الفقهاء والمحدثين**، الخشني، رقم ١٢: ١٤-١٦؛ **تاريخ علماء الأندلس**، ابن الفرضي، رقم ٧٦: ٢٧-٢٨؛ **جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم٢٣٧: ١٣٩؛ **بغية الملتمس**، الضبي، رقم ٤٤٩: ١٩٧؛ **طبقات علماء الحديث**، ابن عبد الهادي، رقم ٧٦٦: ٥٢٠-٥٢١.

(١٧٥) سمع خالد بن سعد من سعيد بن عثمان الأعناقي، ومحمد بن قاسم، وغيرهما من أهل قرطبة، ومحمد بن فطيس الإلبيري، وصنف كتابًا في رجال الأندلس ألفه للحكم المستنصر بالله (**تاريخ علماء الأندلس**، ابن الفرضي، ق١، رقم ٣٩٨: ١٣٠-١٣١)؛ *La obra biografica de Jalid b. Sad*, E.O.B.A, Avila (M.L), Granada-Madrid, 1991, Vol. IV: 189-193; *Andalusies en Al-Wafi-Bi-L-Wafayat*, Avila (M.L), E.O.B.A, Granada-Madrid, 1991, Vol. IV: 193.

(١٧٦) **جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٤٠٩: ٢٠٥؛ **الوافي بالوفيات**، الصفدي، ج. ١٣، رقم ٣٩٥٦: ١٥٢.



برجاله، وروى عنه جماعة أكابر من أهل بلده[١٧٧]، وحفيده أبو محمد قاسم بن محمد بن قاسم، المعروف بابن عَسَلون (ت ٣٨٨هـ/ ٣٩٩م)[١٧٨]، فحدّث قاسم بن محمد به تلاميذه أيضًا، فأخذه منه الفقيه الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري (٣٦٢-٤٦٣هـ/ ٩٧٣-١٠٧١م)[١٧٩]، عن خالد بن سعد عن أحمد بن عمرو بن منصور الإلبيري عن ابن سنجر[١٨٠]. وقد روى ابن عبد البر عن أصحاب قاسم بن أصبغ وتلاميذه[١٨١]، بعض أحاديث مسند ابن سنجر، ومنها: أنه قال: حدثنا خالد بن سعد، قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن منصور، قال: حدثنا محمد بن سنجر، قال: حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: سمعت عمر بن الخطاب، يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «لأُخرِجَنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب»[١٨٢]. وروى ابن عبد البر عن شيخه قاسم بن محمد روايات كثيرة من مسند ابن سنجر، نذكر منها: حدثنا قاسم بن محمد، قال: حدثنا خالد بن سعد، قال: حدثنا أحمد بن عمر ابن منصور، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن سنجر، قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن العلاء بن محمد الثقفي، قال: سمعت أنس بن مالك، قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك، فطلعت الشمس

---

(١٧٧) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد**، ابن عبد البر، ج. ١٢: ١٥. وعن ترجمته، راجع: **تاريخ علماء الأندلس**، ابن الفرضي، ق١، رقم ١٠٧٠: ٣٦٤-٣٦٧؛ **جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٧٦٩: ٣٣٠-٣٣١؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، م. ١٥: ٤٧٣-٤٧٤.

(١٧٨) **تاريخ علماء الأندلس**، ابن الفرضي، ق١، رقم ١٠٧٩: ٣٧٠؛ **جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٧٦٦: ٣٢٩؛ **بغية الملتمس**، الضبي، رقم ١٢٩٥: ٤٤٦؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، م. ١٥: ٤٧٣.

(١٧٩) كان عالمًا بالقراءات وبالخلاف في الفقه، وبعلوم الحديث والرجال، وكان قديم السماع كبير الشيوخ، على أنه لم يخرج عن الأندلس، فسمع من أكابر أهل الحديث بقرطبة وغيرها، ومن الغرباء القادمين إليها. وألف مما جمع تواليف نافعة سارت عنه. ومن مجموعاته: كتاب التمهيد، والاستيعاب، وجامع بيان العلم وفضله، وله تواليف كثيرة غيرها (**جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٨٧٤: ٣٦٧-٣٦٩؛ **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، ابن خاقان، حققه وعلق عليه الدكتور حسين يوسف خريوش، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٩م: ٥٣٨-٥٤٤؛ **بغية الملتمس**، الضبي، رقم ١٤٤٣: ٤٨٩-٤٩٠، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج. ١٨: ١٥٣-١٥٧).

(١٨٠) **الاستيعاب**، ابن عبد البر، م. ٤، رقم ٣٣٣٤: ١٨٣٦؛ **جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٧٦٦: ٣٢٩؛ **فهرسة**، ابن خير الإشبيلي: ١٤٢؛ **بغية الملتمس**، الضبي، رقم ٦٩٥: ٢٨١. وانظر أيضًا: **هدية العارفين**، البغدادي، ج. ٢: ١٦؛ **معجم المؤلفين**، عمر كحالة، ج. ١٠: ٢١٨؛ **الأعلام**، الزركلي، ج. ٧: ٩٤.

(١٨١) تذخر مؤلفات ابن عبد البر بروايات سمعها من عبد الوارث بن سفيان عن شيخه قاسم بن أصبغ (**التمهيد**، ج. ١: ٣٥-٤٣، ج. ٥: ٢٢، ٦٦، ٦٨، ٧٧، ٨٢، ٨٦، ٨٨، ٢٧١، ج. ١٦: ١٣، ١٤، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣٢، ٣٥، ٤٠، ٥٧، ٦٢، ٦٦، ٨٩، ٩٥، ١٠٦، ١٠٧، ١١٢، ١١٩، ١٢٢، ١٣٢، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٨؛ **الاستيعاب**، م. ١: ٢-٢٠، ٣٠٨، ٣٨٢).

(١٨٢) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد**، ابن عبد البر، ج. ١٢: ١٥.

بضياء وشعاع ونور، لم أرها طلعت فيما مضى، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال لجبريل: ما لي أرى الشمس اليوم طلعت بضياء وشعاع ونور، لم أرها طلعت فيما مضى؟ قال: ذلك أن معاوية ابن معاوية الليثي مات اليوم بالمدينة، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه، قال: وفيمَ ذلك؟ قال: كان يُكثِر قراءة (قل هو الله أحد) بالليل والنهار، وفي ممشاه وقيامه وقعوده، فهل لك يا رسول الله أن أقبض الأرض لك فتصلي عليه، قال: نعم، قال: فصلى عليه ثم رجع»[١٨٣]. ومنها: أن قاسم ابن محمد أخبره، حدثنا خالد بن سعد، حدثنا أحمد بن عمرو، حدثنا محمد بن عبد الله بن سنجر، حدثنا الهيثم بن جميل، قال: حدثنا شريك، عن سماك، عن عبيد الله بن عميرة زوج درة بنت أبي لهب، قالت: «قلت: يا رسول الله، أي الناس أفضل، قال: أتقاهم لله، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم»[١٨٤].

وروى ابن عبد البر عن شيخه قاسم بن محمد أيضًا أنه أخبره: حدثنا خالد بن سعد، قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن منصور، قال: حدثنا محمد بن سنجر، قال: حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، عن الحسن بن مسلم، عن طاوس، عن ابن عباس، قال: «رأيت رسول الله ﷺ، أو حضرت رسول الله ﷺ، وأبا بكر، وعمر، وعثمان، يصلون قبل الخطبة»[١٨٥]. ومنها: أخبرنا قاسم بن محمد، قال: حدثنا خالد بن سعد، حدثنا أحمد بن عمرو بن منصور، حدثنا ابن سنجر، حدثنا إسماعيل ابن عبد المالك الربعي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي الزبير، عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه كعب بن مالك، أنه حدّثه «أن رسول الله ﷺ بعثه وأوس بن الحدثان – في أيام التشريق – فنادى: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وأيام مِنى أيام أكل وشرب»[١٨٦].

ومنها: أخبرنا قاسم بن محمد، قال: حدثنا خالد بن سعد، قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن منصور، قال: حدثنا محمد بن سنجر، قال: حدثنا أحمد بن خالد الوهبي، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده، قال: كان الوليد بن المغيرة يروع في منامه، قال:

---

(١٨٣) **الاستيعاب**، ابن عبد البر، م. ٣، رقم ٢٤٣٨: ١٤٢٤.

(١٨٤) **الاستيعاب**، ابن عبد البر، م. ٤، رقم ٣٣٣٤: ١٨٣٦.

(١٨٥) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد**، ابن عبد البر، ج. ١٢: ١٢.

(١٨٦) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد**، ابن عبد البر، ج. ٢١: ٢٣٢.



فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال النبي: «إذا اضطجعت للنوم فقل: بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، وشر عباده، وشر همزات الشياطين، وأن يحضرون»، فقالها فذهب عنه ذلك، فكان عبد الله بن عمرو يعلّمها مَن بلغ مِن بنيه، ومَن كان منهم لا يقيمها كتبها وعلقها عليه[١٨٧]. ومنها: أخبرنا قاسم بن محمد، حدثنا خالد بن سعد، قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن منصور، قال: حدثنا محمد عبد الله بن سنجر، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، أن ربيعة بن يزيد حدثهم عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُسْتجَاب لأحَدِكُم، ما لم يدعُ بإثمٍ أو قطيعة رَحِم ما لم يَسْتعْجِل، قالوا: وما الاستعجال يا رسول الله؟ قال: يقول قد دعوتك يا رب، فلا أراك تستجيب لي»[١٨٨].

وأفادت الروايات أن أحمد بن خليل، وكان من رواة الحديث[١٨٩]، سمع مسند ابن سنجر من شيخه قاسم بن محمد، وحدّث به في مجلسه، فأخذه منه بعض تلاميذه، ومنهم: عبد الرحمن بن مسلمة الكناني[١٩٠]، فحدّث به، فأخذه منه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم[١٩١]؛ فقد ذكر الحميدي أن شيخه أبا محمد علي بن أحمد بن حزم، أخبر تلاميذه، قال: حدثنا عبد الرحمن بن سلمة، قال: أخبرني أحمد بن خليل، قال: قال لنا خالد بن سعد، عن أحمد بن عمرو بن منصور الإلبيري، عن ابن سنجر بإسناده، أن النبي ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار»[١٩٢].

وقد انتقل كتاب المسند لابن سنجر إلى الأندلس أيضًا عن طريق طلاب العلم الأندلسيين الذين سمعوه بإفريقية من مشاهير تلاميذ عيسى بن مسكين. فالروايات تذكر أن أبا عبد الله

(١٨٧) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد**، ابن عبد البر، ج. ٢٤: ١٠٩-١١٠.

(١٨٨) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد**، ابن عبد البر، ج. ١٠: ٢٩٩؛ **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**، السيوطي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦١م، ج. ١: ١٩٦.

(١٨٩) عن ترجمته، راجع: **جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٢٠٦: ١٢٢؛ **بغية الملتمس**، الضبي، رقم٣٩٧: ١٧٦.

(١٩٠) يروي عن أحمد بن خليل، روى عنه أبو محمد علي بن أحمد (**جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٦٠١: ٢٧٣؛ **بغية الملتمس**، الضبي، رقم ١٠١٩: ٣٦٤).

(١٩١) **بغية الملتمس**، الضبي، رقم ٦٩٥: ٢٨١.

(١٩٢) **جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٤٠٩: ٢٠٥؛ **الوافي بالوفيات**، الصفدي، ج. ١٣، رقم ٣٩٥٦: ١٥٢.

عبيد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القيسي الزاهد القرطبي[١٩٣]، سمع مسند ابن سنجر الجرجاني نزيل مصر، عن عبد الله بن مسرور، عن شيخه عيسى بن مسكين، عن ابن سنجر؛ وقد رواه أبو عبد الله عبيد بن محمد الزاهد القرطبي[١٩٤]، لتلاميذه الأندلسيين، فقرأه أبو عمر يوسف بن عبد البر عليه، ودوّنه في كتابه، وأخبر به تلاميذه، ومنهم: الحميدي[١٩٥]، ونستدل مما سبق أن الحميدي سمع من شيخه ابن عبد البر روايات مسند ابن سنجر عن شيوخه بإسناد إلى ابن سنجر، وأكد ذلك قول الحميدي والمترجمين له أنه كان ممن سمع على ابن عبد البر بالأندلس، وقد أجازه ابن عبد البر رواية كتبه[١٩٦]. وأفادت الروايات أيضًا أن أبا بكر الإشبيلي سمع مسند ابن سنجر من طريق الشيخ أبي محمد بن عتاب إجازة[١٩٧].

كتاب «العين» لابن سَنْجَر في إفريقية والأندلس

حدّث ابن سنجر تلاميذه بقطابة بهذا الكتاب، فكتبوه عنه، ومنهم: عيسى بن مسكين الذي رواه بإفريقية فانتشر هناك، وأخذه عنه تلاميذه وحدّثوا به في حلقاتهم، ومنهم: عبد الله ابن مسرور، وقد أدخله تلميذه الفقيه المحدث المشهور أبو جعفر أحمد بن عون الله إلى الأندلس وحدّث به[١٩٨]، فأخذه عنه الفقيه المحدث الحافظ الشهير عالم أهل قرطبة أبو عمر أحمد بن

(١٩٣) يعرف بابن حميد، وولد كما ذكر في سنة عشر وثلاثمائة، وسكن قرطبة بالمبلطة، وكان شيخًا فاضلًا صالحًا كثير الصلاة، والتلاوة للقرآن والجهاد، ويُضرَب به المثل في الزهد. سمع في الأندلس من قاسم بن أصبغ، ومحمد بن معاوية القرشي، وغيرهما، ورحل سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة، فسمع بالقيروان من عبد الله بن مسرو، وبالإسكندرية، وبالفسطاط، وببيت المقدس، وعسقلان، وبالرملة، ورحل إلى المشرق رحلة ثانية بعدما أسن، فحج سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وتوفي بالسويداء قرب المدينة المنورة في المحرمة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة (**تاريخ علماء الأندلس**، ابن الفرضي، رقم ١٠٠٤: ٣٤١-٣٤٢؛ **جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٦٧١: ٢٩٦؛ **بغية الملتمس**، الضبي، رقم ١١٣٤: ٤٠٠).

(١٩٤) سكن قرطبة بالمبلطة، وكان كما يذكر الحميدي رجلًا صالحًا يُضَرب به المثل في الزهد (**جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٦٧١: ٢٩٦؛ **بغية الملتمس**، الضبي، رقم ١١٣٤: ٤٠٠).

(١٩٥) **جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٦٧١: ٢٩٦؛ **بغية الملتمس**، الضبي، رقم ١١٣٤: ٤٠٠؛ **فهرسة**، ابن خير الإشبيلي: ١٨٢.

(١٩٦) **جذوة المقتبس**، الحميدي: ٢، ٢٩٦، ٣٦٩؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٨: ١٥٥؛ **نفح الطيب**، المقري، م. ٢: ١١٣.

(١٩٧) **فهرسة**، ابن خير الإشبيلي: ١٨٢.

(١٩٨) كان يروي عن قاسم بن أصبغ البياني، وعن أبي سعيد بن الأعرابي، وروى عنه أبو عمر الطلمنكي، والإمام ابن دُنَيْن عبد الله بن عبد الرحمن الصدفي الطليطلي، وخلق (**بغية الملتمس**، الضبي، رقم ٤٥٢: ١٩٨؛ **العبر**، الذهبي، ج. ٢: ٢٥١).



محمد بن عبد الله بن لب بن يحيى بن محمد المقرئ الطلمنكي (ت ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م)[١٩٩]، فحدّث به، فأخذه عنه تلاميذه، ومنهم: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، وأبو عمر بن عبد البر، ورووه عنه[٢٠٠]. وظل كتاب «العين» متداولًا بين علماء الحديث في الأندلس حتى نهاية القرن السادس، ومنهم: أبو عمر الحذاء، وأبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث، وأبو الحسن علي بن موهب الجذامي، وأبو الحسن شريح بن محمد المقرئ، وابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)[٢٠١].

تفسير محمد بن سَنْجَر في إفريقية والأندلس

كان تفسير محمد بن سنجر من بين المصنفات التي سمعها عيسى بن مسكين وكتبها عن شيخه ابن سنجر بقطابة، وعند عودته إلى إفريقية قام بروايته عنه، فسمعه منه خلق من تلاميذه بكورة الساحل، منهم: عيسى بن مسرور، فقام بروايته لتلاميذه، فأخذه منه عبد الله بن مسرور، وحدّث به طلاب العلم المتحلقين حوله من القيروانيين، والأندلسيين، الذين وفدوا على القيروان لينهلوا من علم شيوخها، فسمعه منه الحافظ المحدّث محمد بن عبد الملك بن ضَيْفون بن مروان اللخمي الرصافي القرطبي الحداد (٣٠٢-٣٩٤/ ٩١٨-١٠٠٤م)[٢٠٢]، وبعد أن اكتمل تحصيل ابن ضَيْفون اللخمي بمراكز الثقافة الإسلامية التي رحل إليها سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م، عاد إلى الأندلس، وحدّث بما سمعه من شيوخه بالقيروان وإطرابلس ومصر ومكة المكرمة، وغيرها، فكتب عنه أهل الأندلس، فكان كتاب تفسير ابن سنجر مما قرأه عليه الحافظ أبو عمر بن عبد البر[٢٠٣]، وكان

(١٩٩) منسوب إلى بلده. وسمع بالأندلس ابن مفرج القاضي، وأبا جعفر بن عون الله وطبقتهما، ورحل فسمع أبا بكر محمد بن يحيى الدمياطي. وكان إمامًا في علوم القرآن؛ وصنف كثيرًا، وكان صاحب سنة واتباع، ومعرفة بأصول الديانة، وكان سيفًا مجردًا على أهل الأهواء والبدع، قامعًا لهم (**جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ١٨٧: ١١٤؛ **بغية الملتمس**، الضبي، رقم ٣٤٧: ١٦٢؛ **العبر**، الذهبي، ج. ٢: ٢٦٠-٢٦١).

(٢٠٠) **فهرسة ابن خير الإشبيلي**، ابن خير الإشبيلي: ١٨٣.

(٢٠١) **فهرسة ابن خير الإشبيلي**، ابن خير الإشبيلي: ١٨٣.

(٢٠٢) **توضيح المشتبه**، ابن ناصر الدمشقي، ج. ٥: ١٨٣؛ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٨: ١٥٤. ترجم له ابن الفرضي وأشار إلى شيوخه بالقيروان، ولم يكن منهم عبد الله بن مسرور (**تاريخ علماء الأندلس**، ق٢، رقم ١٣٩٣: ١٠٩)، غير أنه عاد وذكر في موضع آخر من كتابه أن محمد بن عبد الملك بن ضيفون التقى ابن مسرو بالقيروان وسمع منه (المصدر السابق، ق٢، رقم ١٦١٣: ٢٠٠). وأشار المقري إلى رحيله إلى القيروان، وسماعه من جماعة لم يذكرهم (**نفح الطيب**، م. ٢: ٢٣٧).

(٢٠٣) **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج. ١٨: ١٥٤؛ وله: **العبر**، ج. ٢: ٣١٦. وذكر ابن حجر العسقلاني أن ابن ضيفون أخبر ابن عبد البر إجازة بمسند بقي بن مخلد (**المعجم المفهرس**: ١٣٥)، وذكر المقري أن ابن عبد البر كان ممن سمع عن ابن ضيفون، دون أن يشير إلى هذه المسموعات (**نفح الطيب**، م. ٢: ٢٣٧).

ابن ضيفون رجلًا صالحًا معمرًا، وكان أبو عمر بن عبد البر آخر أصحاب ابن ضيفون موتًا، وقد حدّث تلاميذه بما أخذه من شيخه[٢٠٤]. وجدير بالذكر أن ابن الفرضي قد تتلمذ على ابن ضَيْفون وسمع منه روايات شيخه عبد الله بن مسرور القيرواني[٢٠٥]. فمن المرجح أن يكون ابن الفرضي سمع من شيخه ابن ضَيْفون أيضًا مؤلفات ابن سنجر برواية عبد الله بن مسرور.

وأفادت الروايات أن أبا القاسم مسلمة بن القاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن حاتم القرطبي قد رحل إلى المشرق قبل سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣١م، فسمع بالقيروان من عبد الله بن مسرور، وقد انصرف إلى الأندلس وقد جمع حديثًا كثيرًا، وسمع الناس منه كثيرًا حتى وفاته سنة ٣٥٣هـ/ ٩٥٣م[٢٠٦]. فمن المرجح أنه حدّث تلاميذه بما سمعه من روايات شيخه عبد الله بن مسرور، ومنها: مؤلفات ابن سنجر الجرجاني.

وجدير بالذكر أن تلاميذ ابن سنجر من القيروانيين والأندلسيين لم يُدخلوا كتابه مسند علي - رغم شهرته - إلى بلادهم؛ فلم تذكره المصادر ضمن الكتب التي أخذوها منه بقطابة. فربما سمعوه أو بعضه منه، ولم يقوموا بروايته لتلاميذهم. وقد يكون اعتناق تلاميذ ابن سنجر القيروانيين والأندلسيين للمذهب المالكي أثره في ذلك آنذاك، وقد يكون للصراع السياسي والمذهبي الذي اندلع في القرن الرابع الهجري بين أهل القيروان والأندلس المالكية وبين الفاطميين الشيعة في بلاد المغرب في القرن الرابع الهجري أثره في ذلك أيضًا، فقد تشيع أهل الأندلس للأمويين السُّنة في مواجهة تشيع الفاطميين ببلاد المغرب[٢٠٧].

(٢٠٤) **تاريخ علماء الأندلس**، ابن الفرضي، ق٢، رقم ١٣٩٣: ١٠٨-١٠٩؛ **جذوة المقتبس**، الحميدي، رقم ٩٩: ٦٨؛ **شذرات الذهب**، العماد الحنبلي، ج. ٣: ٢٧٩.

(٢٠٥) **تاريخ علماء الأندلس**، ابن الفرضي، ق٢: ٢٠٠.

(٢٠٦) **تاريخ علماء الأندلس**، ابن الفرضي، ق٢، رقم ١٤٢٣: ١٢٨، ١٣٠. ذكر ابن الفرضي أن مسلمة بن القاسم سمع بالأندلس من محمد بن لبابة، وقاسم بن أصبغ، وجماعة، ثم رحل إلى المشرق فسمع بالقيروان من أحمد بن موسى المعروف بابن التمار، وسمع بإطرابلس، وبإقريطش، وكتب عن جماعة كثيرة من المصريين، والمكيين، والبغداديين، والبصريين، والسيرافيين، والشاميين، واليمانيين. وكف بصره بعد قدومه من المشرق، وكان مسلمة بن القاسم صاحب رقى ونيرنجات (المصدر السابق، ق٢، رقم ١٤٢٣: ١٢٨-١٣٠).

(٢٠٧) لمزيد من التفاصيل، راجع: **المقتبس**، ابن حيان، نشره بدرو شالميتا وكورينطي ومحمود صبح، ١٩٧٩م: ٢٥٥-٢٦٩، ٢٨٨-٣١٤، ٣٢٦-٣٣٠، ٣٤٧-٣٥٣، ٣٦٩-٣٧٤، ٣٨٤-٣٨٥، ٤١٣-٤١٥؛ **ترتيب المدارك**، القاضي عياض، م. ٢: ٤٢-٤٤؛ **الحلة السيراء**، ابن الأبار، ج. ٢: ٣٩٠-٣٩١؛ **البيان المغرب**، ابن عذاري، ج. ٢: ٢٠٤-٢٠٥، ٢١٢-٢١٩؛ **تاريخ ابن خلدون**، ابن خلدون، ج. ٤: ١٨١-١٨٨؛ «التشيع في الأندلس»، محمود علي مكي، **صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد**، مدريد، ١٩٥٤م؛ «سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس»، أحمد مختار العبادي، **صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد**، مدريد، ١٩٥٧.



الخاتمة

بينت الدراسة أن الإمام الحافظ ابن سَنْجَر الجُرجاني كان من العلماء الرّحالين في الآفاق لطلب العلم، وأنه طاف بكثير من مراكز الثقافة الإسلامية المشرقية، كالعراق، والحجاز، واليمن، والشام، فلقي ألف شيخ وأخذ منهم، وانتهى به المقام في مصر فاستوطن قرية قُطابة بالصعيد فنُسب إليها ومات ودُفن بها، وكان قد جمع كتابة وسماعًا وصنَّف، وتبحَّر في رواية الحديث؛ فصنف عدة كتب قيمة في الفقه والحديث، وهي: المُسْنَد، ومُسْنَد علي، والعين، وتفسير محمد بن سنجر. ورجحت الدراسة أن الزمان قد مضى عليها ففُقدت؛ فهي غير موجودة في الوقت الحاضر، وغير متاحة أمام الباحثين. وكشفت الدراسة بجلاء عن اهتمام ابن سنجر بتقييد العلم، وإظهار مقدرته العلمية في التصنيف والجمع والترتيب خدمة للحديث النبوي، وحرصه على الاقتداء بشيوخه أصحاب المسانيد، وكشفت أيضًا عن منهجه في رواية الحديث باعتماده على الرواية، واجتهاده أن تكون الأحاديث محتجًّا بها، وعرّفت بالمصادر المكتوبة والمسموعة التي استقى منها موارد مصنفاته.

وبينت الدراسة أن طلاب العلم القيروانيين الذين رحلوا إلى ابن سنجر ولازموه بقطابة قد أخذوا عنه تلك المصنفات سماعًا وكتابة، عدا كتابه «مسند علي»، وبينت الدراسة أن هذا الكتاب لم يصل إلى إفريقية والأندلس رغم شهرته بمصر وإقبال شيوخ الحديث وطلابه على سماعه من ابن سنجر. ورجحت الدراسة أن يكون للصراع المذهبي بين السنة والشيعة في المغرب والأندلس أثره في ذلك، فأهل القيروان والأندلس كانوا يعتنقون المذهب المالكي ويتشيعون له، في مواجهة تشيع الفاطميين في بلاد المغرب. وكشفت الدراسة أيضًا عن أن بعض طلاب العلم الأندلسيين قد سمعوا مسند ابن سنجر منه بقطابة، ثم نقلوه إلى بلادهم فذاع هناك بين علماء الحديث، وقد حدّث به علماء الحديث الأندلسيين تلاميذهم، فعملوا على نشره بين طلاب العلم ببلادهم. وبينت الدراسة أن بعض طلاب العلم الأندلسيين سمعوا مسند ابن سنجر عن أصحاب عيسى ابن مسكين بإفريقية، ونقلوه إلى الأندلس، وقاموا بروايته لطلابهم هناك. وأثبتت الدراسة أن

«مسند ابن سنجر» كان أكثر كتبه انتشارًا في المغرب والأندلس، ونظرًا للقيمة العلمية لهذا الكتاب فقد عدّه مشاهير علماء الأندلس من الكتب الأَوْلَى بالتعظيم في بلادهم. وأخيرًا، فقد كان هذا المسند، كما بينت الدراسة، مصدرًا مُهمًّا للمعرفة استند إليه بعض العلماء بمصر وإفريقية والأندلس في مواضع كثيرة من كتبهم.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية

- **القرآن الكريم.**
- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري)، ت ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه الدكتور محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧م.
- **أخبار الفقهاء والمحدثين**، الخشني (محمد بن حارث بن أسد)، ت ٣٦١هـ/ ٩٧١م، دراسة وتحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العلم العربي، مدريد، ١٩٩٢م.
- **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، ابن حماد الصنهاجي (أبو عبد الله محمد بن علي)، ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م، تحقيق فوندر هايدن، باريس - الجزائر، ١٩٢٧م.
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ابن عبد البر القرطبي (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد)، ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق إبراهيم البنا وأحمد عاشور، منشورات كتاب الشعب، القاهرة، ١٩٧٣م.
- **أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد منهم من العدد**، ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد بن سعيد)، ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٧م، تحقيق سيد كردي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- **الإصابة في تمييز الصحابة**، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

- **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، ابن ماكولا (الأمير الحافظ)، ت ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليمني، الطبعة الأولى، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.
- **الأنساب**، السمعاني (أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور)، ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى، دار الجنان بيروت، ١٩٨٨م.
- **البداية والنهاية**، ابن كثير الدمشقي (الإمام عماد الدين إسماعيل بن عمر)، ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م، خرّج أحاديثه محمد بيومي، وعبد الله المشاوي، ومحمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، المنصورة، بدون تاريخ.
- **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، الضبي (أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد)، ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد) كان حيًّا سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م.
- **تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم**، ابن شاهين (أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان)، ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
- **تاريخ الأمم والملوك**، الطبري (الإمام أبو جعفر محمد بن جرير)، ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي (الحافظ أبو بكر أحمد بن علي)، ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.



- **تاريخ ابن خلدون**، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحاذة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
- **تاريخ ابن يونس الصدفي**، ابن يونس المصري (الإمام المحدّث أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد)، ت ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م، جمع وتحقيق ودراسة وفهرسة الدكتور عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- **تاريخ الثقات**، العجلي (الإمام أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح)، ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م، وثق أصوله وخرّج أحاديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م.
- **تاريخ جُرجان**، السهمي (أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم القرشي)، ت ٤٢٧هـ/ ١٠٣٩م، نشر تحت إشراف الدكتور محمد عبد المعيد خان، الطبعة الرابعة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م.
- **تأريخ قضاة الأندلس**، النباهي (أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي)، كان حيًّا سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م، الطبعة الخامسة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م.
- **تاريخ اليعقوبي**، اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح)، ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
- **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**، تحقيق علي محمد البجاوي، مراجعة محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٦٧م.
- **تذكرة الحفاظ**، الذهبي (الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد)، ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م، بعناية عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
- **تراجم أغلبية**، استخرجها من المدارك محمد الطالبي، المطبعة الرسمية، تونس، ١٩٦٨م.

- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، عياض (القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي)، ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- **تقريب التهذيب**، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، طبعة مصطفى بن أحمد العلوي، الرباط، ١٩٦٧م.
- **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني (الإمام أبو الفضل أحمد بن علي)، ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٢٦هـ.
- **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**، ابن ناصر الدمشقي (شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي)، ت ٨٤٢هـ/ ١٤٨٣م، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
- **الثقات**، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٣م.
- **جامع بيان العلم وفضله**، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- **جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس**، الحميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح)، ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م.
- **حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- **الحُلة السيراء**، ابن الأبار البلنسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي)، ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، حققه وعلق حواشيه الدكتور حسين مؤنس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.



- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصبهاني (الإمام الحافظ أحمد بن عبد الله ابن أحمد)، ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، بدون تاريخ.
- **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦١م.
- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ابن فرحون المالكي (أبو إسحاق إبراهيم ابن علي)، ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م، تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.
- **ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم**، دراسة وتحقيق بوران الضناوي وزميلها، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٥م.
- **الرحلة في طلب الحديث**، تحقيق نور الدين عتر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.
- **رفع الإصر عن قضاة مصر**، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م.
- **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله)، توفي بعد ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م، حققه بشير البكوش، راجعه محمد العروسي المطوي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.
- **السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها**، الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ)، ت ٤٤٤هـ/ ١٠٥٣م، دراسة وتحقيق الدكتور رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ.
- **سير أعلام النبلاء**، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد)، ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.
- **صحيح البخاري**، البخاري (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم)، ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م، طبعة جديدة، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ٢٠٠٢م.
- **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، الحميري (محمد ابن عبد المنعم)، ت ٨٩٩هـ/ ١٤٩٤م، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.
- **صفة الصفوة**، ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي) ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م، حققه محمود فاخوري، خرّج أحاديثه الدكتور محمد رواس قلعه جي، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٨٦م.
- **صورة الأرض**، ابن حوقل النصيبي (أبو القاسم محمد بن علي)، ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م.
- **الضعفاء الكبير**، العقيلي المكي (أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد)، ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م، حققه ووثّقه عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م.
- **طبقات الحفاظ**، السيوطي (الإمام جلال الدين عبد الرحمن)، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- **طبقات علماء إفريقية**، الخشني (محمد بن حارث)، ت ٣٦١هـ/ ٩٧١م، نشر محمد بن شنب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون تاريخ.
- **طبقات علماء إفريقية**، أبو العرب تميم (محمد بن أحمد)، ت ٣٣٣هـ/ ٩٤٧م.
- **طبقات علماء الحديث**، ابن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد)، ت ٧٤٤هـ/ ١٣٤٤م، تحقيق إبراهيم الزيبق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.



- **طبقات الفقهاء**، الشيرازي الشافعي (أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف)، ت ٤٦٧هـ/ ١٠٨٣م، حققه وقدّم له الدكتور إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م.

- **العبر في خبر من غبر**، حققه وضبطه على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

- **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، الفاسي المكي (الإمام أبو الطيب تقي الدين محمد ابن أحمد بن علي)، ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م، ج. ١، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة، ١٩٥٧م، الأجزاء ٢-٧، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٦٢-١٩٦٧م، ج. ٨، تحقيق محمود محمد الطناحي، القاهرة، ١٩٦٩م.

- **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، الدارقطني (الحافظ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد)، ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م، تحقيق وتخريج الدكتور محفوظ الرحمن زين الدين السلفي، الطبعة الأولى، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥م.

- **علوم الحديث**، ابن الصلاح (الإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن)، ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٦م، تحقيق وشرح نور الدين عتر، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.

- **عمل اليوم والليلة**، ابن السني (الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق)، ت ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، بدون تاريخ.

- **عيون الأخبار وفنون الآثار**، الداعي إدريس (عماد الدين)، ت ٨٧٢هـ/ ١٤٨٨م، تحقيق فرحات الدشراوي، تونس، ١٩٧٩م.

- **فتوح البلدان**، البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى)، ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.

- **فتوح مصر وأخبارها**، ابن عبد الحكم (عبد الرحمن)، ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م، تقديم وتحقيق محمد صبيح، القاهرة، ١٩٧٤م.

- **فرحة الأنفس**، ابن غالب (محمد بن أيوب) عاش في القرن ٦هـ/ ١٢م، نشر الدكتور لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، م. ١، ج. ٢، القاهرة، ١٩٥٥م.
- **فهرسة ابن خير الإشبيلي**، ابن خير الإشبيلي (أبو بكر محمد)، ت ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م، حققه وضبط نصه، وعلق عليه بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٩م.
- **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد)، ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢م.
- **كتاب البلدان**، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٨٨م.
- **اللباب في تهذيب الأنساب**، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م.
- **لسان الميزان**، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
- **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ١٤٠٢هـ.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ابن حنبل (الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد)، ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
- **مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار**، ابن حبان البستي (الإمام أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ التميمي)، ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م، حققه ووثقه وعلق عليه مرزوق علي إبراهيم، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٧م.
- **المشتبه في أسماء الرجال وأنسابهم**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢م.
- **المصنف**، ابن همام الصنعاني (الحافظ أبو بكر عبد الرزاق)، ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، بيروت، ١٩٧٠م.



- **المصنف**، الصنعاني (أبو بكر عبد الرزاق بن همام)، ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.
- **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، الدباغ (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري)، ت ٩٩٦هـ/ ١٥٩٠م، المطبعة العربية التونسية، تونس، ١٣٢٠هـ.
- **معجم البلدان**، ياقوت الحموي (الإمام شهاب الدين أبو عبد الله)، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.
- **المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة**، تحقيق محمد شكور محمد الحاجي أمرير الميادينى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م.
- **المعرفة والتاريخ**، الفسوي (يعقوب بن سفيان)، ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٤هـ.
- **المعين في طبقات المحدثين**، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٤م.
- **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، البكري الأندلسي (أبو عُبيد الله عبد الله بن عبد العزيز)، ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ.
- **المقتبس**، ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين)، ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م، نشره بدرو شالميتا وكورينطي ومحمود صبح، مدريد، ١٩٧٩م.
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك)، ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٥م، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.

- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، المقري (أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد)، ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م، حققه الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.
- **نكت الهميان في نكت العميان**، نشر أحمد زكي، القاهرة، ١٩١١م.
- **الوافي بالوفيات**، الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك)، ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، اعتناء يوسف فان إس، الطبعة الثانية، طبع بمساعدة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ببيروت في مطابع دار صادر، ١٩٨٢م.

ثانيًا: المراجع العربية الحديثة والأجنبية المعرَّبة

- **أصول الحديث: علومه ومصطلحه**، محمد عجاج الخطيب (دكتور)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩م.
- **أضواء جديدة على دور المهالبة السياسي والثقافي في جُرجان (٩٧-٣٨٦هـ/ ٧١٥-٩٩٦م)**، إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا (دكتور)، الطبعة الأولى، النادي الثقافي بمسقط، سلطنة عمان - مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٢م.
- **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، خير الدين الزركلي، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.
- **بلدان الخلافة الشرقية**، كي لسترنج، ترجمة كوركيس عواد وزميله، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
- **تاريخ المغرب العربي (تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين)**، الجزء الثاني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م.
- **تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنو زيري إلى قيام المرابطين)**، سعد زغلول عبد الحميد (دكتور)، الجزء الثالث، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٠م.
- **تراجم المؤلفين التونسيين**، محمد محفوظ، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٩٩٤م.



- «التشيع في الأندلس»، محمود علي مكي (دكتور)، **صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد**، مدريد، ١٩٥٤م.
- «التواصل الحضاري بين بلاد اليمن وجُرجان حتى منتصف القرن الخامس الهجري: دراسة في الصلات العلمية والاقتصادية والاجتماعية»، بحث منشور بالعدد الثالث، السنة السابعة، **مجلة كلية التربية**، جامعة كفر الشيخ، ٢٠٠٧م.
- **الحياة العلمية في إفريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري**، يوسف أحمد حواله (دكتور)، جامعة أم القرى، مكة، ١٤١٩هـ.
- **الدولة الأغلبية (التاريخ السياسي) ١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م**، محمد الطالبي (دكتور)، نقله إلى العربية الدكتور المنجي الصّيادي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.
- **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة**، محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي، طبعة جديدة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٩٥م.
- «سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس»، أحمد مختار العبادي (دكتور)، **صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد**، مدريد، ١٩٥٧م.
- **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، عبد العزيز المجدوب (دكتور)، الطبعة الثانية، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٥م.
- **علم رجال الحديث**، تقي الدين الندوي المطاهري، الطبعة الأولى، دبي، ١٩٨٦م.
- **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية**، محمد محمد زيتون (دكتور)، الطبعة الأولى، دار المنار، القاهرة، ١٩٨٨م.
- **مصر في عصر الولاة من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية**، سيدة إسماعيل كاشف (دكتورة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م.
- **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٥٩م.

- **هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، إسماعيل البغدادي، دار إحياء التراث العربي (مصورة عن طبعة وكالة المعارف الجليلة باستنبول، ١٩٥١م)، بيروت، بدون تاريخ.
- **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، حسن حسني عبد الوهاب، الطبعة الثانية، مكتبة المنار، تونس، ١٩٨١م.

ثالثًا: المراجع الأجنبية الحديثة

- *La obra biografica de Jalid b. Sad*, Estudios onomastico-biograficos de Al-Andalus, Avila (Maria Luisa), Consejo Superior de Investigacion Cientificas, Escuela de Estudios Arabes, Vol. IV, Granada-Madrid, 1991.
- *Andalusies en Al-Wafi-Bi-L-Wafayat*, Estudios onomastico-biograficos de Al-Andalus, Consejo Superior de Investigacion Cientificas, Escuela de Estudios Arabes, Vol. IV, Granada-Madrid, 1991.
- *The Early Islamic Conquests*, Donner (F.), Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1981.
- *Gurgan, The Encyclopaedia of Islam*, Hartmann (R.)-Boyle (J.A.), New Edition, Brill, Leiden, 1983.
- *Ensayo sobre las aportaciones orientales en la Espana Musulmana*, Makki (Mahmud Ali), Madrid, 1968.
- *La révolte d'Abou Yazid au X^{e} siècle*, Letourneau (R.), Les Cahiers de Tunisie, V. 1, 1953.



بحوث مترجمة

كتاب الذخيرة
رسالة عربية مبكرة في الطب(*)

المستشرق ماكس مايرهوف(**)

ترجمة: ميخالي سولومونيدس، وأحمد رفعت (***)

ملخص البحث

من بين أبرز أعمال ماكس مايرهوف بحثه الحالي باللغة الإنجليزية عن «كتاب الذخيرة في علم الطب» لنابغة الترجمة ثابت بن قرة، وهو الكتاب الذي ظل قرونًا عديدة عمودًا من أعمدة الطب التي تدرَّس في الجامعات العالمية. يقع البحث في اثنتين وعشرين صفحة، تُمثل واحدًا وثلاثين بابًا، وهو العدد نفسه لفصول الكتاب الأصلي المشار إليه سابقًا، ويختم المستشرق الدكتور مايرهوف بحثه بمسرد للمصطلحات الواردة بالكتاب الأصلي لثابت بن قرة.

يبدأ البحث بمقدمة تاريخية مقتضبة عن فضل ثابت بن قرة وعصره ومنزلته والقيمة العلمية لكتابه موضوع البحث، ثم تليه محتويات الكتاب على هيئة أسماء الفصول مع شرح موجز لها عن

(*) نُشرت المقالة الأصلية باللغة الإنجليزية في دورية «إيزيس»، المجلد رقم ١٤، العدد رقم ١، الصادر في مايو ١٩٣٠م: ٥٥-٧٦؛ وتقوم دار نشر جامعة شيكاغو بنشر هذه الدورية حاليًّا.

(**) ماكس مايرهوف (١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م – ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م): صاحب البصمة التي لا تخطئها عين في التراث الطبي العربي والإسلامي، وقد عاش في القاهرة ودُفن فيها. وللمزيد عنه يُراجع بحث الدكتور أحمد السري «المستشرق الألماني ماكس مايرهوف والتراث الطبي العربي الإسلامي»، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة الكويت، العدد ١٠٥، الكويت، ٢٠٠٩م: ٦٧-١٠٩. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(***) ميخالي سولومونيدس: أخصائي موجه للترجمة والتعاون الخارجي، مكتبة الإسكندرية. أحمد رفعت: أخصائي ترجمة سابق لدى مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية.

الصحة العامة. وقد رأينا من باب تعميم الفائدة إيراد المسرد الأصلي المكتوب باللغة الإنجليزية وبالعربية المُنقحَرة بالحروف اللاتينية بعد تدوين المصطلحات بالرسم العربي وإضافة أصولها اليونانية من باب الإثراء والتأصيل. كما رجحنا تضمين الإضافات التي أوردها المراجعون (المراجع الطبي والمراجعان العلميان) بهدف خلق مجال للتفاعل بين القارئ والمترجم والمراجع والناشر.

Book of Treasure

An Early Arabic Treatise on Medicine

Max Meyerhof the Orientalist

Translated by: Mikhaly Solomonidis and Ahmed Refaat(*)

Abstract

Max Meyerhof enriched the Orientalists' legacy with his academic output. One of his remarkable works is his English research *Kitāb Al-Dhakhīra fī 'Ilm Al-Tibb* (The Book of Treasure: An Early Arabic Treatise on Medicine*)* for which we furnish this Arabic translation. *The Book of Treasure*, or *Treasury on the Science of Medicine*, is composed by Thābit b. Qurra whom Meyerhof describes as "the master of his time". *The Book of Treasure* remained part of universities' curriculum for many centuries worldwide. The research concludes with a glossary of English-Arabic medical terms of Thābit b. Qurra's magus opus.

The research opens with a brief historical introduction about the scientific contributions of Thābit b. Qurra, his age, and scientific status. It then revisits the book contents and provides a brief description of each of its 31 chapters on general health. We decided to add to the original English-Arabic glossary the terms' equivalents in Arabic letters, as the original were written in transliterated Latin as well as Greek, to enrich and authenticate the translation. We also included the additions made by the reviewers (the medical one and two academic reviewers) to furnish a dynamic atmosphere between the reader, translator, reviewer, and publisher.

(*) Mikhaly Solomonidis: Principal translation and external cooperation specialist, Bibliotheca Alexandrina. Ahmed Refaat: Former translation specialist, Manuscripts Center, Bibliotheca Alexandrina.

النص المترجم

عندما مُني علم الطب عند الإغريق بالجمود بعد وفاة جالينوس[(١)] Galen (سنة ٢٠٠ للميلاد تقديرًا)؛ عكف المؤلفون الهلينستيون - ومن بعدهم السريان - على وضع الموسوعات والمختصرات الطبية التي قامت في مجملها على أعمال جالينوس ومَن سبقوه. وتتوافر بين أيدينا اليوم عدة موسوعات يونانية كتبها أوريباسيوس[(٢)] Oribasius، وأيتيوس الأميدي[(٣)] Aëtios of Amida، والإسكندر التراليسي[(٤)] Alexander of Tralles، وبـولس الإيجيني[(٥)] Paul of Aegina[(٦)]. وعلى النقيض من ذلك، لم يقع تحت أيدينا أيُّ عمل من الأعمال التي خلَّفها التراث السرياني، سوى مقالة طبية مجهولة المؤلف كان قد نشرها بادج[(٧)]. وبالإضافة إلى ذلك، فقد خلَّد الرازي ذِكْرَ معظم

---

(١) جالينوس: انظر مؤلفاته وتصنيفها ضمن: **حُنين بن إسحاق: آداب الفلاسفة**، ترجمة ودراسة الدكتور عبد الرحمن بدوي، دار نشر ببليون، باريس وبيروت، ٢٠٠٧م. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٢) أوريباسيوس (٣٢٥–٤٠٣م): طبيب بيزنطي خدم في بلاط الإمبراطور جوليانوس. أهم مؤلفاته «الأدوية المستخدمة بكثرة» و«المجموعة الطبية»، وتقع في سبعين مقالة، اقتبسها كلها من مؤلفات جالينوس. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٣) أيتيوس الأميدي (٥٠٥-٥٨٠م): ولد في أميدا (ديار بكر حاليًّا)، درس الطب بمدرسة الإسكندرية، وخدم في بلاط جوستنيان (حكم من ٥٢٧ إلى ٥٦٥م)، ألف كتابًا طبيًّا شهيرًا وهو كتاب «العلاج الطبي»، وضم هذا الكتاب كل ما ذكره قدماء الإغريق في أمراض النساء والولادة، كما شرح أمراض الجهاز البولي، وشرح الأعراض المتعددة لكثير من الأمراض كالدفتيريا والصداع والالتهاب الرئوي، وأمراض العيون والأنف والأذن والحنجرة. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٤) الإسكندر التراليسي أو الترالي (٥٢٥–٦٠٥م): فيلسوف وطبيب درس الطب بمكتبة الإسكندرية، ثم استقر بمدينة روما، واشتهر ببراعته في فن الجراحة، صاغ اثني عشر مؤلفًا طبيًّا في شتى التخصصات، وخاصة الجراحة، ونقل كثيرًا من معلوماته الجراحية الطبية من البرديات المصرية القديمة، وهو شقيق المهندس صاحب تصميم كنيسة «آيا صوفيا» القديمة بالقسطنطينية. (مراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٥) بولس الإيجيني أو الإيجنطي (٥٢٦-٥٩٠م): طبيب يوناني درس بمكتبة الإسكندرية، وبرع في أمراض النساء والولادة، وعُرف عند العرب باسم بولس القوابلي؛ لبراعته في فن التوليد، أهم مؤلفاته كتاب «علوم الطب السبعة». (مراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٦) راجع:
Introduction to the History of Science, Vol. I, George Sarton, Baltimore, 1927. (هامش النص الأصلي.)

(٧) راجع:
Syrian Anatomy, Pathology & Therapeutics, etc. 2 Vols. E. A. Wallis Budge, London, New York,etc. 1927. Additions and corrections by C. Brockelmann in Zeitschr. d. Deutch. Morgenländ. Gesellsch., 68, 185-203, 1914; and by J. Schleifer, *Zum Syrischen Medizinbuch*, in Zeitschr. f. Semitistik u. verw. Gebiete, Vol. 4-6 (1926-8) (to be continued). (هامش النص الأصلي.)

هذه الرسائل ضمن عديد من الاقتباسات التي وردت في كتابه «الحاوي» *Continens*. وفي النصف الأول من القرن السابع الميلادي، حظيت إحدى تلك الرسائل بترجمة مبكرة من السريانية إلى العربية، وتقع هذه الرسالة في ثلاثين فصلًا، وهي بعنوان «الجوامع الطبية» *Pandectae Medicinae* للكاهن المسيحي وكبير أطباء الإسكندرية المدعوِّ أهرُن[٨] Ahrộn (هارون).

لقد مثَّل هذا العمل بالنسبة للعرب النموذج الذي يجدر الاحتذاء به، وهكذا كانت أيضًا حال أعمال مماثلة حملت في اللغة السريانية اسم الكُنّاشة (أي المجموعة)، وعلى ذلك فقد أطلق الأطباء العرب على مختصراتهم تلك لفظ «الكُنّاش» وتجمع على «كُنّاشات». وانطلاقًا من عام ٧٥٠م[٩]، شرع أطباء جُندِيسابور[١٠] المسيحيون (النساطرة)[١١] - في بلاد فارس وبغداد - في تصنيف العديد من هذه «الجوامع الطبية» في عهد الخلفاء العشرين الأوائل من بني العباس. إلا أن الغالب الأعم من تلك المصنفات العلمية العظيمة قد ضاع؛ حيث فُقِدَت النسخ الأصلية لتلك المؤلفات، ولم يتبقَّ

(٨) أهرن/ أهارن/ هارون كان موجودًا ومعاصرًا للفتح العربي لمصر عام ٢١هـ/ ٧٤٣م. (مراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٩) ١٣٢هـ.

(١٠) جنديسابور: رجَّح دي لاسي أوليري الرأي القائل بأن سابور الأول (٢٤١-٢٧٢م) هو مؤسس هذه المدينة الفارسية؛ أحد معاقل العلم والطب خاصة التي ترسمت خطط ومناهج مكتبة الإسكندرية، وفي جنديسابور دُرِست المؤلفات اليونانية والهندية. ولقد كانت اللغة اليونانية واللغة السريانية هما لغتا التأليف والدراسة. وبدأ اتصال العرب بهذه المدرسة العملية قبل الإسلام بفعل اتصال العرب بالفرس، وخصوصًا في العراق. يقول مايرهوف: «وفي مدرسة جنديسابور لم يكن الطب يُدرس اعتمادًا على ترجمات جالينوس فقط، بل كان يُدَرَّس عمليًّا في بيمارستان (مستشفى) كبير، كان نموذجًا لما كانت عليه الدراسة من بعد في العالم الإسلامي، وفيها أيضًا اتصل العلماء اليونانيون والسوريان والفرس بعلماء الهند، وفي الطب العربي الإسلامي بقايا لهذا التأثر. انظر: ماكس مايرهوف «من الإسكندرية إلى بغداد»، ضمن كتاب الدكتور عبد الرحمن بدوي **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: دراسات لكبار المستشرقين عن الألمانية والإيطالية**، دار النهضة العربية، ط. ٣، القاهرة ١٩٦٥م: ٥٥-٥٧. (مراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١١) النساطرة: هم السُّريان الشرقيون الذين كانوا يقطنون المناطق تحت الحكم الفارسي، ويعتقدون بطبيعتين منفصلتين للسيد المسيح؛ واحدة إلهية والثانية إنسانية. وهم بخلاف اليعاقبة (السريان الغربيين)، ويقولون بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح، والنساطرة عاشوا في العراق والحيرة، ولقد وصل إلى عرب الحيرة قدر عظيم من العلم والفلسفة واللاهوت الهيليني عَبر اللغة السريانية. انظر: الدكتور ماهر عبد القادر، **دار العلوم العربية**، بيروت، ١٩٨٨م. (مراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)



منها سوى بضعة فصول حفظتها لنا المخطوطات الموجودة في المكتبات المختلفة، والتي لم يُطبع أيٌّ منها بعد[١٢]، [١٣].

منذ عدة أعوام خَلَتْ، عثر الدكتور جورجي صبحي[١٤]؛ الأستاذ المساعد في الطب، وأستاذ اللغتين القبطية والديموطيقية بالجامعة المصرية، على مخطوط لإحدى تلك الكُنّاشات بالمكتبة البطريركية بالقاهرة. وبتشجيع من الأستاذ الدكتور علي بك إبراهيم[١٥]، الذي يشغل حاليًّا منصب نائب رئيس الجامعة المصرية، وعميد كلية الطب فيها؛ ومشفوعًا بدعم شخصي مني، اضطلع الدكتور صبحي بنشر ذلك المخطوط بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية لتأسيس كلية الطب المصرية[١٦] في ديسمبر عام ١٩٢٨م[١٧]. ولقد قام الدكتور صبحي بنشر النص العربي للمخطوط في طبعة ممتازة، كما قدَّم له بمقدمة طبية تاريخية باللغة الإنجليزية، وزوَّده بمَسْرِدٍ للمصطلحات

(١٢) مذ كتبتُ السطر المدوَّن عاليه، صدرت طبعة من «جامع» عربي آخر لم يزل على قدرٍ كبير من الأهمية ألا وهو «فردوس الحكمة»، لعلي بن ربَّن الطبري (حققه محمد زبير الصِدّيقي، ببرلين سنة ١٩٢٩)، وكان هذا الكتاب الجامع قد دُوِّن عام ٨٥٠م. راجع: إدوارد جرانفيل براون، **الطب العربي**، كمبريدج، ١٩٢١م: ٣٧–٤٤؛ ج. سارتون، **المقدمة**، المجلد الأول: ٥٧٤–٥٧٥. (هامش النص الأصلي.)

(١٣) علي بن ربن الطبري، **فردوس الحكمة**، له تحقيق معاصر باللغة العربية وهو: ابن ربن الطبري (علي بن سهل)، **فردوس الحكمة**، جمع وترتيب وتحقيق وتعليق الدكتور محمد رواس قلعة جي، والدكتور محمد ظافر الوفائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٩٩٨م. (مراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٤) ثمة ضرورة مُلِحَّة للتعريف بالدكتور جورجي صبحي - قدَّس الله روحه - وخاصة أن له اهتمامات بالتراث الطبي العربي والإسلامي، مثل تحقيق كتاب **منتخب جامع المفردات في الأدوية للغافقي**، ابن العبري (أبو الفرج)، تحقيق ودراسة الدكتور جورجي صبحي، والدكتور ماكس مايرهوف، أربعة مجلدات، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٩٣٨-١٩٤٠م. (مراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٥) الطبيب الأستاذ علي بك إبراهيم: أحد أعلام مصر في القرن الفائت، ولا سيما في الطب؛ ذلكم الجراح الشهير أول دفعته ١٩٠٢م، وأول عميد مصري لكلية طب القصر العيني في ١٩١٩م، وكان وزيرًا للصحة في ١٩٤٠م، ونقيب عام الأطباء في ١٩٤١م، ورئيسًا لجامعة فؤاد الأول (القاهرة) من ١٩٤١ إلى ١٩٤٧م. (مراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٦) حول العلاقة بين الكتابات القبطية والديموطيقية والهيراطيقية، والأثر الحاسم لذلك في شامبليون في محاولته الناجحة لفك طلاسم حجر رشيد، وخاصة أن شامبليون - كما هو ثابت - قد تعلم وأجاد اللغة القبطية إجادة تامة؛ انظر: الدكتور أحمد عزب أحمد، «الأسس اللغوية والرياضية لعلم تركيب وحل الشفرة عند العرب: الانعكاس على لابورتا وشامبليون»، **مجلة تراثيات**، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، ٢٠١٨م. (مراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٧) ١٣٤٦هـ.

الفنية[١٨]. غير أن العَجَلة الشديدة في إخراج هذه الطبعة تسببت في وقوع عدد كبير من الأخطاء المطبعية، بالإضافة إلى بضعة تصحيفات في الكلمات اليونانية والسريانية الواردة في النص. إنه إصدار نفيس لواحد من المختصرات الطبية العربية المبكرة؛ ولذا فإنني أعتزم فيما يلي تناولَ هذا السِّفر الجليل بالتحليل المفصَّل، بغرض إتاحة محتوياته لمؤرخي الطب والعلوم.

أما الكتاب فهو بعنوان «كتاب الذخيرة في علم الطب»[١٩]، وهو من تأليف ثابت بن قرة. ويرد في مقدمة الكتاب أن مؤلفه قد صنَّفه في حياته ليفيد منه ولده سنان بن ثابت بن قرة. وبناءً على ذلك، فإن هذا العمل لا بد أنه من تلك المؤلفات التي وضعها واحد من أعظم العلماء العرب على الإطلاق؛ فثابت واحد من هؤلاء الأفذاذ ذوي المعرفة الموسوعية الذين أسهموا في إثراء الحضارة الإسلامية، إذ كان في آنٍ واحد: العالِمَ الطبيعيَّ، والرياضيَّ، والفلكيَّ، والطبيبَ النطاسيَّ، هذا بالإضافة إلى كونه مترجمًا نقل النصوص اليونانية والسريانية إلى اللغة العربية. وبغضِّ النظر عن هذا كله، فإنه يتعين علينا أن نتحقق من مدى دقة نسبة العمل المذكور إلى ثابت بن قرة. وإنني في هذا المقام أتفق تمامًا مع ما خَلُص إليه الدكتور صبحي في أن هذا الكتاب: «فريد، قديم، يسترعي الانتباه؛ وأنه يستحق أيضًا النشر دونما جدال».

(١٨) راجع: التحليل الوارد بدورية (إيزيس)، المجلد ١٣: ٣٦٤ من **كتاب الذخيرة**، تحقيق الدكتور جورجي صبحي، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٢٨م، مسرد ٨: ١٥، ٣٤، ١٨٦. وثلاث لوحات؛ بضعة تصويبات وشروحات للمصطلحات اليونانية والسريانية والسنسكريتية، قدمها هرمان ليمان في تحليله الموجز للكتاب في دورية (Orientalist. Literaturzeitung)، ١٩٢٩م، المجلد ٣٢: ٨٦٩-٨٧٣. (هامش النص الأصلي.)

(١٩) لكتاب الذخيرة في الطب تحقيق آخر، بخلاف التحقيق والدراسة التي أشار إليها ماكس مايرهوف. انظر: ثابت بن قرة، **الذخيرة في علم الطب**، تحقيق ودراسة الدكتور أحمد المزيري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م. (مراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)



كان أبو الحسن ثابت بن قرة بن مروان الحرَّاني[٢٠] (٨٣٥-٩٠١م)[٢١] - كما هو واضح من اسمه - من أهل حرَّان في بلاد الرافدين؛ المعقل الرئيسي للصابئة[٢٢] (الصابئين)، وهي طائفة من عَبَدَةِ النجوم الذين شكَّلوا مستوطنة وثنية في قلب النطاق الإسلامي. وقد كان لديانة هؤلاء الصابئة الفضلُ من دون شك في ظهور فلكيين ورياضيين بارزين كُثر من بينهم، كان أشهرهم ثابت البتّاني[٢٣]. وإضافةً إلى ذلك، فلقد أصبحت حرَّان إبَّان حكم الخليفة المتوكل (٨٤٧-٨٦١م)[٢٤] مقرًّا لمدرسة الفلسفة والطب، التي كانت قد انتقلت آنفًا من الإسكندرية إلى أنطاكية ودوائر الخلافة الناطقة بالسريانية[٢٥]. لقد ارتحل ثابت بن قرة عن مسقط رأسه حرَّان بعد خلاف ديني مع بني وطنه من الصابئة، وذاع صيته بفضل ترجماته وإنتاجه العلمي الخاص، كما قدَّمه الفلكيُّ

(٢٠) تقع خير السير لحياته وأفضل التوصيفات لأعماله التي تم استقاؤها من مصادرها العربية في المراجع الآتية:
Die Sabier und der Sabismus, D. Chwolson, Petersburg 1856, Vol. I: 546-67. *Histoire de la médecine arabe*, L. Leclerc, Paris 1876, Vol. I: 168-172; *Die Mathematiker und Astronomen der Araber*, H. Suter, Leiptzig 1900: 34-38; *Ueber Thâbit ben Qurra, sein Leben und Wirken*, E. Wiedeman, in Beiträge zur Geschichte der Naturwissenschaften LXIV, Erlangen 1921; *The Book of the Dakhira: X-XII; J. Ruska* G. Sobhy, in Encyclopaedia of Islam, Vol. I: 599-600;

أما المرجعان الأخيران السالف ذكرهما فقد وردت فيهما ترجمة كاملة له. (هامش النص الأصلي.)

(٢١) ٢٢٠-٢٨٨هـ.

(٢٢) الصابئة: أصل الكلمة من صبأ، ومعناها مال وانحرف، أو انتقل من دين إلى دين آخر، وأتت الكلمة من قولهم: إذا خرجت من شيء إلى شيء. وهم على فرقتين: الصابئة المندائية، وهي فرقة يهودية نصرانية، وهم بجانب أهل الكتاب كما ورد في القرآن الكريم. وكذلك الصابئة الحرانية، والصابئة الفلسفية؛ صابئة مشركون، وصابئة لا يتقيدون بملة محددة. وموئلهم مدينة حران، بأرض جزيرة العرب بالقرب من مدينة الرها. وعاشوا أيضًا في غرب اليمن في نحو عام ٧٠٠ ق.م.، وعُرفوا بأنباط جنوب الأردن. انظر: الدكتور جبور عبد النور، «الصابئة وأثرها في الفكر العربي»، **مجلة المتاب**، المجلد الثاني، الجزء السابع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٣م: ٥٧ وما بعدها. (مراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٢٣) محمد بن جابر بن سنان البتاني (٢٦٤هـ/ ٨٧٧م - ٣١٧هـ/ ٩٢٩م): من ألمع وأشهر علماء الرياضيات والفلك في الحضارة العربية الإسلامية، حتى إن «لالاند» يعده من بين أشهر عشرين فلكيًّا في العالم، عرف بالزيج الصابئ، وهذا الكتاب في الرصد الفلكي (جداول فلكية)، وتُرجم إلى كل اللغات الأوروبية تقريبًا. انظر: الدكتور قدري حافظ طوقان، **تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط. ٣، القاهرة، ١٩٦٣م: ٢٤١-٢٥٤. (مراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٢٤) ٢٣٢-٢٤٦هـ.

(٢٥) راجع:
Von Alexandrien nach Baghdad, ein Beitrag etc., M. Meyerhof, in Abhandlungen der Preuss. Akademie d. Wissenschaften, Berlin, 1930. (هامش النص الأصلي.)

ورجل الدولة محمد بن موسى إلى بلاط الخلفاء العباسيين ببغداد. وفي عاصمة الخلافة، أصبح ثابت صديقًا شخصيًّا ونديمًا من ندماء الخليفة المعتضد (٨٩٢-٩٠٢م)[٢٦]؛ حيث ظلَّ في خدمته حتى وافته المنية[٢٧].

وتعد أعماله في الرياضيات، والفلك، والطبيعة، والأرصاد الجوية، وغيرها من مصنفاته في الموسيقى، والجغرافيا، وعلوم النبات والزراعة؛ من المؤلفات التي تحظى بشهرة عالمية. وفيما يخص حذقه في الطب وإنتاجه الأدبي؛ فلا يُعرَف عنهما إلا النذر اليسير. لقد أثنى الإخباريون العرب كثيرًا على براعة ثابت في الممارسة الطبية؛ فمن بين ما يربو على مائتين من الأعمال المنسوبة إلى ثابت بن قرة، والتي اشتملت عليها القائمة الخاصة بمصنفاته؛ وضع ثابت أربعين عملًا منها فيما يتصل بالطب.

إن «كتاب الذخيرة في علم الطب» لم يذكره ابن النديم (القرن العاشر الميلادي) - وهو أول مَن ترجم لثابت - ضمن تصانيف ثابت، وإنما ذكره شمس الدين محمد بن محمود الشَّهْرَزوري الإشراقي[٢٨] (عاش نحو عام ١٢٠٠م[٢٩]) الذي لخَّص تاريخًا كان قد وضع في زمن أسبق للفلاسفة والأطباء[٣٠]، حيث أورد: «ألَّف ثابت كتابَ الذخيرة؛ وهو كتابٌ نفيسٌ في فنِّ الطب». وترجم ابن القفطي (المتوفى سنة ١٢٤٨م[٣١]) لثابت في كتابه «تاريخ الحكماء»[٣٢]، وشفَع ترجمته تلك بقائمة ببليوجرافية لأعماله كان قد أعدَّها واحد من حَفَدَةِ ثابت، ويدعى المحسِّن بن إبراهيم بن هلال

(٢٦) ٢٧٨هـ-٢٨٩هـ.

(٢٧) أي إلى انقضاء أجل ثابت. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(٢٨) الشهرزوري الإشراقي (ق ٧هـ/ ١٣م): قامت دائرة المعارف العثمانية بتحقيق أعماله في مجلدين، تحت عنوان **نزهة الأرواح وروضة الأفراح**، الدكن بالهند، ١٩٥٨م؛ وانظر أيضًا: تحقيق ودراسة العلامة محمد بهجة الأثري لمقالة الشهرزوري «نزهة الأرواح وروضة الأفراح»، ضمن نصوص فلسفية مهداة إلى الدكتور إبراهيم مدكور، إشراف وتصدير الدكتور عثمان أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م: ١٣٥-١٧٠. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٢٩) ٥٩٦هـ.

(٣٠) تقع أعماله في ثلاث مخطوطات فحسب هي: (Berlin Mo 217) و(Landb. 430) و(Leiden Catalogue III: 343)، أما الفقرة التي تخص ثابت فقد قام بتلخيصها إي. فيدرمان (E. Wiedermann (Beiträge XX: 63-65 (هامش النص الأصلي.)

(٣١) ٦٤٥هـ.

(٣٢) **تاريخ الحكماء**، إي. ليبرت، لايبزج، ١٩٠٣م: ١١٥-١٢٢. (هامش النص الأصلي.)



الصابئ[٣٣]، وجاء فيها ما يلي: «وفي أيدي الناس كناشٌ عربيٌّ جيد يُعرف بالذخيرة منسوبٌ إلى ثابت، ورسالةٌ عربية منسوبة إليه في شرح مذهب الصابئين. وسألت (أي ابن هلال) أبا الحسن ثابت بن سنان بن قرة[٣٤] عن هذه الرسالة والكُنّاش، فقال: ليس ذلك لثابت، ولا وجدته في كتبه ولا دساتيره». ومن جهة أخرى، يذكر ابن أبي أصيبعة في مؤلفه «طبقات الأطباء»[٣٥]: «كتابه المعروف بالذخيرة، ألَّفه لابنه سنان بن ثابت». وفي مقدمة مخطوط القاهرة يقول الناسخ موافقًا ما ذُكر آنفًا: «جمعه أيام حياته لابنه سنان بن ثابت بن قرة». وحيث إن سنان بن ثابت طعن في نسب الكناشة التي قيل إن أباه قد صنَّفَها له، فإن القول الفصل في هذا الأمر يقع على عاتق فقهاء اللغة، الذين يتعين عليهم التثبُّت ممَّا إذا كان الأسلوب الذي وُضع به «كتاب الذخيرة» يتوافق مع أسلوب مؤلفات ثابت الأخرى[٣٦]. وعلى أية حال، فإن كتاب الذخيرة هذا كان موجودًا بالفعل في منتصف القرن العاشر الميلادي، وفي ذات العصر الذي وُجِدت فيه النسخة التي بجوزتي من مقالة «حنين» الرائعة في «العين»[٣٧]، والتي تُعد أقدم نموذج لهذا الضرب من الأدب العلمي العربي

(٣٣) المحسِّن بن إبراهيم بن هلال الصابئ (٣١٣هـ/ ٩٢٥م – ٣٨٤هـ/ ٩٩٣م): خدم آل بويه، وعاش في بلاطهم بالعراق، ودون كثيرًا من الأرصاد الفلكية، ويدين بديانة الصابئة، ويقول ابن القفطي: «وله يدٌ طولى في علم الرياضة وخصوصًا الهندسة والهيئة (الفلك)». انظر: ابن القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**: ٥٤. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)
وكان المحسِّن بن إبراهيم بن هلال الصابئ عديلًا لثابت بن سنان (زوج أخت زوجته)، وابنًا لإبراهيم بن هلال الصابئ، وأبًا لهلال بن المحسِّن؛ والثلاثة كانوا وزراء، ومؤرخين مشهورين في بغداد خلال الفترة من ٩٣٠م إلى ١٠٥٠م. انظر: **دائرة المعارف الإسلامية**، المجلد الرابع، ١٩٢٤م: ١٩ وما يليها. (هامش النص الأصلي.)

(٣٤) الحسن ثابت بن سنان بن قرة (ابن سنان) (٢٩٦هـ/ ٩٠٨م – ٣٢٥هـ/ ٩٤٦م تقريبًا). انظر: الدكتور أحمد عزب أحمد، «استخدام ابن سنان للأسلوب المنطقي في اكتشاف حل المسائل الهندسية»، المؤتمر الدولي الثاني عشر للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم، بالتعاون مع مركز الدراسات المعرفية بكلية العلوم، جامعة القاهرة، إبريل، ٢٠٠٧م: ٦٧١-٧٠١. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٣٥) **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، القاهرة، ١٨٨٢م، مجلد ١: ٢١٩، سطر رقم ٦. (هامش النص الأصلي.)

(٣٦) كنتُ قد قلتُ بزيف كتابٍ طبّي آخر ينسب إلى ثابت بن قرة، راجع:
Die angebliche Augenheilkunde des Thâbit b. Qurra, C. Pruefer and M. Meyerhof, in Centralblatt f. Augenheilkunde, Vol. 35, 1911.
وبجوزتي - إضافةً إلى ذلك - نسخٌ لعمل آخر في طب العيون ينسب للترجمان العظيم حنين بن إسحاق، ويفترض أنه قد ترجمه لأبنائه، إلا أن المعالجة الفيلولوجية التي قام بها الأستاذ برجشتريسر أظهرت أن الكتاب قد ألَّفه تلامذة حنين على الأرجح. (هامش النص الأصلي.)

(٣٧) **كتاب العشر مقالات في العين المنسوب لحنين بن إسحاق**، إصدار ماكس مايرهوف، القاهرة، ١٩٢٨م (إيزيس، عدد ١٣: ١٠٦-١٠٩). حنين بن إسحاق، **كتاب العشر مقالات في العين: أقدم كتاب في طب العيون أُلِّف على الطريقة العلمية**، طُبع النص العربي من النسختين الوحيدتين المعروفتين، وترجمه إلى الإنجليزية مع بيان شرح المصطلحات ومعجم الأسماء الطبية الدكتور ماكس مايرهوف، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٢٨م: ٣٨٣. (هامش النص الأصلي.)

المنشور إلى وقتنا هذا. ولقد وجدتُ أيضًا قرينةً أخرى ترقى إلى زمن ذلك العصر الباهر الذي وُضع فيه كتاب ثابت (الذخيرة)، وتتمثل في الاستشهادات العديدة المعزوَّة إلى هذا العمل، والتي وردت في رسالة طبية لم تنشر بعدُ، منسوبة إلى الطبيب الأشهر، الفارسي الأصل، العربي الهوية أبي بكر الرازي[٣٨]. والرسالة هي «الكتاب الفاخر في الطب»، وهي موجودة في شكل مخطوطة محفوظة بِلَيْدِن تحت رقم (OR.91).

وهذه الرسالة لا يعدُّها ابن أبي أصيبعة (مجلد ١، ص ٣١٨) من أعمال الرازي؛ بل هي من تأليف جماعة من تلاميذه الذين جمعوها من موسوعة طبية أخرى من تصنيفه، وهي كتاب «التقسيم والتشجير». وعلى أية حال، فالموسوعة تتألف في مجملها من اقتباسات من الكناشة التي وضعها يوحنا بن سرابيون[٣٩] Joannes Serapion، وهو طبيب ممارس مسيحي من القرن التاسع الميلادي، وكذلك من كتاب الذخيرة لثابت بن قرة. ويورِد مؤلف «الفاخر في الطب» تلك الاقتباسات ذاكرًا كلمة «ثابت» فحسب، من دون الإشارة إلى مصنَّف بعينه من مصنفات ثابت. وكان قسم من أقسام الرسالة المذكورة قد نُشر، وهو القسم المتعلق بحصى الكُلَى والمثانة، وهو ما أتاح للمستشرقين إمكانية المقارنة بين النصَّين[٤٠]. ولقد قمت شخصيًّا بمقابلة القسم الخاص بطب العيون من «كتاب النفيس» مستعينًا بالنسخة الضوئية التي في حوزتي، ويعود الفضل في إتاحتها لي، إلى صديقي الدكتور سي. فان أرِندونك C. Van Arendonk؛ أمين مكتبة لَيدن الشرقية. وإضافةً إلى ذلك، فقد قابلت نص كتاب الذخيرة على الاقتباسات المنسوبة إلى ثابت بن قرة الواردة

---

(٣٨) أبو بكر الرازي (٢٥١هـ/ ٨٦٥م - ٣١٣هـ/ ١٩٢٥م): ويمكن الرجوع إلى المراجع الآتية بخصوصه:
- الرازي، **الحاوي في الطب**، حيدر آباد (الدكن)، دائرة المعارف العثمانية، الهند ١٩٧١م.
- الدكتور محمد كامل حسين، والدكتور محمد عبد الحليم العبقي، **دراسة وتحليل لكتاب الحاوي (طب الرازي)**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، بيروت، ١٩٧٧م. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٣٩) يوحنا بن سرابيون (توفي تقريبًا في ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م): له كتاب في الطب يسمى الكُنَّاش الصغير، نقله المترجم الشهير جيرار دي كريمونا في مدينة طليطلة في القرن الثاني عشر الميلادي إلى اللغة اللاتينية. انظر: دانيال جاكار، **تأثير الطب العربي في الغرب خلال القرون الوسطى**، ترجمة حنا مراد، ونزيه عبد القادر، ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربية، المجلد الثالث (تاريخ الطب)، إشراف الدكتور رشدي راشد، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة تاريخ العلوم العربية، رقم ٤، بيروت، ١٩٩٧م: ١٢٥٠. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٤٠) **رسالة في الحصى والكلى والمثانة**، عن أبي بكر محمد بن زكريا الرازي، إصدار دي كونينج، لايدن، ١٨٩٦م: ٧٩-٩١. وهذه الفقرة تقابل الصفحتين ١٠٧-١٠٨ من إصدار الدكتور صبحي لكتاب «الذخيرة». انظر ما كُتِبَ تحت الباب رقم ١٧. (هامش النص الأصلي.)



في «كتاب الشمسية المنصورية» لأبي منصور الحسن بن نوح القُمْري[٤١]، وهو طبيب فارسي من القرن العاشر، وأحد الأساتذة الذين تتلمذ على أيديهم الطبيب العظيم ابن سينا[٤٢] Avicenna[٤٣]، إلا أن هذه الاقتباسات لم تتطابق مع نص كتاب الذخيرة؛ فلا بدَّ من كونها مقتبسةً من كتاب طبي آخر من كتب ثابت بن قرة، التي أمست اليوم مما طواه الزمان.

وتتألف نسخة القاهرة من كتاب الذخيرة من ٣٨٣ صفحة، تحتوي كُلُّ صفحة من صفحاتها على ٢٥ سطرًا، مكتوبة بخَطٍّ واضح نسبيًّا، ومؤرخة بيوم السبت ٧ جمادى الأولى سنة ٦٠٧هـ، الموافق ٢٨ أكتوبر عام ١٢١٠م. وبناءً على هذا التاريخ، فلقد تم نسخ النسخة المذكورة بعد ثلاثمائة عام تقريبًا من وفاة المؤلف المفترض؛ أما الناسخ فقد كان مسلمًا، وأغلب الظن أنه كان مصريًّا. والمخطوط بحالٍ جيدة من الحفظ، وهو ما مَكَّن الدكتور صبحي من إصداره على الوجه اللائق.

ويُعَدُّ كتاب الذخيرة كما أسلَفنا أنموذجًا لكناش طبي (مجموعة، مصنف، جامع) وُضعت مئات المؤلفات على منواله؛ غير أن أيًّا من تلك المؤلفات - وكما ذكرتُ آنفًا - لم يُنشَر بعدُ باللغة العربية. إن الأعمال التي أعنيها تتخذ شكل المختصرات المقتضبة التي تتسم بالإيجاز، مقارنةً بالأعمال الموسوعية العظيمة لابن سينا وأبي العباس[٤٤].

وتتناول تلك الكناشات أمراض الجسم البشري من القرن إلى القدم[٤٥]، ويُصدَّر الشطر الأعظم من تلك الكتب غالبًا بفصول في علوم التشريح، ووظائف الأعضاء، أو الصحة العامة، تعقبها فصول أخرى تتناول الأمراض المُعدية، والسموم، والعلاجات.

---

(٤١) أبو منصور الحسن بن نوح القُمري: أستاذ لابن سينا، وكان معاصرًا لعلي بن عباس المجوسي (تُوفي عام ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، وله كتاب الغِنى والمنى وصف فيه الجُزام. انظر: لسلي ماركيس، **العلماء والأطباء المسلمون في الأمراض الجلدية**، المؤتمر العالمي للطب الإسلامي، ط. ٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٨١م. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٤٢) ابن سينا (٣٧٠هـ/ ٩٨٠م – ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م): هو أشهر من أن يعرَّف، فهو أحد رجالات وعلماء البشرية المعدودين، ولذلك يُكتفى بإثبات ميلاده ووفاته. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٤٣) مخطوط رقم ٤٧٦، طب، دار الكتب المصرية، القاهرة. (كان هنا مكان هذا الهامش بجانب اسم ابن سينا ولا أعلم مكانه الصحيح! أقترح إزالته إلا إذا عرفتم مكانه الصحيح في تلك السطور). (هامش النص الأصلي.)

(٤٤) علّه يقصد: موفق الدين أبا العباس أحمد بن سديد القاسم المكّي بابن أبي أصيبعة مؤرخ الأطباء صاحب كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، توفي عام ٦٦٨هـ (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(٤٥) يطلق الرازي على هذا التقسيم مستخدمًا صيغة الجناس الاستهلالي «من القرن إلى القدم»؛ في حين أن كتّابًا عربًا آخرين يدعونه «من القحف إلى القدم» *a capite ad calcem* (بالمعنى نفسه).

إن تلك «الجوامع»، تتألف بصفة عامة من مصنَّفات جُمعت من أعمال طبية لمؤلفين متقدمين، ثم أُلحقت بها إضافات من واقع الخبرات الشخصية للكتّاب المتأخرين. وهذا ما ينطبق على حال الكتاب الذي بين أيدينا؛ وسوف أتعرض الآن لمحتويات الكتاب بالنقد والتحليل، مع إضافة صيغ منقَّحة للمصطلحات الطبية، نتيجة غياب كثير منها عن المعاجم والقواميس اللغوية، وكذلك عن المسرد الذي وضعه الدكتور صبحي[٤٦].

(٤٦) ذيَّل الدكتور جورجي صبحي النشرة التي أصدرها لكتاب الذخيرة بمسرد طبي ثنائي اللغة (عربي – إنجليزي)، وهو ما يشير إليه صاحب المقال في هذا المقام. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)



محتويات الكتاب

بعد مقدمة قصيرة جاء فيها أن «كتاب الذخيرة» ألَّفه إمام زمانه «ثابت بن قرة» لابنه «سنان»، يلي ذلك فهرست - ولقد حذفناه هنا - ضم واحدًا وثلاثين بابًا يتألف منها الكتاب.

الباب الأول

في جوامع كلام يستعان به على حفظ الصحة

ويشمل طائفة من الاقتباسات؛ معظمها من كتاب «الفصول في الطب» Aphorisms لأبقراط بشرح جالينوس، ومن كتاب ذلك الأخير «تدبير الأصحاء» *De sanitate tuenda*. ويبدأ بشرح كون الإنسان من مصدرين؛ هما الدم والمنيّ، ثم ينتقل إلى شرح مصدر الحرارة الغريزية Innate Heat، وخصائص الأطعمة وإخراج فضلاتها. وجاء فيه أيضًا: أن الضرر ينشأ أساسًا من عدم الاعتدال في الحياة، والمبالغة في التغذية، والافتقار إلى الرياضة. ثم يسرد الكتاب أنواعَ اللحوم، وفوائد الأطعمة بحسب كتاب جالينوس «قوى الأغذية» *De alimentotorum facultatibus*، والأشربة؛ وفقًا لكتاب أبقراط(٤٧) «تدبير الأمراض الحادة» *De diaeta acutorum*، بالإضافة إلى ما أُثِر عن الكندي(٤٨)؛ الفيلسوف والطبيب العربي الشهير. ثم يتطرق الباب إلى مزايا التدبير

(٤٧) من القرن إلى القدم: شُرحت بطريقة غير صحيحة، ودقتها كما ورد في الحاشية بالميامر، الصفحة الثامنة من البحث. أبقراط (٤٦٠-٣٧٧ ق.م.)، أبو الطب صاحب القسم الشهير (قسم أبقراط)، زار مصر ودرس الطب في مدينة أون ومنف، وتشرَّب التقاليد الفرعونية الطبية الأخلاقية، ففصل الطب عن الخرافات، وعندما اندلعت حرب البلوبونيز (٤٣٠-٤٠٤ ق.م.)، أنقذ مدينتي أثينا وإسبرطه من وباء الطاعون، وأرسى أبقراط النظرية الطبية الخاصة بالأخلاط الأربعة، وترك أبقراط العديد من المؤلفات أشهرها: المجموعة الطبية؛ وهي ٧٨ مقالة في ٣٠ مجلدًا. انظر كتاب: *Zur Geschichte der arabischen*, Dr. Hile Kunde 1849: 454، وهو بحث بالألمانية في موضوع: تاريخ التطبيب العربي. انظر: الدكتور نامق كامل، الفهرس العام لمجلة جمعية الاستشراق الألمانية ZDMG (مُتَرجَم)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، السلسلة التراثية (١٨)، الكويت، ١٩٩٠م: ١٤١. (مراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٤٨) الكندي (١٨٥هـ/ ٨٠١م - ٢٥٢هـ/ ٨٦٧م): هو فيلسوف العرب بلا منازع، عدّه «لالاند» من بين الاثني عشر عبقريًّا في العالم، وله مؤلفات طبية مهمة مثل: الطب الأبقراطي، في الغذاء والدواء، في الطب الوقائي، في الأقرباذين (الصيدلة). انظر: ابن القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**: ٢٤٠، ٢٤٤. (مراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

النباتي، ومخاطر مزج الأشياء الدسمة والدهنية بالأشياء الحريفة القابضة والفواكه الرطبة. والجمل الأخيرة في هذا الباب تتسم بأهمية خاصة، ولذلك ترجمتها:

«ومما أَمَروا به (أي المتقدمون) التحرز من أصحاب الأمراض التي تعدي، وهي في الأكثر سبعة: الجذام، والجرب، والجدري(٤٩)، والحصبة، والبخر(٥٠) Ozaena، والرمد، والأمراض الوبائية. والتوقِّي من الأمراض التي تكون وراثة عن الآباء، وهي أيضًا في أكثر الأمر سبعة: الجذام، والبَرَص، والدِّق(٥١) Consumption، والسُّلّ، والمالنخوليا، والنقرس، والإبليسيما(٥٢). ومن كان بدنه مستعدًّا للامتلاء بسهولة، فيجب أن ينقص من كمية الغذاء وكيفيته أو إحداهما، ويزيد من الرياضة».

(٤٩) انظر: باب رقم ٢٦، إن ذكر الجدري يؤكد أن ثابتًا في هذا المقام لم يقم بالنقل عن أعمال مؤلفي الإغريق القدامى، بل عن رسائل هلينستية متأخرة، وعربية مبكرة. (هامش النص الأصلي.)

(٥٠) البخر: رائحة كريهة تخرج من الفم، فيقال فلان أبخَر، أي إن رائحة فمه غير مستحبة، والتعريف العلمي للبخر هو «النتن يكون في الفم وغيره، وبخر الفم سببه إما رطوبة عفنة في الأسنان، أو في لحم اللثة». انظر: إبراهيم بن أبي سعيد العلائي (تُوفي بعد عام ٥٤٧هـ/ ١٠٨٤م تقريبًا). **المنجح في التداوي من جميع الأمراض والشكاوى (تقويم الدوية المفردة)**، تحقيق ودراسة الدكتور هشام الأحمد، ومراجعة الدكتور محمد مصري، معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية، القاهرة، ٢٠١١م: ٣٤-٤٩٧. (مراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٥١) الدِّق هو الهزال التدريجي، وبصفة خاصة كمضاعفة من مضاعفات الدرن. (مراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(٥٢) الإبلهيسيا محرفة عن الإبليسبا (إبلسيما/ إبيلبسيا)، الدكتور جورجي صبحي، **كتاب الذخيرة: ثابت بن قرة**. يشير الأطباء العرب بصفة عامة إلى الصرع التشنجي Spasmodic Epilepsy بلفظة (الصرع) في العربية (والتي قمت بترجمتها إلى Falling Sickness، أما الصورة النفسانية للمرض فقد أشاروا إليها بالكلمة اليونانية ἐπιληψία (إبيلبسيا). (مراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)



الباب الثاني

في الوقوف على الأمراض الخفية Hidden Diseases في الأعضاء المشابهة Similar والأعضاء الآلية Organic(٥٣)

وفي هذا الباب الوجيز يُعطي ثابت بن قرة - بعد الاقتباس من كتاب جالينوس «حيلة البرء» *Methodus medendi* - رأيَه الشخصي في تشخيص «الأمراض الخفية». فالمرض الخفي يُعرف إذا ما عمَّ البدنَ كله بالاحتكام إلى لون وكمية ورائحة البول والعرق. أما إذا كان موضعيًّا، فهو يُعرف بلون العضو المصاب، ويُشخَّص بسخونته عند دَلْك منطقة الألم بالأيدي الجافة، أو بخرقةٍ خشنة.

الباب الثالث

في الأمراض الجلدية التي تصيب الرأس(٥٤) (في حفظ الشعر على حالته الطبيعية)

ويرد فيه كثير من وصفات الغسولات Hair-lotions والأدهان Salves، أخذ بعضها عن كتاب جالينوس «الميامير»(٥٥) *De compositione medicamentor*. ويلي ذلك عرضٌ لأسباب سقوط الشعر، استنادًا إلى كتاب جالينوس «المـزاج» *De temperamentis*، ثم يتطرق إلى طرق إزالة الشعر، ومن بينها المزيل الزرنيخي المشهور بـ «النَّوْرَة». ويلي ذلك إيرادُ عديدٍ من الوصفات،

(٥٣) وفقًا لجالينوس، **كتاب القوى الطبيعية** *De facult. nat.*، مجلد ١، فصل ٦؛ الأعضاء المتجانسة ὁμοιομερῆ μόρια تتألف من أجزاء متشابهة بوجه عام، أي متجانسة؛ وهو ما يشير إلى الأنسجة البسيطة. أما الأعضاء المركبة ὀργανικὰ μόρια فهي مكونة من أنسجة مختلفة. (هامش النص الأصلي.)

(٥٤) العنوان الأصلي للباب: «حفظ الشعر على حاله الطبيعية وتقويته وعلاج ما يتولد فيه من الأمراض المفسدة له من داء الثعلب والحية والانتثار والشقاق والحزاز والسعفة الرطبة واليابسة وابتداء الصلع وعلاج تعجيل إنباته وعلاج إفنائه وخضابه وعلاج القمل والقمقام». (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(٥٥) يعرف هذا الكتاب لجالينوس عامةً عند العرب باسم «الميامير»، وهي كلمة سريانية في صيغة الجمع ومفردها «ميمرا» وتعني «أقوال الإرشاد أو الطريق».

مثل تلك التي يدخل ضمن تركيبها الشوكران[٥٦] *Conium maculatum*، والأفيون، علمًا بأنها فعالة مع كونها خَطِرة.

ثم يتناول الباب داء الثعلبة Alopesy، وداء الحية، وابتداء الصلع، والمرض الأخير لا بَرْءَ له وفقًا لكلام جالينوس. ويتعارض هذا مع ما رواه جالينوس ذاته من أنه رأى حالة مفردة عولجت بالعلاج المسهِّل لروفوس (أيارج روفوس). أما الحالات الأخرى فكانت تعالج بالمراهم، وحكِّ الجلد الأملس بالبورق Borax، أو الجلد الخشن للأسماك (السضن)، ومرهم مكون من زيت، ونبيذ، وطين... إلخ؛ كما يوصف لعلاجه اتباع الحمية.

أما الحَزاز Lichen فهو يتسبب أحيانًا في السعفة Excoriation، ويعالج بمستخرج الزهور (الخبازى) وكمادات الدقيق.

كما جاء أنَّ القُمَّل Lice والقِمقَام Crabs والصيبان Nits تولد من تكثيف العرق في طبقات الجلد العميقة، والعلاج يكون بالاستحمام، كما ينصح بالعلاجات المرَّة.

وكذلك ذُكرت السعفة[٥٧] سواء الرطبة أو اليابسة، والأخيرة جاء أنها مألوفة لدى الأطفال والمرضى ممتلئي البدن، وتعالج بفصد الدم، والنشوقات (السعوط)، والعلاجات الموضعية.

---

(٥٦) الشوكران: هو أحد نباتات الفصيلة الصيوانية/ الخيمية، يكثر انتشاره في أطراف الحقول، وهو يشكل شجيرات ساقها جوفاء لامعة مخططة، أوراقها رخوة لونها أخضر شديد اللمعان، إذا فركت باليد انتشر منها رائحة تجعلك تشعر بالدوار، يقال إن سقراط كان أعدم بسم أحد مركباته. انظر: ابن البيطار، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، مكتبة المتنبي، إعادة طبعة بولاق، ج. ٣: ٧١-٧٢. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٥٧) ربما هو المرض الذي نسميه اليوم «قُرَاع» Favus. (هامش النص الأصلي.)



الباب الرابع

في الأمراض الحادثة (في سطح جلدة الوجه)[٥٨]

«وهي الأمراض الحادثة في سطح جلدة الوجه مثل الكلف Xanthelasma، والقوابي Eczema، والآثار السود والبيض الحادثة عن الخدش، والقروح، والحجامة في العنق Cupping at the Neck، وقلع الثآليل[٥٩] Warts من ساعتها؛ والعدسيات Pimples؛ وصفات الغسولات Washes، والغمر Lotions، وما ينقي البشرة Epidermis ويبسط جلدته، ويزيل التشنج Shrinking. وعلاج تنقية البشرة من القوابي، والكلف، والآثار السود من الخدش، والقروح، وغير ذلك من البرش[٦٠] والنمش Lentigines، والخِيلان في الوجه Marks on the Face»، وهي في معظمها وصفات علاجية، بعضها مأخوذ عن كتاب «الميامير»[٦١] لجالينوس، وهي تماثل أحيانًا مستحضرات التجميل المعاصرة، وتشمل استخدام مساحيق ودقيق الحبوب والبقول Leguminosae المختلفة. ومن الجدير بالذكر ملاحظةٌ وردت في النص، تفيد بظهور الكلف لدى النساء الحوامل بصفة اعتيادية.

---

(٥٨) العنوان الأصلي للباب: «في الأمراض الحادثة في سطح جلدة الوجه من الكلف والقوابي والبرش والنمش والقروح والثآليل والعدسيات فيه وسائر ما ينقي البشرة ويبسط جلدته من الغسولات والغُمَر». (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(٥٩) الثآليل: مفرد ثُؤلُول، وهي بثور صغيرة شديدة الصلابة وهي على ضروب شتى، وسببها جميعًا خلط غليظ يابس بلغمي أو سوداوي، أو مركب منها. انظر: إبراهيم بن أبي سعيد العلائي، **المنجح في التداوي من جميع الأمراض والشكاوى**: ٤٩٨. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٦٠) البرش: نقط حمراء اللون تحدث في الوجه وسائر البدن. انظر الحسن بن نوح القمري، **التنوير في الاصطلاحات**، تحقيق الدكتورة وفاء تقي الدين، مكتبة المتنبي، ومكتب التربية العربي، القاهرة، الرياض، ١٩٩١م، فهرس الأمراض والأدوية. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٦١) الميامير: يمثل النصف الثاني من كتاب جالينوس، وهو كتاب تركيب الأدوية الذي جعله في ١٧ مقالة، وأجمل في ٧ مقالات منها: أجناس الأدوية المركبة، وكيفية تركيبها على الجُمل (حساب الجُمل وهو نظام للأعداد لدى العرب في السابق) والأجناس، وهذا الجزء عُرف بكتاب «قاطاجنس»، والعشر مقالات الأخيرة تُعرف بكتاب «الميامر»، الذي وصف فيه الأدوية المركبة بحسب المواضع. أي الأعضاء التي فيها العلة والمرض، وما يصلح لكل عضو من هذه الأدوية من الرأس حتى القدم، وهذه الطريقة اتبعها ابن سينا في رسالته الطبية. الرسالة الألواحية. انظر: إسحاق بن علي الرهاوي، **أدب الطبيب**، تحقيق الدكتور مريزن سعيد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٩٩٢م: ١٧. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

الباب الخامس

في أنواع الصداع Headache[٦٢]

ويعرض للنبض في حالات الصداع الشديدة، وهو ما يسميه (المجسة العظمى التامة[٦٣] في الجهات الثلاث: الطول والعرض والعمق)، أما الأعراض الخارجية الأخرى فهي حمرة في الوجه، وانتفاخ في العروق، وخشونة في الحلق، وحلاوة في الفم. كما يتناول الباب الأنواع المختلفة للصداع، ومنها ما هو كائن مع دلائل الصفراء، فمنها ما يتولد عن الهمِّ والغمِّ، والغيظ والغضب، والسهر، والصوم، وعدم الانتظام في تناول وجبات الطعام؛ كالإقلال منه، وتأخيره عن وقته. ويورد وصفات كثيرة نقلها عن جالينوس وغيره، بالإضافة إلى نظم غذائية، كاجتناب الأسماك، والطيور، والخمر، والدهون.

وأما الشقيقة Hemicrania فيعلِّلها ثابت بنُزولِ أو تدفقِ فضلات الدماغ الضار (البلغم) Noxious Residues إلى يمين أو يسار الدماغ (المخ)، ثم يُتبع ذلك باقتباس من تفسير جالينوس المفقود لأقوال أفلاطون الطبية في كتابه «طيماوس الطبي» Timaeus.

(٦٢) العنوان الأصلي للباب: «في أنواع الصداع العارض من البرد والحرّ والرطوبة واليبس والامتلاء والخواء وأنواع الشقيقة وما يمنع البخار الذي يحدث عنه ذلك من التصاعد إلى الرأس وما يقوّيه حتى لا يقبل ما يرتفع إليه، وما ينقي الدماغ من الأدوية، وما يذكي الذهن، وما يخص نفعها للدماغ من الأغذية، وما يضره من ذلك». (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(٦٣) الجهات الثلاث: وهي أبعاد الجسم الثلاثة: الطول، العرض، العمق (يعرف أيضًا الارتفاع أو السُّمك) والأخير مأخوذ من الآية القرآنية ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ . انظر: الدكتور أحمد عزب أحمد، **تحقيق ودراسة مخطوط كتاب شرح مصادر إقليدس للحسن بن الهيثم**، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٥م. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)



الباب السادس

في السكتة Apoplexy والفالج[٦٤] Hemiplegia واللقوة[٦٥] Facial Paralysis والتشنج Spasm من الرطوبة واليبس والخدر Numbness والصرع Falling Sickness والرعشة Tremor، ورياح الأفرسة[٦٦] Rheums of Gibbosity وهي أنواع الحدب Hump-backedness[٦٧]

وفيه شرح للأسباب المفترضة لهذه العلل على ما ذهب إليه جالينوس في بعض منه، كما تضمَّن الباب ملاحظات جيدة لعملية التنفس: فإذا كان التنفس باستكراهٍ وغطيط (شخير) Stertorous فهو علامة على أن السكتة قوية. واشتمل الباب أيضًا على ما نوّه به أبقراط من أن السكتة تصيب المشايخ (بدءًا من سن الخمسين)، ويورد العلاج[٦٨] نقلًا عن جالينوس ويوحنا ابن ماسويه Yuhanna B. Masawaih (توفي عام ٨٥٧م)[٦٩]. كما يحتوي الباب أيضًا على ثبتٍ للتشنجات، وبخاصة تلك التي تصيب الأطفال وفقًا لما ورد عن أبقراط، وجالينوس في رسالته «إلى أغلوقن» *Ad Glauconem*. أما الرعشة المزمنة فقد تنشأ من «ضغط القوة الحيوانية»، مثل الفزع

(٦٤) الفالج: أن يبطل حس العضو، فيصير أشبه بالنائم، فلا يحس إلا فيما ندر. انظر: المصدر السابق، فهرس الأمراض والأدوية. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٦٥) اللقوة: تعوج الفم وميله إلى أحد الجانبين، حتى لا يمكن لصاحبها إغماض إحدى العينين، وإذا نفخ خرج الريح من أحد جانبي الفم. انظر: **دراسة وتحليل الحاوي**، الدكتور محمد كامل حسين؛ الدكتور محمد عبد الحليم العقبي، **مرض اللقوة**: ٦٥-٦٨. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٦٦) أي «الرياح»، التي نسميها اليوم «الدرن» Tuberculosis، التي تكسر عظام العمود الفقري وتسبب الحُداب وشلل العمود الفقري. (هامش النص الأصلي.)

(٦٧) خلط مايرهوف بين علتين هما السكتة Apoplexy والفالج (الشلل) Palsy Hemiplegia الذي ورد ذكره في «كتاب الذخيرة» لثابت بن قرة؛ فإشارة أبقراط التي نوه بها مايرهوف جاءت بخصوص مرض الفالج وليس مرض السكتة؛ حيث يرد في النص العربي: «في الفالج، قال أبقراط: المشايخ أصحاب خمسين سنة تعرض لهم نزلة من الدماغ فيهيج منها الفالج». (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(٦٨) العلاج المذكور يخص مرض الفالج (الشلل) وليس السكتة Apoplexy كما ذكر مايرهوف (انظر عاليه). (مراجعة د. محمد يسري سلامة.)

(٦٩) ٢٤٢هـ.



ونحوه من عوارض النفس. و«رياح الأفرسة»(٧٠)، وهي أنواع الحدب، قد تعرض نتيجةً لرضوضٍ خارجية External Trauma، أو لوجود خُرّاجٍ داخلي Internal Abscess في عظم الصُلب (العمود الفقري).

الباب السابع

في المالنخوليا Melancholy والإبلهيسيا(٧١) Epilepsy(٧٢) والسدد Syncope والدوار Vertigo والسُّبات(٧٣) Lethargy من حرارة، والسُّبات من برودة، والسُّبات السَّهَري Lethargy with Insomnia والكابوس Nightmare

وترد فيه اقتباسات عديدة من جالينوس، منها اقتباس واحد من شرحه على «طيماوس» Timaeus.

(٧٠) رياح الأفرسة: هو انحناء الظهر قليلًا قليلًا، ويسمى الحدبة، وسببها ضعف الفقرات. انظر: إبراهيم بن سعيد العلائي، **المنهج في التداوي من جميع الأمراض والشكاوى**: ٥٠٢. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٧١) يشير الأطباء العرب بصفة عامة إلى الصرع التشنجي Spasmodic Epilepsy بلفظة «الصرع» في العربية، التي ترجمتها إلى «Falling Sickness»، أما الصورة النفسانية للمرض فقد أشاروا إليها بالكلمة اليونانية ἐπιληψία (إبيلبسيا). (هامش النص الأصلي.)

(٧٢) الإبلهيسيا محرفة عن الإبليسبا (إبلسيما/ إبيلبسيا)، الدكتور جورجي صبحي، **كتاب الذخيرة**، ثابت بن قرة. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(٧٣) السُّبات: هو النوم المفرط الثقيل، وثمة فارق بينه وبين السكتة (المغشي عليه)، وهو تغير في لونه وشحوب، على عكس السُّبات، فقد يتغير لونه ولا يبرد أطرافه مثل المغشي عليه، وأصل السُّبات من الراحة والسكون وعدم الحركة وممارسة الأعمال. انظر: أبو القاسم الزهراوي، **التعريف لمن عجز عن التأليف**: **موسوعة طبية من القرن العاشر الميلادي**، تحقيق وترجمة صبحي محمود حمامي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، سلسلة التراث العلمي العربي، الكويت، ٢٠٠٤م: ١٢٣٠-١٢٣١. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)



الباب الثامن

في أمراض العـين

وترد فيه - بعد تشريح مختصر للعين - فقرةٌ عن الرمد Ophthalmia وعلاجاته وفقًا لكتاب جالينوس «حيلة البرء»، بالإضافة إلى خبرات ثابت الشخصية. يلي ذلك ذِكرُ البياض[(٧٤)] Leucoma، والظَّفرَة[(٧٥)] Pterygium، والجرب (الجُلبَة) Trachoma، والسبل Pannus؛ والمرضان الأخيران يعالَجان معًا وبذات الكيفية. وذكرت أيضًا عملية قطع محيط الملتحمة في حالة السَّبَل (اللقْط)[(٧٦)] Peritomy of the Pannus، كما ورد ذكر التهاب الجفن التقرُّحي (السُّلاق)[(٧٧)] Ulcerous Blepharitis، وكدمات مقلة العين Eye-ball Contusions الناشئة عن السقطة والضربة، كما ذكر العُشَاء Night-blindness والماء Cataract. ووردت أيضًا طريقة فحص حدقة العين للتأكد من إمكانية أو استحالة إجراء عملية جراحية (قَدْح) لإزالة الماء.

ويلي ذلك ذكرُ علاج لظلمة البصر (الغمش) Amblyopia وفقًا لما أورده ابن ماسويه في رسالته «دغل العين»، وهي أقدم رسالة عربية وصلت إلينا في طب العيون. يلي ذلك علاجُ الغَرَب (ناصور الآماق) Lachrymal Fistula، والنَتوّ Proptosis، والجحوظ[(٧٨)] Exophthalmus، والشعر المنقلب (الشعرة) Trichiasis، وانتثار الأشفار (الهُدُب) Falling of the Lashes،

---

(٧٤) البياض: كثافة ذات أبيض، تصيب القرنية، وسببها (علتها) ناتج عن تأثير البثور. انظر: ابن طفيل (الفيلسوف)، «أرجوزة في أمراض العين»، تحقيق ودراسة الطبيب محمود الحاج قاسم محمد، ضمن **دورية المورد**، المجلد ١٤، عدد ٣، بغداد، ١٩٨٥م: ١٥٥. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٧٥) الظَّفرَة: تعريفها اللغوي جليدة (تصغير جلدة)، تغشي العين من الجانب الذي يلي الأنف، وتكون بيضاء اللون، أو حمراء لكثرة أوعيتها الدموية، وأحيانًا صفراء، خاصة لدى طاعني السن، وتصيب في العادة الأشخاص الذين يتعرضون للأجواء الملوثة بالغبار والدخان. انظر: المصدر السابق: ١٥٧. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٧٦) اللقْط: السقط هي الأجسام الغريبة التي تدخل في العين، أما اللقط فهو كيفية التقاط هذه الأجسام، من جفن العين، ويتوقف ذلك على حجم الشيء الساقط. انظر: المصدر السابق: ١٦٣. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٧٧) السُّلاق: هو نوع من أنواع الحكة في الأجفان، التي تكون مصحوبة باحمرار، وينتج عنه زيادة في إفراز الدموع. والحكة ناتجة عن حساسية شديدة وإحساس بفرك العين. انظر: المصدر السابق: ١٦٤. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٧٨) الجحوظ: هو بروز أو نتوء حدقة العين، ويكون في معظمه راجع لعيب خِلقي، وإما لسبب طبي. انظر المصدر السابق: ١٦٦. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

وقُمَّل الأجفان Phthiriasis؛ أما العلاجات الموصوفة فهي تسير على النهج الذي أرساه حنين بن إسحاق(٧٩).

الباب التاسع

في أمراض الأذن

وهو باب موجز يتناول سيلان المِدَّة من الأذن Otorrhoea، والطرش Deafness، ودخول الماء في الأذن؛ أما العلاجات فهي توافق ما ذهب إليه جالينوس في كتابه «الميامير».

الباب العاشر

في أمراض الأنـف

يُستهل الباب باقتباس من جالينوس في تفسيره لطيماوس عن الروائح Odours، وعِلّات إبطال الشم، والرُّعاف(٨٠) (النزيف) Hemorrhage، واختلاف حاسة الشم(٨١)، والبواسير Haemorrhoids؛ أي النزيف المتكرر، والأورام كثيرة الأرجل Polypi في الأنف.

(٧٩) انظر: **كتاب العشر مقالات في العين**؛ المنسوب إلى حنين بن إسحاق، تحقيق ماكس مايرهوف، القاهرة، ١٩٢٨م. (هامش النص الأصلي.)

(٨٠) الرُّعاف: هو انتفاخ (انفجار) عرق ساكن، أو شريان في الدماغ، بسبب إما من البدن إثر ضربة على الرأس، أو من داخل البدن؛ لعنف في الشريان، أو زيادة كمية الدم المتدفقة في الشريان. انظر: إبراهيم بن أبي سعيد اللائي، **المنهج في التداوي من جميع الأمراض والشكاوى**: ٥٠١. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٨١) أخطأ مايرهوف في ترجمة عنوان الفصل: «في تغير رائحة الأنف»، وهو ما يعني الأسباب التي تؤدي إلى انبعاث رائحة كريهة من الأنف؛ فظن أن الفصل يعالج تغير حاسة الشم، وهو ما لم يرد ذكره على الإطلاق في الفصل المذكور. راجع: **كتاب الذخيرة في الطب**، ثابت بن قرة، تحقيق الدكتور جورجي صبحي، القاهرة، ١٩٢٨م. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)



الباب الحادي عشر

في أمراض الفـم[٨٢]

ويتناول شِقاق الشفة Fissures of the Lips، وأنواع القلاع Glanders، وتورُّم وشلل اللسان، وعلل وتآكل (تسوس) الأسنان وتغير لونها، واسترخاء وناصور اللثة Slackness and Fistula of the Gums، والبَخْر، وسقوط اللهاة، والخوانيق Croup or Diphtheria of the Tonsils، والعَلَق الذي يبتلعه الإنسان فيتعلَّق بالحلق، وهو على ما يبدو أمر شائع حدوثه في بلاد الشرق، وعلاج الغريق. والجدير بالملاحظة في هذا الباب هو وصف الزرنيخ لعلاج تسوس الأسنان[٨٣].

الباب الثاني عشر

في النَّزَلات Catarrhs، والسعال Cough، وسائر أوجاع الصدر والقلب، والسيلان Fluxion من الرأس

وفيه: «ما ينزل من المنخرين يسمى (زكامًا) Coryza، وما ينصبُّ إلى الفم يقال له (النَّزلة) Catarrh، ويكون حدوثه في الجملة عن الدماغ». وتُحدِث هذه الأمراض أورامًا Swellings في الدماغ واللوزتين Tonsils واللهاة Uvula، وكثيرًا ما تكون سببًا لفساد الصدور (أمراض الصدر)، ومنها الدَّرن Phthisis على سبيل المثال. وترد في الباب وَصْفات عديدة، من بينها عصير الخَشْخاش (الأفيون) Poppy-juice لعلاج نفث الدم[٨٤] Haemoptysis.

(٨٢) العنوان الأصلي للباب: «في أمراض الفم وفيه علاج البخر واللهاة والخوانيق، ومن يتخلص من خناق السد، وللغريق إذا تخلص». (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(٨٣) لم يرد أي ذكر لاستخدام الزرنيخ في علاج تآكل الأسنان (تسوس الأسنان) في الباب الحادي عشر لـ «كتاب الذخيرة» في الإصدار الذي بين أيدينا، وهو ذات الإصدار الذي يتناوله مايرهوف بالتحليل في بحثه هذا؛ وإنما ورد استخدام الزرنيخ الأحمر في علاج القلاع الأسود Black Glanders، وضمن وصفة لعلاج فساد اللثة وجلاء الأسنان، وفي سنون (معجون أسنان) Toothpaste ورد عن جالينوس لحفظ صحة الأسنان وجلائها وتنقيتها، وذلك باستخدام الزرنيخ الأحمر والأصفر. وربما اختلط على مايرهوف معنى الأكلة - وهي القرحة - بمعنى التآكل (التأكل) أي التسوس. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(٨٤) بالرجوع إلى ذات الإصدار الذي علَّق عليه مايرهوف وسبقت الإشارة إليه، لم نقع على أي ذكر لاستخدام الخشخاش (الأفيون)

أما الرَّبو Asthma فيرجعه ثابت بن قرة وفق رأيه، واعتمادًا على رأي جالينوس، إلى إفرازاتٍ مخاطية[٨٥] Formation of Mucus واقعة في آلات التنفس Respiratory Tract يصحبها استرخاءٌ في عضلات الصدر، ويلي ذلك استعراضٌ نظريٌّ مسهب لمسبباته الأخرى.

ثم يتعرض الباب للبُحَّة Hoarseness وذات الجَنْب[٨٦] Pleurisy، وذات الرئة[٨٧] Pneumonia، ويلي ذلك وصفٌ للنوبة الصدرية[٨٨] Crisis بعد مرور من أربعة إلى أربعة عشر يومًا[٨٩] وفق ما جاء في كتابَي أبقراط «الأمراض الحادة» *De morbis acutis*، وجالينوس «الأعضاء الآلمة» *De locis affectis*، أما العلاجات فقد جاءت وفقًا لما ذكره يوحنا بن سرابيون وجالينوس.

ثم يتناول الباب آلام الصدر (الحزحزة[٩٠]) التي كثيًرا ما تصاحب هذه الأمراض. أما نفث الدم، والتنخع، والتنحنح Expectoration فمن الصعب أحيانًا تمييزها عن القيء الدموي[٩١].

لعلاج نفث الدم في هذا الباب على الإطلاق؛ وإنما اقترن استخدام الأفيون بعلاج النـزلة (ص٥٥)، وعلاج السعال (ص٥٧). أما علاجات خروج الدم بالسعال، ونفث الدم، فقد وردت في هذا الباب (ص٥٩)، و(ص٦٢) على الترتيب دون ذكر لاستخدام عصير الخشخاش المذكور. (مراجعة د. محمد يسري سلامة.)

(٨٥) (رطوبات غليظة) في الأصل. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(٨٦) ذات الجَنْب: ورم حار في نواحي الصدر، إما العضلات الباطنة، أو في الحجاب المستبطن للصدر، وإما في الحجاب الحاجز، وهو الخاص، أو في العضلات الظاهرة أو الخارجة، وأشد هذه الأورام خطورة هو ما كان في الحجاب الحاجز نفسه. انظر: العلائي، المصدر السابق: ٥٠١. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٨٧) ذات الرئة: ورم رئوي أسبابه عديدة. انظر: المصدر السابق: ٥٠١. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٨٨) (نوايب) في الأصل، ومفردها نائبة. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(٨٩) جاء ذكر تلك الفترة الزمنية في سياق نوايب (نوبات) مرض ذات الجنب (التهاب الجنبة) دون غيره من العلل، ورجع فيها ثابت إلى كتاب أبقراط (الفصول)، وذلك على خلاف ما أورده مايرهوف في بحثه هذا. ولم يأتِ ذكر المدة الزمنية المذكورة في بحث مايرهوف في سياق آلام الصدر (الحزحزة)، والتي استشهد ثابت في شأنها بكتاب أبقراط «الأمراض الحادة»، وكتاب جالينوس «الأعضاء الآلمة» المذكورين في بحثه. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(٩٠) هذه الكلمة لم ترد في المسرد الملحق أو في المعاجم الأوروبية، وجاء في **لسان العرب**، طبعة القاهرة، المجلد السابع، (ص٢٠٠): حزّ، حَزازَة، حُزاز، حَزحَزة، تعبر عن وجع قاطع أو ضاغط في القلب أو في الصدر. (هامش النص الأصلي.)
ذكر الدكتور جورجي صبحي لفظ «الحزاز» في (ص١٢) من المسرد ثنائي اللغة الملحق بكتاب الذخيرة بمعنى نبات الأشنة أو المرض الجلدي Lichen، وليس بمعنى آلام الصدر التي يشير إليها مايرهوف. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)
الحزحزة: ألم (مرض) يحدث في الرأس واللحية. انظر: المصدر السابق: ٤٩٩. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٩١) لعل هذا هو رأي مايرهوف، ولكن الثابت في «كتاب الذخيرة» (ص٦٢) هو أن الفصل المعنون: «في نفث الدم وخروجه من الفم بالقيء والتنخع والتنحنح»، قد فرَّق بوضوح بين أنواع نفث الدم من حيث: المصدر، والمظهر، والعلاج الموصوف في خصوص كل حالة، ولم يرد في الفصل المذكور أي ذكر أو خلط بين تلك الأنواع. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)



ثم ينتقل إلى الصوت والكلام والعلاج من العوارض فيه، ويورد الوصف التشريحي للعصب الراجع *Nervus recurrens*، ولآلات الكلام Organs of Speech، وأسباب البحة وعلاجاتها.

كما ذكر الباب بخصوص السُّلّ Phthisis أنه «علة تحدث في الأكثر في الأبدان التي هي مستعدة من أول تركيبها لحدوث ذلك فيها، وهي التي صدورها ضيقة في الخلقة، وأكتافها ناتئة كالأجنحة، عارية من اللحم، ويقال لهم المجنحون Wing-shaped؛ وهم طوال الأعناق، وحناجرهم جاحظة Prominent... وقد تحدث هذه العلة عن ذات الجَنْب، وذات الرئة، وورم الصدر، والحجاب، والرئة». وينصح بصفة عامة بسقي اللبن Milk Diet فيما عدا حالة الحمى؛ حيث يُنصح فيها بماء الشعير Barley-decoction. ويُحظَر على كلِّ مَن يعاني السلَّ التعرض للإجهاد.

في أوجاع القلب

وتتسم أمراض القلب بالخَفَقان Palpitation الناتج عن امتلاء القلب Repletion من الدم، أو لورمٍ في حجاب القلب[٩٢] Pericardium. فإن كان الورم حارًّا فإنه يؤول إلى موت سريع. وإن كان الورم غليظًا صلبًا يحدث عنه الغَثْيُ القلبي Disturbance of the Heart، ورطوبة محتبسة في الغشاء المحيط بالقلب Dropsy of the Pericardium. ويغلب على العلاجات الموصوفة استعمال القرعيات Cucurbitaceae لإدرار البول، ومرهم الشمع الأبيض Wax-plaster المسمى قيروطي[٩٣].

---

(٩٢) التامور. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(٩٣) القيروطي: هو الشمع المذاب مع الدهن (خليط الشموع والدهن مذابًا). انظر: المصدر السابق: ١٢٧. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

الباب الثالث عشر
في أوجاع المعدة

ويشتمل على مقدمة في تشريح المعدة، تتفق في أغلبها مع ما ذهب إليه جالينوس، كما يذكر الأعصاب قرب فؤاد المعدة Cardia والأغشية العضلية لقاع المعدة. ويلي ذلك وصفاتٌ لعلاج عسر الهضم الناتج عن المزاج الحار أو البارد، وبخاصة تلك التي قام بتركيبها منكة[٩٤] الهندي Manka (وهو الذي ذاع صيته بين العرب، وكان لفترة من الزمن الطبيبَ الخاصَّ للخليفة العباسي هارون الرشيد). وتعرف هذه التركيبة باسم وصفة الجاويذاني Javidani Composition، وتتألف من أدوية كثيرة منفردة معظمها هندي وصيني وفارسي؛ حيث تتكون أساسًا من ١٩٩ دواءً أحصاها الأقرباذين، وهي لفظة سُريانية - عربية أُطلقت على دستور الأدوية Pharmacopoeia الخاص ببدر الدين القلانِسي[٩٥]، وفقًا لما أشار إليه الدكتور جورجي صبحي في هامشه. ويلي ذلك سردٌ لأعراضٍ مختلفة: كالخفقان المعدي Throbbing، والنُّفخة Flatulence، والفواق Hiccup، والشهوة الكلبية Canine Appetite، والعلة المعروفة بقطى[٩٦]، ونقصان شهوة الطعام Loss of Appetite، والتهوُّع Nausea، والقيء Vomiting، والجشاء[٩٧] Eructations، والمغص Colics، وشهوة الطين وأكله. وثمة اقتباسات من أقوال جالينوس في أصل وعلاج القيء المفرط وفقًا لكتابه «حيلة البرء».

---

(٩٤) منكة: أو كنكة بحسب ابن القفطي، أشهر مؤلفاته الطبية التي ذاع صيتها في الحضارة العربية الإسلامية هما: كتاب النوادر في الأعمار، وكتاب أسرار المواليد. انظر: ابن القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**: ١٧٤-١٧٥. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٩٥) بدر الدين القلانسي (توفي ٥٦٠هـ/ ١١٧٧م تقريبًا). انظر: الدكتور محمد زهير ابابا، جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، دمشق ١٩٨٣م. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٩٦) القطى: داءٌ في العَجُز (المعجم المحيط). (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

بقطي: أو بطي؛ هو الشق، وهو نوعان، طبيعي محمود وصناعي باستخدام المبضع، ويجوز التعويل عليه، شريطة نضج المادة (اكتمال تجمع الدم والصديد داخل الأورام والدمامل). انظر: الرهاوي، **أدب الطبيب**، مصدر سابق: ٢٤٦. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(٩٧) هو التجشؤ. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)



الباب الرابع عشر

في أنواع القُولَنْج (Colics κωλικὴ) والديدان المتولِّدة في البطن

بعد عرض مقتضب لتشريح الأمعاء Intestines، يأتي وصف لأربعة أنواع من العلل، ويتبع ذلك وصفات عديدة، بعضها مأخوذ عن حنين بن إسحاق.

ثم يصف باستفاضة أعراض الإيلاوس[٩٨] Ileus[٩٩]، وهو القيء البرازي Stercoraceous Vomiting الناجم عن الانسداد المعوي.

ومن بين أنواع الديدان المذكورة: الديدان الشريطية (الحيات) Tape-worms، وحَبُّ القرع، وهو على الأرجح الأسَلات[١٠٠] Proglottides الخاصة بالديدان الشريطية Taenia، ثم يشرح ثابت ابن قرة التولُّد (التلقائي) للديدان الشريطية داخل الأمعاء بسبب الأغذية المنتِنة.

الباب الخامس عشر

في أنواع الاختلاف Diarrhea[١٠١] وفي الهيضة Dysentery[١٠٢]

ويورد ثابت وصفاتٍ وحِمياتٍ غذائية وفقًا لحنين وابن ماسويه، وغيرهما.

---

(٩٨) هو العلّوص أي انسداد الأمعاء. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(٩٩) الكلمة اليونانية εἰλεὸς تعني: «ربِّ ارحم!». وبناءً على ذلك، فإنني أعتقد أن تسمية المرض المعروف في القرون الوسطى باسم Miserere تنطبق على هذا المرض [حيث إن تلك التسمية تحمل المعنى ذاته باللغة اللاتينية]. (هامش النص الأصلي.)

(١٠٠) الأسلات هي أجزاء منفصلة أو شبه منفصلة من الديدان الشريطية تحمل أعضاء التكاثر. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٠١) الاختلاف هو الإسهال. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٠٢) الهيضة والسحج بمعنى الزحار أو الدسنتاريا. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

الباب السادس عشر

في أمراض الكبد والطحال، وأنواع اليرقان Jaundice، وأنواع الاستسقاء Dropsy، وإدرار العرق Diaphoretics وحبسه

وقد جاء هذا الباب موافقًا جالينوس في بعضه، كما وردت فيه وصفات تنسب إحداها إلى ثياذوق[١٠٣] Thiyadhuq (ثيودوكُس Theodokos؟ أو ثيودوتُس Theodotos؟)، وهو طبيب ممارس من أطباء العصر الإسلامي المبكر[١٠٤].

ويعد ثابت علةَ اليرقان[١٠٥] - وفقًا لما جاء به جالينوس - وسيلةً دفاعية يلجأ إليها الجسم لدفع حادثة أَلَمَّت به، خاصة في حالة تعرض الأشخاص للتسمم، ثم يعرض بعد ذلك لطبيعة عمل الصفراء. كما يورد أن اليرقان المصاحب للالتهاب الكبدي Hepatitis، إذا ما حدث في الحميّات Feverish Diseases، فهو عرض خطير إذا وقع قبل اليوم السابع؛ أما إذا وقع بعد اليوم الرابع عشر (يوم البحران)[١٠٦] The Crisis فهو نذير خير. وعلامة تشخيص المرض هي البول اليرقاني Icteric Urine، أما العلاجات فتغلب عليها المسهِّلات Laxatives.

---

(١٠٣) في الأصل (بنادوق)، راجع (ص٩٨) من «كتاب الذخيرة». ولقد ذُكر اسم هذا الطبيب في مراجع علمية عربية منها «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» لابن البيطار، و«الحاوي في الطب» للرازي. ونظن أن مايرهوف لم يقع على ترجمة «بنادوق»، فظنه ثياذوق، أو (تيادوق) في المراجع العربية، وهو طبيب الحجاج بن يوسف الثقفي وكان مسيحيًّا سريانيًّا؛ أو لعل لفظة «بنادوق» هي إحدى تلك التصحيفات التي أشار مايرهوف إلى وجودها في نشرة جورجي صبحي لـ «كتاب الذخيرة». (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٠٤) قيل إنه كان طبيب الحجاج بن يوسف الثقفي (٦٦١-٧١٤م)؛ رجل الدولة الخطير في عصر بني أمية، وكان يحظى بكامل ثقة ذلك الوزير الذي عُرف بالبطش وإثارة الرعب في النفوس. ويذكر ابن أبي أصيبعة في شيء من الإسهاب طرفًا من النوادر والأقوال المأثورة عن ثياذوق الطبيب، المجلد الأول: ١٢١-١٢٢؛ لوكليرك، مج. ١: ٨٢ وما بعدها. (هامش النص الأصلي.)

(١٠٥) اليرقان هو داء الصفراء. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٠٦) يوم البحران: ربط الأحداث على الأرض - ومنها العلل والأمراض - بدورة القمر في السماء. ويوم البحران هو يوم ١٤ في الشهر العربي، ومعروف باكتمال ضوء القمر، ويصبح في أوجه في ذلك اليوم، ونستطيع أن نستدل بعلامات فلكية أسماها العرب والمسلمون (القرانات) أي اقتران العلة والمرض بالفلك. انظر: الحسن بن بهلول (عاش أواسط القرن الرابع الهجري/ أوائل القرن الحادي عشر الميلادي). انظر: **الدلائل**، الدكتور يوسف حبي، مراجعة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٩٨٧م: ٣٦٨. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)



داء الاستسقاء Dropsy، ويحدث في الأكثر بسبب اعتلال الكبد، ويعد نفث الرطوبات الغليظة اللزجة Frothy Expectoration من النُّذُر الوخيمة للمرض. كما يحتوي الباب على ذكر لأنواع الاستسقاء المختلفة؛ وهي الاستسقاء اللحمي Fleshy Dropsy في النساء، ويكون مصحوبًا(١٠٧) باحتباس الطمث Retention of the Menses، وأوجاع الأرحام؛ والاستسقاء الطبلي Tympanic وقد وصفه من قبلُ أبقراط وجالينوس. أما العلاج، فبالحِمْيَة وخاصة تلك التي تحتوي على الفواكه، ومُدِرَّات البول Diuretics (كما ذكرت وصفة تنسب إلى يوسف الساهر(١٠٨)، وهو أحد الأطباء المعاصرين لحنين بن إسحاق، الذين عاشوا في القرن التاسع الميلادي)؛ ويختتم الفصل بفقرة عن مُدِرَّات العرق Diaphoretics.

الباب السابع عشر

في أمراض الكُلَى Kidneys والمثانة Bladder والجهاز التناسلي الذكري Male Genitals وأوجاع المِقْعَدَة Anus

ويصف تولُّد الحصاة الناجم عن تكثيف الأغذية Condensing Aliments وفقًا لكتاب أبقراط(١٠٩) «في الأهوية والبلدان» Deaere, Locis etc، ولا يقتصر الوصف على الحصوات التي تتولد في الجهاز البولي فحسب Uropoietic System، بل يتناول أيضًا تلك التي تتكون في الكبد، والمصران الأعور Caecum، والقولون Colon، وفي المفاصل. ثم يتناول التحرز من تولد الحصاة

(١٠٧) في الأصل: «النوع اللحمي الحادث عن احتباس الطمث وأوجاع الأرحام»، وليس الذي يصاحبه احتباس الطمث وأوجاع الأرحام كما ذكر مايرهوف. انظر: **كتاب الذخيرة**: ١٠٢. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٠٨) في الأصل (السامير)، ولم أقف على ترجمة له أو أقع على أثر من آثاره. ولعل ذلك من الأخطاء اللغوية التي اشتمل عليها إصدار الدكتور جورجي صبحي، والتي أشار إليها مايرهوف في مبتدأ بحثه. راجع: **كتاب الذخيرة**: ١٠٣. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٠٩) في الأصل: «تفسير جالينوس لكتاب أبقراط المذكور». (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

باتباع الحمية وكل ما يدرُّ البول Diuresis. ويذكر علاجًا وهميًّا ذكره جالينوس، وينص على ارتداء خواتم ومسامير من حديد للحيلولة دون توليد[١١٠] الحصاة[١١١].

ويلي ذلك قسمٌ عن درور البول Polyuria والأسر Retention. أما العثارة[١١٢] Diabetes فقد صنفها كضرب من ضروب العلة المذكورة سلفًا، وهي درور البول، كما عدَّها أيضًا مرضًا من أمراض الكلى. ثم عرض بعد ذلك لتقطير البول Stillicidium، وبولِ الدم Haematuria، وأرجعهما إلى ضعف الكلى أو لوجود دوالٍ Varicocele في إحدى الكليتين؛ ثم يعرض بعدها لبول المِدَّة Pyoid Urine الناتج عن قروح Ulcers في آلات البول[١١٣] Uropoietic System.

وبعد معالجة مقتضبة للصلابة Swellings والأورام Tumors في الجهاز التناسلي، تناول ثابت الأنواع المختلفة للقيْل[١١٤] Hernia: ومنها قيلة الماء Hydrocele، وقيلة الريح[١١٥] Aerocele؛ وأخيرًا يعرض لنَزيف المقعدة Hemorrhage from the Anus، والبواسير Hemorrhoids، والنواصير Fistula، والشقاق Fissures؛ والباب يُستكمل بصفحات عديدة ملأى بالوصفات الطبية.

(١١٠) جاء في الأصل: «قال الفاضل جالينوس: ينبغي أن يكون في يد صاحب الحصاة خاتم من حديد وفي رجله خُفٌّ فيه مسامير من حديد، فإنه يفتت الحصاة ويخرجه قليلًا قليلًا حتى ينقَّى ولا يعود بعدها البتة»، والرواية كما هو واضح لا تتناول الحيلولة دون تكون الحصاة فحسب، بل هي علاج لإخراج الحصوات من الجسم وعدم تولدها تارةً أخرى. (مراجعة د. محمد يسري سلامة.)

(١١١) بالنسبة للمهتمين بدراسة الأقرباذين اليوناني – العربي، فإن القسم السابق ذكره متاح في ترجمة دي كونينج De Koning لمقالة «في الحصى والكلى والمثانة» لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي، التي صدرت في لايدن، ١٨٩٦م: ٧٩-٩١. (هامش النص الأصلي.)

(١١٢) أي مرض السكر (السكري)، وذكره ثابت باسم «ديابيطس». (مراجعة د. محمد يسري سلامة.)

(١١٣) آلات البول: المقصود بها عضو التذكير عند الرجل (القضيب) وعضو التأنيث عند المرأة (المهبل)، ولم يذكر الرب والمسلمون ذلك كنوع من أنواع ممارسة الحياء، ومن الخطأ الاعتقاد بأن الكلى والمثانة تدخل في هذا المفهوم الضمني (آلات البول)، ولكن المقصود بها آلة الرجل وآلة المرأة.

(١١٤) أخطأ مايرهوف في ترجمة «القيل» بلفظة Hernia الإنجليزية، التي تعني الفتاق، في حين أن القيل يعني التكيُّس Sacculation والتورم والتجمع، كما يتضح من سياق الفقرة. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١١٥) أي القيلة الهوائية. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)



الباب الثامن عشر

في أمراض النساء وعلاج السمنة Obesity

ويتناول اختناق الأرحام Atresia of the Uterus، وسعي الأرحام Misplacements of the Uterus، واضطرابات إفراز المني والطمث Disturbances of Menses. ومن بين العلاجات الموصوفة التي تسترعي الانتباه: أيارج روفوس؛ الطبيب السكندري الشهير، وأقراص البرمكي Barmecid Pastiles، وهذا الاسم الأخير ربما أُطلق على اسم فرد من أسرة البرامكة، وهم من الوزراء النافذين الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي في بغداد؛ أو أنها قد وُصِفت لإحدى نساء الحريم الخاص بهذه الأسرة من الوزراء بواسطة أحد أطباء القصر العباسي، الذي كان يحمل اسم البرمكي.

وترد أيضًا بالباب فقرة على جانب خطير من الأهمية بالنسبة لأهل الشرق، تعالج أسباب الحبل Pregnancy وانقطاعه Sterility؛ حيث يتبوأ مذهب الأمزجة الرطبة واليابسة(١١٦) Doctrine of Dry and Wet Tempers دورًا بارزًا في هذا السياق. ويسوق الباب كذلك برهانًا مبتكرًا للغاية Original Proof لإثبات العقم، وهو برهان لا يزال قيد الاستعمال حتى يومنا هذا في عدد من البلدان الغربية والشرقية؛ فالزوج والزوجة يتعين عليهما أن يبولا على أصلة(١١٧) قرع Pumpkin أو خس Lettuce؛ فإذا يبست إحداهما، وقعت الإدانة على مصدر العقم! وتناول الباب أيضًا أورام الأرحام (الرِّجا)(١١٨) التي قد تثير أعراض الحمل نفسها، وتؤدي إلى حدوث الاستسقاء Ascites.

(١١٦) الأمزجة الرطبة واليابسة: المقصود بذلك نظرية الأخلاط الأربعة وانعكاساتها على المفاهيم الفلسفية والمصطلحات الطبية. والأخلاط الأربعة هي: الدم، والبلغم، والمِرة السوداء، والصفراء. والمرة السوداء الأمشاج. ونظرية الأخلاط هذه قد بُنيت على الاعتقاد بأن الأشياء تتكون من أربعة عناصر رئيسة (الأستقصات الأربعة)؛ وهي: الماء والهواء والتراب والنار، والجسم الإنساني مزيج متناسب من هذه العناصر، امتزجت امتزاجًا متقنًا في الكيفية والكمية، فكانت هذه حالة الاختلاط والانصهار (الامتزاج)، لكن إذا زاد أحد العناصر الأربعة أو نقص لم يدخل في الاختلاط والامتزاج ببقية العناصر الأخرى، حدثت العلل والأمراض. انظر: جورج سارتون، **تاريخ العلم**، المجلد الثاني، ترجمة لفيف من العلماء، سلسلة ميراث الترجمة، رقم ١٧٤١، المجلس الأعلى للثقافة، المركز القومي للترجمة: ٤٩ وما بعدها. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١١٧) أي شتلة Nursery Plant. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١١٨) هذه الكلمة تخلو منها المعاجم. (هامش النص الأصلي.)

ثم يعرض بإيجاز لعسر الولادة Difficult Birth، وإخراج الجنين Miscarriage، وعلل الثدي وآلامه Diseases of the Teats، واضطرابات إدرار لبن المرضع Disturbances in Lactation، ويتبع ذلك عديد من الوصفات العلاجية. وفي نهاية الباب، يفرد فقرة عن علاج السمنة عند النساء، وهي أيضًا تتألف في معظمها من وصفات تحتوي على تركيبات دوائية متعددة المكونات.

الباب التاسع عشر

في النِّقرس Gout وعرق النَّسا Sciatica

وفيه أن النقرس يحدث نتيجة الإفراط في الطعام والشراب، وتناول الأطعمة غير المناسبة، والجماع الخارج عن الاعتدال، والسكون الدائم، وقلة الرياضة. وينتج عن كل هذه الأسباب كثرة تولد الفضلات في المفاصل الطرفية باليدين والقدمين. ويتمثل العلاج في اتباع الحمية النباتية، والتريُّض، وحسن الاستمراء بالكثير من العلاجات «الملينة». أما عرق النَّسا فينتج تبعًا لذلك من انصباب فضول البدن في العروق الوِركية Sciatic Nerves، وينصح فيه بالعلاجين: الجزئي موضِعيًّا والشامل كُليًّا.

نميل إلى أن «الرجا» مصحَّفةٌ عن «الرَّحا» والتي تعني في «لسان العرب» مادة (رحا): «ابن الأعرابي: الرَّحى من الأرض مكانٌ مستدير غَليظٌ يكون بين رِمالٍ. قال ابن شميل: الرَّحا القارَّة الضَّخْمة الغليظة، وإنما رحَّاها اسْتِدارَتُها وغِلَظُها وإشْرافُها على ما حولها، وأنها أَكَمَةٌ مستديرة مُشْرِفَة ولا تَنْقادُ على وَجْهِ الأَرضِ ولا تُنْبِتُ بَقْلًا ولا شَجَرًا»، وقد يكون التصحيف من خطأ ناسخ أو هفوة ناشر؛ بيد أن دلالات لفظة «الرحا» تتوافق مع الوصف الذي أورده ثابت في هذا الباب للورم الرحمي المشار إليه: «الرجا يحدث عن ورم جاس [قاسٍ] يتولد فيجتمع بين صفاقات [جدران] الرحم أو رياح باردة وغليظة تحتقن هناك. فإن لم يبادر بعلاجه أدى إلى الاستسقاء. ويعرض في هذه العلة أعراض الحَبَل كلها إلا الحركة فإنها لا تعرض كما يعرض الجنين من ذاته حركة بل إذا حرك باليد انتقل من موضع إلى موضع». إذن فالأعراض هي ورم قاسٍ بين جدران الرحم قد يؤدي إلى تكون تكيسات Ascites، ويتسبب في أعراض شبيهة بأعراض الحمل من ثقل، وامتلاء، ومشاكل في التبول، وهي أعراض تنطبق في مجملها على الورم الليفي داخل جدار الرحم Intramural Fibroid وهو من الأورام الحميدة. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)



الباب العشرون

في أمراض اليدين والقدمين[١١٩]

وفيه وصف واضح للعِرق المـَدِينيّ Dracunculus، أو ما يعرف بالدودة المدينية Medina-worm، والمعروفة اليوم باسم الدودة الغينية Guinea-worm، جاء فيه: «وتحدث هذه العلة في الأكثر في البلدان الحارة القشفة... ويكون خروجه الأكثر في الساقين. ويحدث للعضو الذي يخرج منه في أول الأمر حرقة Hot وتلهُّب Inflamed ثم يتنفط منه مكان A Spot Becomes Inflated، ويبدأ العرق بالخروج». أما العلاج فيواجَه بالحمية والعلاجات: «فعندما يظهر يلف العرق على قصبة أُسْرُب[١٢٠] Tube of Lead أخف ما يقدر عليه، ويتعاهد أن لا ينقطع فيتلص فيخرج منه في موضع آخر...».

العلل الرئيسة للأظافير: الداحس[١٢١] Onychia، وأسنان الفأر Splitting up of the Nails، والشقاق في العقب Fissures of the Feet، وحفظ الأطراف Blisters من الخصر The Sole، والعثرة Swellings Caused by Stumbling، والثآليل Warts، والعقد Callosities، والقرون Corns، توصف كعلل تصيب القدمين واليدين، ويوصف العلاج بغسولات ومراهم.

(١١٩) العنوان الأصلي للباب هو «العرق المديني والثآليل وعلل الأظافير والداحس والعثرة والعقد التي تعرض عن ضغط الخف والشقاق في اليدين والرجلين». راجع: **كتاب الذخيرة**. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٢٠) أخطأ مايرهوف بترجمة لفظة «أسّرب» إلى الرصاص؛ حيث إن الرصاص يعني «الأُسْرُب» دون تشديد الراء وفقًا لمعجم «لسان العرب» مادة (سرب): «الأُسْرُبُ والأُسْرُبُّ الرَّصاصُ، أَعْجَمِـيٌّ، وهو في الأَصْل سُرْب»، والمعنى الذي يقصده ثابت هو في ذات المادة: «ومنه حديث عليٍّ: إِني لأُسَرِّبُه عليه أي أُرْسِلُه قِطْعةً قِطْعةً»؛ أي إن المقصود هو استخراج الدودة جزءًا جزءًا عن طريق لفها بخفة ودقة على عود طويل للحيلولة دون انقطاعها حتى يتم الشفاء التام للمريض. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٢١) الداحس: ورم مع سخونة وحرارة والتهاب في أصول أظفار يبلغ مداه وألمه الإبط، وربما جلب الحُمَّى، وأسقط الظُّفر. انظر: إبراهيم بن أبي سعيد العلائي، **المنجح في التداوي من جميع الأمراض والشكاوى**: ٥٠١. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

الباب الحادي والعشرون

في الأمراض الجلدية[١٢٢]

ويتناول بالوصف والأسباب والعلاج - وفقًا لجالينوس في كتاب «الأعضاء الآلمة» - العللَ التالية: الحَكَّة Itch، الجَرَب Scap، الماشرا (سريانية) Erysipelas (وهي الحُمْرة في العربية)، وكذلك يتناول علاجَ القروح الرَّطبة Moist Ulcers، والدمامل Boils، والخُرّاجات Abscesses، وفقًا لأبقراط، ثم يذكر الأسباب والعلاجات الخاصة بالشرى الكبار والصغار Small and Large Blotches، والحصف Prickly Heat في البلدان الحارة.

الباب الثاني والعشرون

في الأورام الخبيثة Tumors والحميدة Swellings والحروق Scalds[١٢٣]

وترد فيه اقتباسات مطولة من جالينوس في الأورام الخبيثة والحميدة، بعضها من كتابيه «رسالة إلى أغلوقن» و«حيلة البرء». ويلي ذلك شروحٌ وعلاجات للعلل التالي ذكرها: الأوذيما Oedema، والسقيروس Scirrhus (والمرضان مذكوران باسميهما اليونانيين فحسب)، والأورام الحارة[١٢٤] Cancer، والخنازير Scrofula، والسلع Hard Tumors (ربما كانت الأورام الليفية Fibroma)، والدبيلات Cystic Tumors؛ أي الدبيلة الشحمية Tallow Cysts، والدبيلة العسلية Honeycomb Cysts، والدبيلة العصيدية Pultaceous Cysts، ثم ينتقل إلى ذكر الحروق.

---

(١٢٢) العنوان الأصلي للباب: «في أنواع الحكة والجرب والماشرا». (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٢٣) العنوان الأصلي للباب: «في جملة الأورام الحارة والباردة من الرطبة واليابسة والسلع والدبيلات وحرق النار والماء». (مراجعة د. محمد يسري سلامة.)

(١٢٤) أي أمراض السرطان. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)



الباب الثالث والعشرون

في الجذام Leprosy والبرص Vitiligo(١٢٥)

إن وصف هذه الأمراض ليس واضحًا تمامًا في هذا الباب الذي يحتوي على ذكر الصورة المشوَّهة Mutilating Form للجذام. ويُلاحَظ أن لفظة «جذام» العربية تقابلها لفظة λέπρα اليونانية؛ في حين أن البهق الأبيض والأسود يقابلهما باليونانية ἀλφός (صورة ألطف من مرض الجذام، أو نوع من أنواع السعفة Tinea)، أما البَرَص فيقابله باليونانية كلمة λευκή، ثم يعرض بعد ذلك لمسبِّبات Etiology تلك العلل والعلاجات الموصوفة لها وفقًا لما ورد بكتاب جالينوس «رسالة إلى أغلوقن».

الباب الرابع والعشرون

في الجروح Wounds والرضوض Contusions(١٢٦)

ويعرض فيه لجروح الرأس (الشجاج)، وقذف الدم Ecchymosis، كما يصف علاجات لسُلِّ الزَّج Points of Arrows والشوك Thorns، وهي في معظمها مراهم وضمادات Plasters.

(١٢٥) العنوان الأصلي للباب: «في الجذام والبهق الأبيض والأسود». (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٢٦) العنوان الأصلي للباب: «في الجراحات والشجاج وقذف الدم منها ومن غير الجراحات وما يسل الزج والشوك». (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

الباب الخامس والعشرون

في السموم Poisons[١٢٧]

وفيه مقالة لتصنيف السموم[١٢٨] المختلفة، التي تنتقل بالطرق التالية:

- عن طريق العضّ Bite: سُمُّ الحيوان كالناس والكلاب.
- عن طريق النهش: سُمُّ الحيات والأفاعي Snakes and Adders.
- عن طريق اللسع Stings: سُمُّ الجرارات Yellow Scorpions والعقارب والزنبور Hornets والرُّتيلا Mygale-spider[١٢٩] .
- عن طريق الشرب: سُمُّ النباتات والأحجار المعدنية مثل البيش[١٣٠] Aconite والهَلهَل[١٣١] .Cobwebs
- عن طريق الشم Smell: الأنواع المختلفة للسنبل Nard.

(١٢٧) العنوان الأصلي للباب: «في السموم الملسوعة والمشروبة». (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٢٨) السموم: يقول محمد بن أحمد التميمي (المقدسي وهو من رجال القرن الرابع الهجري/ الحادي عشر قبل الميلاد): «هناك ترياق يُبطِل السم ويمنع ضرره عن النفوس إذا شُرِب، وتولى تركيب (تأليفه) هذا الترياق لملوك الهند حكيمهم شاناق». انظر: المقدسي، **مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتَحَرُّرِ من ضَرَرِ الأوباء**، تحقيق ودراسة الدكتور يحيى شعار، معهد المخطوطات العربية. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٢٩) الرتيلا: جنس من الهوام؛ وهو نوع من العناكب. انظر: الزهراوي (أبو القاسم)، المقالة الثلاثون من كتاب: التعريف لمن عجز عن التأليف، **كتاب الزهراوي في الطب لعمل الجراحين**، تحقيق ودراسة الدكتور محمد ياسر زكور، تدقيق لغوي الدكتور محمد هاشم زكور، وزارة الثقافة السورية، مديرية إحياء ونشر التراث العربي، سلسلة ١٧٠، دمشق، ٢٠٠٩م: ٧٥٦. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٣٠) البيش: نبات جذره مُعمر يشبه اللفت مسود من الخارج ساقه حشيشية، ارتفاعها لا يزيد على قدمين، وأزهاره بنفسجية كبيرة جميلة المنظر، ينبت في القمم الجبلية الشاهقة وفي الأماكن الرطبة الظليلة. انظر: الدكتور حازم الصديقي، **فهرس الأدوية المفردة النباتية والمعدنية الواردة في كتاب المنصوري في الطب لأبي بكر الرازي**: ٢٩٥. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٣١) أخطأ مايرهوف في ترجمة «الهلهل» بنسيج العنكبوت Cobwebs، «فالهلهل هو السم القاتل، وهو معرب، قال الأزهري ليس كل سم قاتل يسمى هلهلًا، ولكن الهلهل سم من السموم بعينه قاتل: وليس بعربي وأراه هنديًّا»، **لسان العرب**، ابن منظور: ٦٠٤٥. (مراجعة د. محمد يسري سلامة.)



- عن طريق الابتلاع Through the Mouth: بعض أجزاء السنابل، ويُطلق عليها الإسريق، أو بالعربية قرون السنبل(١٣٢)، وتشبه العود القماري (الصَّبّار الكمبودي) Cambodian Aloes-Wood.

ويوجد سمٌّ آخر قوي ذو تركيب معدني(١٣٣) يشبه المرجان Coral (ويسمى البسذ(١٣٤) بالفارسية)، كما يوجد نوع آخر يسمى(١٣٥) الكلاكوت(١٣٦)، وهو يشبه بصيلة السُّعد Bulb of Cyperus.

- سموم تعمل على انحلال أنسجة جسم الإنسان مثل الخربق(١٣٧) Helleborus والذراريح(١٣٨) Spanish Flies(١٣٩) والأرنب البحري(١٤٠) Marine Hare.

ويلي ذلك فقرة عن تركيب السموم (باستخدام الزئبق Mercury، والنوشادر Ammoniac، والبلاذر(١٤١) Belladonna وغيرها من العناصر)، ثم يورد وصفًا للأعراض وعلاجات للأنواع

(١٣٢) كلمة إسريق ربما يكون مصدرها التسمية اليونانية «σήρικον» الحرير، أو السريانية «سيرقا» الخُطّاف، أما التسمية «قماري» أو «خمير» فهي الاسم القديم لكمبوديا. (هامش النص الأصلي.)

(١٣٣) في الأصل (سم حجري). راجع: **كتاب الذخيرة**: ١٤٣. (مراجعة د. محمد يسري سلامة.)

(١٣٤) البسذ: أو البسد؛ نبات شجري بحري كلس التركيب والقوام كثير الفروع والأغصان، ينبت ويتكاثر داخل المياه في بعض البحار. وهو المعروف باسم «المرجان». وإذا ما خرج من الماء ولامس الهواء اشتد قوامه وتصلب، وأصبح كالحجر الصلب. انظر: المصدر السابق: ٢٩٤. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٣٥) لا نميل إلى أن لفظة «كلاكوت» فارسية كما ذهب مايرهوف؛ حيث إنها ليست مما اشتملت عليه المعاجم الفارسية من ألفاظ، إنما نذهب إلى أنها هندية الأصل لوجود مدينة اشتهرت منذ القدم بتصدير البهارات والأعشاب بولاية كيرالا الهندية، وتدعى مدينة «كلاكوت» Calacut، ونظن أن هذا السم المجلوب منها قد نسب إليها. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٣٦) الكلمة على الأرجح فارسية الأصل، ولم أتمكن من تحديد دلالتها. (هامش النص الأصلي.)

(١٣٧) الخربق: مفردة من أصل يوناني ومعناه الدواء القاتل. وهو نبات عشبي سام، له عدة أنواع تحمل جميعها اسم الخربق وإن اختلفت الصفات، وأشهر هذه الأنواع الأسود والأبيض والأخضر والمشرقي. انظر: المصدر السابق: ٣٠١. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٣٨) النص المطبوع يورده خطأً «داراريج»، أي الديك الأسود Heath-Cock أو الدراج Francolin. (هامش النص الأصلي.)

(١٣٩) الذراريح: «هي دُوَيْبّات حَمْراءُ مُنَقَّطَةٌ بسَوادٍ، تَطيرُ وهي من السُّموم»، **القاموس المحيط**، مادة (ذرح). ولقد أصاب مايرهوف في تعيينها، غير أن الناسخ في الفصل المعنون «في سقي الذراريح» قد أتقن نسخها بخلاف ما ذكره مايرهوف في تعليقه التالي. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٤٠) ويُعرف عند ديوسقوريدس وجالينوس باسم «λαγωὸς θαλάσσιος»، و«ἀπλυσία»، وهو قوقع بحري غير ضار، واسمه العلمي Aplysia Depilans، وكان يعتقد قديمًا وفي العصور الوسطى أنه سامٌّ، وأنه يتسبب في سقوط الشعر، وفي نزيف يؤدي إلى تحلل الكلى والكبد. (هامش النص الأصلي.)

(١٤١) البلاذر: هي شجرة حمراء اللون تميل إلى السواد القليل، وفي داخل لحاء هذا الشجر عصارة أشبه بلون الدم، يؤتى به من الصين،

المختلفة من العَضّات واللسعات السامة. وإضافةً إلى ما سبق، يشير الباب إلى لسعة قملة النسر Vulturine louse (ويطلق عليها بالسريانية طيموخا[١٤٢])، وعضة الذئب الكَلِب Bite of the Mad Wolf، وهي أخطر من عضة الكلب الكَلِب.

في الجزء التالي، يناقش ثابت بن قرة بشيء من الاستفاضة طرق إبطال السموم المشروبة، فيذكر الذراريح Cantharides، والمرداسنج[١٤٣] Litharge، والزرنيخ[١٤٤] Arsenic المستخدم كسُمٍّ للفئران Ratsbane، و(النورة) المستخدمة لإزالة الشعر Depilatory، واللفاح[١٤٥] Mandragora-fruits، والبنج Hyoscyamus، والدفلي[١٤٦] Hyoscyamus، والعطر Aromatics، والكماه[١٤٧] Mushrooms التي تسبب خنقًا؛ ويلي ذلك ترياق يابس Dry Theriac θηριακὴ لكلِّ أنواع السموم، ووصفاتٌ لطرد الحشرات السامة Venomous Insects (الهوام) من الدور والمنازل. وبعض هذه الوصفات المذكورة تتألف من مكونات معدنية مثل الكبريت Sulphur، وبعضها

يفيد في الاسترخاء والنوم حتى النسيان. انظر: ابن البيطار، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، الجزء الأول: ١١٣. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٤٢) لا يوجد ذكر لها في أي عمل من أعمال العرب في الصيدلة أو علم الحيوان؛ إلا أن الدميري (القرن الرابع عشر الميلادي) يذكر فقط نوعًا صغيرًا من «القمل المجنح» Winged Lice يشبه القُرّاد الصغير Ticks، ولا يزال التعرف على ماهية هذا النوع أمرًا عسيرًا. (هامش النص الأصلي.)

(١٤٣) المرداسنج: اسم مُعرب ومعناه «الحجر المحرق جدًّا»، وقد سماه ابن البيطار «المرتك». وفي علم الكيمياء يدعونه أول أكسيد الرصاص. انظر: الدكتور حازم بكري الصديقي: المصدر السابق: ٣٢٣. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٤٤) الزرنيخ: وله ألوان كثيرة، ويدخل في تبييض النحاس، ويُذهب بالرائحة المنتنة، وهو أصبر في النار أثناء الاحتراق، فلا يحترق بسرعة، وإذا خُبِ بزيت زِدُهن يستخدم في علاج التقرحات الصديدية المزمنة. انظر: ابن البيطار، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، الجزء الثاني: ١٦٠-١٦١. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٤٥) اللفاح: ثمر للنبات المعروف باسم اليبروح، ثماره عطرية الرائحة، بحجم ثمرة المشمش، لحمية القوام، ذات عطرة طيبة، وطعمها حريف، لذلك سماها أهل الشام «تفاح الجن». انظر: الدكتور حازم بكري الصديقي، المصدر السابق: ٣٢٢. وهو من الأدوية التي تُنقص وتقلل نمو اللحم. انظر: أمادور دياث غارسيا، **الكتاب المستعيني لابن بكلارش: أول كتاب مجدول في الأدوية المفردة في الأندلس**، المؤتمر العالمي للطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١م: ٣٢٨. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٤٦) أوراق الدفلي Oleander Nerium تحتوي على ثلاثة سموم غليكوزيدية، لها تأثير في القلب مشابه لتأثير زهر الكشاتبين Digitalis. (هامش النص الأصلي.)

(١٤٧) الكمأة: هي فطر ينبت أسفل طبقة مغطاة بالرمال في الأماكن الصحراوية التي يكثر فيها نزول الندى والبرد. الرملية منها تُسمى الخلنجية، يُكتحل بها لتقوية طبقات العين، واليابسة منها تزيل بياض العين. انظر: إبراهيم بن أبي سعيد العلائي، المصدر السابق: ١٩٤. و«الكمأة من المن وماؤها دواء للعين». انظر: الدكتور المعتز المرزوقي، **أبحاث العالمي للطب الإسلامي**، الكويت، ١٩٨١م: ٤١٢ وما بعدها. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)



عبارة عن مواد صمغية Resins مثل الزفت الرومي (القار)، وبعضها مواد نباتية مثل الباذاورد ἄκανθα λευκὴ، وهو ضرب من النباتات الشوكية Thistle وفقًا لديسقوريدس.

الباب السادس والعشرون

في الحُمِّيات Fevers والجدري Small-pox والحصبة Measles والحميات الغشيية Unconsciousness (مصحوبة أو غير مصحوبة بالدُّوار)[١٤٨]

يعد هذا الباب أطول أبواب هذا الكتاب، أما محتوياته فهي مقتبسة في جزء منها من كتابات الأقدمين، وبعضها الآخر مأخوذ عن كتابات لاحقة، والملاحظ أن الباب يزخر بالمصطلحات اليونانية.

ويرد اقتباس في مستهل الباب من كتاب جالينوس «حيلة البرء»، وترد فيه أقوال عامة عن الحميات؛ حيث يورد الحميات البسيطة Simple Fevers، مثل حمى اليوم الواحد Ephemeral Fever، وحمى الدق Hectic Fever، والحمى العفنية Putrid Fever، وجميعها ينقسم إلى أقسام فرعية يبلغ عددها من ثلاثة إلى عشرة تقسيمات فرعية؛ وهي الحمى الغِبيّة Tertian (المتكررة كل ثلاثة أيام)، والحمى الرِّبعية Quartan (المتكررة كل أربعة أيام)، والحمى البلغمية Phlegmatic، وأنواع أخرى للحُمَّى تم تناولها في الجزء التالي. أما الحمى المركبة Compound أو المعقدة Complicated فتنقسم إلى أكثر من ثلاثين نوعًا.

ويلي ذلك عرض للمسبِّبات والعلاجات بحسب نوع الحمى؛ فحُمَّى الدق[١٤٩] على سبيل المثال يمكن أن تصبح مزمنة Chronic وتؤدي إلى الذبول Marasmus. ونافض الغِبّ (الرَّعْدَة)

(١٤٨) العنوان الأصلي للباب هو: «في الحميات والجدري والحصبة والحميات الغشيية وقطع العرق وسائر أنواع الغشى». (م.ط.). (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٤٩) أورد الناسخ في النص خطأً لفظة «أقطيفوس» كمقابل للفظة اليونانية «ἑκτικὸς». (هامش النص الأصلي.)

Tertian Ague قد تكون (خالصة) Complete متى كانت نوبتها من ٢٤ إلى ٣٠ ساعة[١٥٠]، أو تكون غير خالصة Incomplete (يقابلها باليونانية لفظة νόθος τριταῖος) متى كانت نوبتها لا تتعدى ١٢ ساعة.

أما السرسام[١٥١] Phrenitis، ويقابله باليونانية لفظة فرانيطس φρενίτις πυρετὸς فتصاحبه حُمى مطبقة، وصداع، وحمرة في العينين، وجفافٌ وخشونة في اللسان، وخَدَرٌ فيه.

والسرسام البارد Cold Phrenitis، ويقابلها باليونانية لفظة ليثرغس λήθαργος πυρετὸς، لا يصاحبه ارتفاع في درجة الحرارة، ولكن يصاحبه التثاؤب والنسيان.

أما الحمى المحرقة Caustic Fever، ويقابلها باليونانية لفظة καῦσος πυρετὸς فهي التي تشتد غِبًّا؛ في حين أن الحمى المطبقة Continuous Fever، ويقابلها باليونانية لفظة (σύνοχος πυρετὸς)؛ فتندرج تحتها ثلاثة أنواع: حمى الرِّبع Quartan Ague، وتمكث نوبتها أربعًا وعشرين ساعة، وتستغرق ثمانيًا وأربعين ساعة.

والحمى البلغمية الناعبة[١٥٢] συνεχὴς φλεγματικὸς Mucous Intermittent Fever التي وصفها جالينوس، وحمى شطر الغِبّ ἡμιτριταῖος πυρετὸς Semitertian ague، واسمها اليوناني مشتق بالقياس على اللفظة اليونانية لاسم البغل؛ أي إنها تعني شطر الحمار ἡμίονος[١٥٣]. أما الحميات التي تأتي في أعقاب الأورام، فهي تورث عفن الدم، Putrefied Blood، وذلك إذا تعفن في العضو الذي تنصبُّ إليه الحرارة، ويصل هذا العفن إلى القلب.

ثم يلي ذلك فقرات عن البحران Crisis والنبض Pulse والبول Urine وفقًا لما ورد عن جالينوس.

---

(١٥٠) المذكور هنا يخالف الأصل الذي ينص على أن نوبة حمى الغب تمكث اثنتي عشرة ساعة، ومدتها، وفترتها ست وثلاثون ساعة، وأدوارها سبعة. راجع: **كتاب الذخيرة**: ١٥٣. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٥١) السرسام: ورم في حجاب الدماغ تنتج عنه حُمى دائمة، وتتبعها أعراض رديئة كالسهر وعدم القدرة على النوم واختلاط الأمور على الذهن. انظر: المصدر السابق: ٥٠٢. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٥٢) إن لفظة «بلغم» العربية ما هي إلا تحريف للكلمة اليونانية «φλέγμα»، وفي النص يوجد عنوان آخر لهذه الفقرة: «في درور العز»؛ وربما كان هذا من خطأ الناسخ، فكتبه على الصورة المذكورة بدلًا من درور الذنين (انسياب المخاط) أو أي اسم شبيه له. (هامش النص الأصلي.)

(١٥٣) الألفاظ اليونانية مطموسة في النص الأصلي. (هامش النص الأصلي.)



وأهم جزء في هذا الباب هو الفقرة التي تعالج مرضى الجدري والحصبة؛ حيث إنه يبدو سابقًا على الوصف التقليدي الشهير للرازي. فالجدري لم يكن معروفًا لأطباء اليونان العظام، وربما كان أول مَن وصفه هم الأطباء الهلينستيون[١٥٤] أو السريان[١٥٥] المتأخرون، ولذا فسوف أُورد ترجمةً حرفية للشطر الأول من هذه الفقرة:

«الجدري والحصبة: وعلامة هاتين العلتين حمى حادة مطبقة مع امتلاء في النبض، وانتفاخ الوجه والأصداغ والأوداج وخشونة في الحلق، وحلاوة في الفم، وسيلان الدموع، والأنف، ووجع شديد في المفاصل، والظهر. وشرّ أنواع الجدري: الأسود، والأخضر، والبنفسجي، وبعدها الأصفر. وبعد ذلك الأبيض الرصاصي الذي يذهب عرضًا ويتصل بعضه ببعض. وخير أنواعه الأحمر المستدير وخاصة إذا ظهر في الثالث ولانت الحمى».

والعلاج عامٌّ بالنسبة لكافة أنواع الحميات، وموضعي فيما يتعلق بالعيون على وجه الخصوص لحمايتها من خطر انفجار القرنية. وينتهي الفصل بمقالة في الحميات الغشيية[١٥٦]، والعشى العارضة في سائر الأمراض وفقًا لكتاب جالينوس «رسالة إلى أغلوقن».

(١٥٤) الهلينستيون: الهلينية Hellenismus ومعناها على طراز اليونان وطريقتهم، والهلينستية تجهل قدر المستطاع ذاتية وخصوصية الأمم (القومية) واستقلال بعضها عن بعض، وتضع مكان ذلك الإنسانية التي تسود فيها المساواة، وتغذيها ثقافة علمية واحدة، أما المصطلح نفسه فيرجع إلى التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ودراسات لكبار المستشرقين، مرجع سابق: ٤. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٥٥) ربما كان الوصف للكاهن وكبير الأطباء هارون السكندري. انظر: G. Sarton's *Introduction to the History of Science*, Vol. I: 479. (هامش النص الأصلي.)

(١٥٦) في الأصل (العشيية). (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

الباب السابع والعشرون

في صفة حدوث الوباء Plague وأيامه وفصول الأوقات Climatic Conditions التي تثيره[١٥٧]

ويقتفى فيه أثر جالينوس في كتابه «في الحميات» *De diff. febrium*، ويفرق فيه بين أنواع الأمراض من حيث كونها «مَوْتَان» Pandemic ووافدة Epidemic وبلدية Endemic، كما يوصي بالتدابير الغذائية والعلاجات للعصمة Prophylaxis.

الباب الثامن والعشرون

في الكسر Fractures والخلع Luxations والسقطات Distortions وكل أنواع الوَثْي[١٥٨] Dislocations

وفيه وصف لعلاجات عامة وأخرى مسكنة للآلام، وفيه أيضًا وصفات لمحلِّلات[١٥٩] Emollients الصلابة Sclerosis والدشابذ[١٦٠] Callus لعلاج الانحرافات[١٦١] والكسور.

(١٥٧) العنوان الأصلي للباب هو: «في صفة حدوث الوباء وأيامه وفصول الأوقات والعلاج منها بما يؤمن غائلتها». (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٥٨) الوثي: زوال زائدة العظم عن موضعها زوال غير تام، وهو يشبه الفسخ في المفصل، وعلامته أن يُرى في المفصل تقعير قليل، ونتوء من الجانب الآخر المقابل للتقعير. مع تمكن المفصل من بعد الحركات. انظر: إبراهيم بن أبي سعيد العلائي، المصدر السابق: ٥٠٧. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٥٩) أي ملينات. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٦٠) هذه اللفظة تخلو منها المعاجم؛ وربما اشتقت من الأصل الفارسي «دُشبِل» أو «دَشبِل»، بمعنى التصلب أو التورم الالتهابي سُلي المنشأ في اللحم Scropula in the Flesh. (هامش النص الأصلي.)
الدشابذ: الدشبذ هو شيء شبيه بالغضروف ينبت عليه وعلى العظم عند انكسارها، وقد يُطلق على شيء ينعقد على الجراحة وليس من جوهر العضو. انظر: المصدر السابق: ٥٠١. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٦١) أي التشوهات. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)



الباب التاسع والعشرون

في صفة طبائع الألبان وماء الجبن Whey ولبن اللبن[(١٦٢)] Sour Milk

ويتناول الألبان واستخدامها كغذاء وكعلاج، وذلك من حيث أنواعها وطرق فحصها. كذلك يتعرض الباب للعلاجات التي يدخل اللبن في تركيبها، وهو يتبع في جزء من ذلك كتاب جالينوس «تدبير الأصحاء».

الباب الثلاثون

في طبائع الأنبذة Wine ومنافعها Use ومضارّها[(١٦٣)]

ويبحث الباب في خواص النبيذ، وأنواعها، والتدبير في شربها، معتمدًا في الغالب على مؤلفات جالينوس «المزاج»، و«تدبير الأصحاء»، و«حيلة البرء»، و«قوى الأغذية» *De alimentorurn facultatibus*، مع بعض الاقتباسات من كتاب أبقراط «تدبير الأمراض الحادة» *De diaeta acutorum*. ثم يتعرض لعلاج آثار الخُمار Intoxication، ويتبعه بملحق عن الماء وخواصه.

---

(١٦٢) العنوان الأصلي للباب: «صفة طبائع الألبان ومنافعها ومضارها وصفة سقيها وصفة اتخاذ أنواع ماء الجبن لعلة علة ولبن لبن وصفة اتخاذ مخيض البقر وسقيه على وجوهه وألوانه». (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٦٣) العنوان الأصلي للباب: «في طبائع الأنبذة ومنافعها ومضارها والتدبير في شربها والحيلة في دفع ما يعقبه من الضرر وعلاج الخمار». (م.ط.). (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

الباب الحادي والثلاثون

في البــاه Sexual Intercourse[١٦٤]

ويتعرض لأسباب وعلاج قلة الرغبة في الجماع Concupiscence، والضعف الجنسي Debility، ويبرهن العدد الكبير للوصفات العلاجية التي وردت على أهمية هذا الموضوع بالنسبة للمرضى في بلاد الشرق. ويختتم الباب والكتاب بالكامل بفقرة عن علاج الإمذاء[١٦٥] Pollutions، وبذكر وسيلة لمنع الحمل، أشار بها الممارس العربي الأشهر الحارث بن كَلَدة[١٦٦]، وهو ممن عاصروا النبيَّ محمدًا.

كما ذُكرت الأمراض الناشئة عن الجراحة Surgical Diseases في أبواب عدة من «كتاب الذخيرة في الطب»؛ غير أن علاجها دوائيٌّ صرف.

لقد كان ثابت بن قرة من كبار الأطباء، ولعلها كانت عادة زمانه أن يُعهد بالعلاج الجراحي في أغلب الأحيان إلى أيدي جراحي الطبقة الأدنى، والمجبِّرين Bone-setters، والحلَّاقين Barbers. وأما الطبقة الوحيدة من رجالات الطب التي كانت تحظى بتقدير الجميع، على الرغم من اضطلاعها بإجراء العمليات الجراحية، فهي طبقة الكحّالين Oculists؛ فجميع الأطباء العرب الذين طبقت شهرتهم الآفاق من أمثال الرازي Rhazes، وابن سينا Avicenna، وابن رشد[١٦٧] Averroes، وابن زُهر[١٦٨] Avenzoar، وابن ميمون[١٦٩] Maimonides؛ كانوا يأنَفون من ممارسة النشاط الجراحي، ولعلّ أبا القاسم الزهراوي Abulcasis كان الاستثناءَ الوحيد الذي خرج على تلك القاعدة.

---

(١٦٤) العنوان الأصلي للباب: «في الباه والزيادة فيها»، والباه النكاح، **لسان العرب**، مادة (بوه)؛ **القاموس المحيط**، انظر «البوهة»، كما تعني الكلمة الفحولة الجنسية. (مُراجع طبي: د. محمد يسري سلامة.)

(١٦٥) الإمذاء: من المذي وكلاهما من الوَدْي عبارة عن خروج ما يشبه السائل المنوي من القضيب (آلة الرجل). ولكل حالة من الاثنتين ظروف خاصة. فكما يذكر معجم مختار الصحاح أن الودي هو «ما يخرج بعد البول». انظر: **معجم مختار الصحاح**، عني بترتيبه محمود خاطر بك، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، مادة (ودي): ٧١٥. وهذا الأمر يعد مرضًا من الأمراض. أما المذي (الإمذاء) فهو خروج ما يشبه السائل المنوي من الرجل بتأثير الغريزة. وهذا هو المقصود. (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)

(١٦٦) الحارث بن كلدة: أشهر أطباء العرب في الجاهلية، تلقى علومه الطبية في مدرسة جنديسابور الفارسية، أدرك زمن سيدنا محمد ﷺ، وزمن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان.

(١٦٧) ابن رشد (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م – ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م).

(١٦٨) ابن زُهر (٥٠٧هـ/ ١١١٣م – ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م).

(١٦٩) ابن ميمون (٥١٦هـ/ ١١٣٥م – ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م). (مُراجع علمي: أ. د. أحمد عزب.)



ومما آسَفُ له أن ضيق المساحة يحول بيني وبين التعرض إلى صناعة العقاقير، التي تعد أهم ما اشتمل عليه «كتاب الذخيرة». فالكتاب يذكر كثيرًا من العقاقير النادرة بأسمائها اليونانية والفارسية، بل والسريانية في بعض الأحيان، هذا بالإضافة إلى احتواء المؤلَّف على عدة وصفات مجهولة لتركيبات دوائية تستحق البحث (انظر تحليل هـ. ليمان Lehmann المدرج بالتعليق الهامشي الثاني للصفحة رقم ٢).

وبأي حال من الأحوال، فإنني أعتقد أنه يتعين على كلِّ من يُقبل على دراسة تطور الطب اليوناني - العربي من العلماء أن يضع نصب عينيه «كتاب الذخيرة في الطب» لثابت بن قرة؛ بوصفه واحدًا من أقدم المؤلفات الطبية العربية التي وضعها ثابت، أو صُنفت في مدرسته؛ إذ إن ثابت بن قرة يعد واحدًا من أعلى العلماء طبقةً في العالم الإسلامي.

ماكس مايرهوف

القاهرة

صناعة المخطوط وصيانته

دراسة وصفية تحليلية
لخطوط مصحف فاطمة حاضنة باديس
(٤١٠هـ/ ١٠٢٠م)
في ضوء الأوراق المحفوظة في متحف رَقّادة بتونس والمتاحف العالمية

شيماء علاء الفحام(*)

ملخص البحث

هدفت الدراسة إلى الوصول إلى وصف مادي لمصحف الحاضنة، والتوسع في الخطوط المستخدمة في كتابته على نحو خاص؛ حيث استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لخطوط المصحف، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- ما زال عدد كبير من أوراق مصحف الحاضنة مفقودًا.
- يحمل نص الوقفية اسم كاتب المصحف على أنه «عليّ بن أحمد الورّاق»، على يدَي «درّة» الكاتبة، دون تحديد لدورها على وجه الدقة.
- في تتبع أوراق المصحف يظهر لنا تعدد كُتّاب المصحف، رغم التزام قاعدة خطية واحدة.

(*) باحثة ماجستير بمعهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.

- تنوعت خطوط مصحف الحاضنة، فكتبت الآيات بالكوفي القيرواني، بخلاف أسماء السور التي كتبت بخط كوفي مخالف، ونصوص الوقفية التي كتبت بخط أقرب للثلث.
- حروف الخط الكوفي القيرواني تخضع لظاهرة التوالد، من المثلث أولًا، وبعضها من بعض ثانيًا.
- تم تقعيد الخط الكوفي القيرواني بصورة مكتملة على يد الخطاط «عامر بن جدّو» بتونس، وقد سبقته محاولات قليلة.

An Analytical and Descriptive Study of the Scripts of Fatima's Qur'an

(410 AH/ 1020 CE)

In Light of the Folios Preserved in Raqqada Museum in Tunisia and International Museums

Shaimaa Alaa El-Fahham(*)

Abstract

The study aims to furnish a codicological description of the *Nurse's Quran* or the Quran of Fatima, the governess of Prince Bādīs (410 AH–1020 CE), with a special focus on its scripts. By employing an analytical and descriptive methodology, the following results are concluded:

- There are many folios of the *Nurse's Quran* that are still missing.
- The colophon of the (waqfiah) deed indicates that the scribe is ʻAlī b. Ahmad Al-Warrāq, and it was executed under the supervision of Durra Al-Kātiba; though her role is not specified.
- The Quran's scripts, though following the same calligraphy rules, are concluded to be written by multiple scribes.

(*) Researcher and MA candidate at the Institute of Arab Research and Studies, Cairo.

- The Quran’s scripts varied; the verses are written in *kairouani kufic*, whereas surah headings are written in another style of kufic. Waqf and ownership statements are written in a style closer to *thuluth*.
- The letters of *kairouani kufic* are developed first by reproduction from the triangle shape, and from each other.
- The rules of the *kairouani kufic* were set entirely by Āmir b. Jdū in Tunisia, with a few attempts preceding him.

التمهيد
الإطار العام للدراسة

المقدمة

يعد مصحف الحاضنة أحد المصاحف المـهمة التي كشفت عنها أعمال الحفظ والعناية بمخطوطات مكتبة جامع القيروان الكبير (جامع عقبة بن نافع)، التي أسفرت عن ظهور مجموعة تسمى بـ «مجموعة القيروان» بعد قرون من كتابتها. تتألف هذه المجموعة من مصاحف عدة ومخطوطات في التفسير والحديث وغيرهما.

وما يميز مصحف الحاضنة عن غيره من المصاحف في مجموعته يرجع إلى الخطوط التي استُخدمت في كتابته؛ وبالأخص الخط الكوفي القيرواني الذي تفرد ببعض السمات المغايرة في أكثر من موضع للكوفي المستخدم في كتابة المصاحف آنذاك.

وحسبما ذُكر في خاتمة المصحف (الكولوفون) فإن هذا المصحف كُتب بطلب من حاضنة المعز بن باديس سنة أربعمائة وعشر من الهجرة الموافق لسنة ألف وعشرين من الميلاد؛ أي منذ نحو ألف سنة تقريبًا. كتبه وذهَّبه وسفَّره وجلَّده عليٌّ بن أحمد الوراق بإشراف من «درة» الكاتبة دون تحديد لدورها بدقة. كُتب هذا المصحف على الرَّقِّ، باستخدام الحبر الأسود والأصباغ التي ظهرت في ضبط الحروف على طريقة الخليل بن أحمد الفراهيدي. واستُخدم التذهيب في تأطير عناوين السور وعدد من الوحدات الزخرفية المنفصلة. واتخذت أوراقه القطع الأفقي.

ورغم تعهده بالعناية والحفظ في صندوق خشبي خاص نُقش عليه جزءٌ من الوقفية، فقد تعرَّض للتخريب؛ فتلاشتْ أوراقُه ولم يبقَ كاملًا بعدها! وأُودع ما بقي منه في المكتبة الوطنية بتونس إلى أن تُعُهِّد بالرعاية مرة أخرى ورُمِّم في مخبر برَقّادة (قرب القيروان). وما زالت أوراقه المفقودة تَظهر يومًا بعد يوم في بقاع متفرقة بين متحف المتروبوليتان في الولايات المتحدة الأمريكية والدنمارك وغيرها من المجموعات والمتاحف، ولم تُحصر جميع أوراقه في مكتبة واحدة أو قاعدة بيانات مجمَّعة لها إلى الآن.

كانت بداية ميلاد «الخط القيرواني» من خلال هذا المصحف، ثم ها هو في الفترة الأخيرة يفرض نفسه على الساحة البحثية، فيصبح «مصحف الحاضنة» مرجعًا أصيلًا يُنهل منه قواعد الخط القيرواني، ويعد شاهدًا على تفرد بلاد المغرب بسمت خاص في فنونها ومصاحفها. وما زال هذا المرجع يحظى باهتمام ودراسات عدة حتى في ظل التقدم التكنولوجي بين دراسة واقتباس.

وقد اهتمت الباحثة في هذا البحث بدراسة خطوط مصحف الحاضنة دراسة وصفية تحليلية، تتناول وصف المخطوط المادي ووصف خطوطه خاصة، وتحليل سمات هذه الخطوط، ومن ثم الإشارة إلى الإفادة منها من خلال تقعيدها والاستناد إليها كجزء من التراث المغربي الذي يتجه المغرب العربي اليوم لإحيائه.

أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث فيما يلي:

١- تأتي هذه الدراسة استكمالًا لما بدأه الباحثون في دراسة مصحف الحاضنة، وهي دراسات قليلة جدًّا، اقتصرت في الأغلب على جانب التوثيق أو الوصف المادي غير المكتمل للمصحف.

٢- في إطار علم الباحثة، فإن هذه الدراسة من أولى الدراسات المدوَّنة التي تتناول مصحف الحاضنة من جانب الباليوجرافيا، فقد اهتم الباحثون بالإشارة لهذا الجانب عَرَضًا أو أثناء إلقاء المحاضرات دون تدوين شامل.

٣- قد تفيد هذه الدراسة كلًّا من: المشتغلين في علم تطور الخطوط (الباليوجرافيا)، والباحثين في دور المرأة في كتابة المصاحف في العصر الصنهاجي بالقيروان، بدءًا من «درة» الكاتبة، وانتهاءً إلى حاضنة المعز بن باديس التي أمرت بكتابة المصحف، كما أنها قد تفيد الباحثين في موضوع الحِرفيين وصناعة الكتاب العربي؛ حيث يمثِّل هذا المصحف نموذجًا لحِرفيٍّ جمع بين وظائف عدة؛ النساخة والتسفير والتذهيب والتجليد، وهو «علي بن أحمد الورّاق»، الذي يعد ظاهرة تستحق الدراسة بتتبع المخطوطات التي عمل على صناعتها.



منهجية البحث

تعتمد هذه الدراسة على منهج أساسي، وهو المنهج الوصفي التحليلي، وفقًا لما تقتضيه طبيعة البحث، التي يوصف من خلالها خطوط المصحف.

إجراءات البحث

أولًا: الاطلاع على الدراسات والبحوث السابقة المتعلقة بمصحف الحاضنة، والمتعلقة بالوصف الكوديكولوجي للمصاحف عامة؛ للإفادة منها في إعداد الإطار النظري وأدوات البحث.

ثانيًا: الاطلاع على بعض الأوراق المتاحة من مصحف الحاضنة من خلال مراسلة المتحف الوطني الإسلامي برَقّادة - تونس، ومن خلال مجموعات المتاحف، والمجموعات المعروضة في المزادات العالمية، في محاولة لحصر أكبر عدد ممكن من الأوراق المنسوبة للمصحف.

ثالثًا: تقوم الباحثة بدراسة أوراق مصحف الحاضنة وخطوطه، دراسة وصفية تحليلية من خلال المشاهدات والدراسات التي اطلعت عليها.

الدراسات السابقة

١- دراسة (عبيد طارق، ٢٠٠٦)، وهي بعنوان «الأبعاد التشكيلية والجمالية لصورة الحرف العربي: مصحف الحاضنة نموذجًا».

وقد اقتصرت هذه الدراسة على الجانب التشكيلي والجمالي للخط الكوفي القيرواني المستخدم في خطّ آي المصحف. فبدأ بعرض عام للمخطوط وتاريخ كتابته، ثم انتقل إلى نشأة الخط الكوفي القيرواني وتطوره، ومن ثم بدأ في ذكر الأبعاد التشكيلية والجمالية للخط الكوفي القيرواني.

وانتهى إلى أن بحثه هذا «ضرب من ضروب الحركة التي تهفو إلى التراث لا لتحلَّ فيه بل لتكشف عن خباياه» حسب تعبيره؛ وأن هذه الدراسة تهدف إلى قراءة جديدة لمصحف الحاضنة ليس من أجل تقييم خطوطه وإنما من أجل الاقتراب منها وإحيائها من جديد.



٢- دراسة (المنجي عمّار، ٢٠١٠)، بعنوان «الخط الكوفي القيرواني في مصحف الحاضنة».

تهدف الدراسة إلى عرض لحروف الخط الكوفي القيرواني، وطريقة كتابتها، وسماتها التي تميزها عن الخطوط الكوفية التي كانت تُكتب بها المصاحف آنذاك. فعرض الباحث تأريخ مصحف الحاضنة، ثم شرع في وصف الحروف الأبجدية وطريقة كتابتها من خلال المصحف، بدايةً من حرف الألف إلى حرف الياء.

٣- دراسة باللغة الإنجليزية (لسهام جانوني Sihem Lamine Ganoun، سنة ٢٠١٣م)[١]، وهي بعنوان: "*The Qur'an of the Nurse: A Step towards the Invention of Maghribi Script?*".

هدفت هذه الدراسة التابعة لمتحف رقادة بتونس إلى التعرف إلى بعض الأوصاف المادية للمصحف، ومقارنة الكتابات الكوفية - بصورة مجملة - ببعض مصاحف «المجموعة القيروانية»، ودراسة بعض الأشكال المتعددة للحرف الواحد داخل مصحف الحاضنة، مثل (اللام ألف).

وانتهت الباحثة إلى أنه لا يمكن الجزم بأن هذا النمط المغربي للخط الكوفي المكتوب به المصحف قد اختُرع في القيروان في ذلك الوقت، وأن هذا النمط يعد هجينًا بين الخط الكوفي المشرقي اليابس والخط المغربي اللين، وأن هذا المصحف يوضِّح حيوية النصوص والترابط بينها. ولهذا السبب، تحتاج مكتبة القيروان القديمة إلى اهتمام أكثر تعمقًا يقدِّم فرصة نادرة لدراسة مقارنة قد تضيف نظرة جديدة لهذا الفن.

(١) أتوجه بالشكر إلى الأستاذ عبد السلام بجاوي، رئيس الجمعية التونسية للخط العربي؛ إذ أمدَّني بهذه الدراسة.



دور الباحثة في الدراسة الحالية

حاولت الباحثة في هذه الدراسة أن تتعرض لتاريخ المصحف؛ من أجل الوقوف على البيئة التي أدت إلى خروج المصحف بهذه الصورة الفريدة، وأن تتناول قضية بقائه متواريًا إلى أن كُشف عنه في مقصورة ابن باديس بجامع القيروان بتونس، وتناولت كيف تبعثرت أوراق المصحف في أرجاء العالم؛ فمنها ما هو معلوم ومنها ما زال مجهولًا إلى الآن، ومن خلال البحث وُجِدت بعض الأوراق في مواضع لم تتناولها الدراسات السابقة، كموقع سوزبي Sotheby's للمزادات، ومتحف الفن الإسلامي بقطر.

وقد أشارت الدراسة أيضًا إلى الوصف المادي للمصحف، بالاستعانة في ذلك ببعض الدراسات السابقة، والإضافة إليها بشيء من التفصيل والتحليل فيما يخص خطوط المصحف تحديدًا، وتطرقتْ إلى عرض احتمالية تعدد كاتبي المصحف من خلال تحليل الخطوط، ومقارنة بعض صفحات المصحف ببعضها الآخر، ومقارنة أوراق المصحف بمصاحف أخرى في نفس الفترة الزمنية. كما أثبتت الدراسة نظرية توالد حروف الخط الكوفي القيرواني من «المثلث» وبعضها من بعض. كما قارنت الدراسة خطوط مصحف الحاضنة بمصاحف أخرى معاصرة له تحمل بعض سماته، لبيان أوجه الاتفاق والاختلاف فيما بينها. وأخيرًا، تعرضتْ الدراسة لتوثيق محاولات تقنين الخط الكوفي القيرواني المستندة إلى مصحف الحاضنة.

خُطة البحث

قُسم البحث إلى أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: تاريخ مصحف الحاضنة واكتشافه.

ويتكون من العناصر التالية:

- تاريخ مصحف الحاضنة.
- اكتشاف المصحف والدراسات اللاحقة.

ويتفرع عنه:

- الفرع الأول: اكتشاف المصحف.
- الفرع الثاني: الدراسات اللاحقة للاكتشاف.
- الفرع الثالث: مكان الحفظ.

المبحث الثاني: الوصف المادي للمصحف.

ويتكون من العناصر التالية:

- حامل الكتابة.
- أدوات الكتابة.
- نظام الكراسات.
- التسطير وإخراج الصفحة.
- زخرفة المصحف وتذهيبه.
- التجليد.

المبحث الثالث: خطوط مصحف الحاضنة.

ويتكون من العناصر التالية:

- الخط المستعمل في كتابة الآي.

ويتفرع عنه:

- الفرع الأول: نوع الخط وسماته.
- الفرع الثاني: استخدام علامات الإعراب والإعجام.

- خطوط رءوس السور.
- خطوط الوقفية والكولوفون.



- خطوط صندوق التحبيس.
- كاتب المصحف.
- نماذج لمصاحف معاصرة لمصحف الحاضنة.

المبحث الرابع: **تقعيد الخط الكوفي القيرواني من خلال المصحف.**

ويتكون من العناصر التالية:

- محاولات تقعيد الخط الكوفي القيرواني.
- أثر تقعيد الخط الكوفي القيرواني بين حفظ التراث وإحيائه.

الخاتمة: وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول
تاريخ مصحف الحاضنة واكتشافه

تاريخ مصحف الحاضنة

كُتب هذا المصحف بطلب من فاطمة حاضنة المعز بن باديس؛ أحد أمراء بني زيري في الدولة الصنهاجية، الذي تولى الخلافة سنة (٤٠٦هـ/ ١٠١٦م).

وقد حبسته[٢] فاطمة على جامع عقبة بن نافع بالقيروان سنة ٤١٠هـ، ما يوافق ١٠٢٠م تقريبًا. وأودعته في صندوق خشبي خاص حفظًا له، نُحت عليه نص التحبيس، وثبت فيه التاريخ المذكور. وشهد هذا العقد القاضي القيرواني عبد الله بن هاشم كما هو مذكور في نص التحبيس المودع في آخر صفحة من المخطوط.

وبالفعل أُودع المصحف في جامع عقبة بن نافع، وبالتحديد في مقصورة المعز بن باديس، وهي حجرة صغيرة طولها ثمانية أمتار، وعرضها ستة أمتار. تقع هذه الغرفة في قاعة الصلاة بجوار القبلة. وقد استُخدمت هذه الغرفة لتخزين الكتب والمصاحف. وفيها ظلَّ المصحف محفوظًا مع مجموعة أخرى لا تقل قيمة وتميزًا عنه. وقد ازدانت هذه المقصورة بالنقوش والكتابات، واستخدم فيها الخط الكوفي الذي سيظهر خلال البحث اختلافه عن الخطوط المستخدمة داخل مصحف الحاضنة، ويظهر في الصورة اليمنى جزء من الآية الأولى لسورة الجمعة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

(٢) ذلك بأن فتيات القيروان كن يكتبن المصاحف ويزخرفنها ويحبسن على الجامع الأعظم. **دخول المصحف الشريف لإفريقية (تونس) وانتشار الخط العربي حتى القرن ٥هـ**، محمد الصادق عبد اللطيف، التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، عدد ١٤، المغرب، ٢٠٠٠م.







مقصورة ابن باديس[٣].

ورغم هذا الاهتمام بالمصحف، فإنه تعرَّض للتخريب أثناء زحف بني هلال على إفريقيا سنة (٤٤٠هـ/ ١٠٥٠م). وهو إن ظلَّ في صندوقه الخشبي، ولم يفارق جامع القيروان الكبير؛ فإن كثيرًا من أوراقه قد نزعت وفقدت، ولم يبقَ حسب تقدير متحف رقادة إلا نحو ١٣٠٠ ورقة تقريبًا.

اكتشاف المصحف والدراسات اللاحقة

اكتشاف المصحف

ظلَّ المصحف في المقصورة منذ إيداعه ١٠٢٠م تقريبًا، وتعرضه للتخريب بعدها بنحو ثلاثين سنة كما ذكرنا، ثم سُكت عنه ولم يلقَ اهتمامًا إلا حين أتى ذكر مقصورة المعز بن باديس وما تحمله من ذخائر من المخطوطات، وذلك في مقال لمحمد علي بيرم التونسي مأخوذ من خطبة ألقاها باللغة الفرنسية في الجمعية الجغرافية المصرية، ونُشر بعنوان «مدينة القيروان» في جريدة المقتطف المصرية، في أول إبريل ١٨٩٧م الموافق ٢٨ شوال ١٣١٤هـ، بعد ما يقارب تسعمائة عام من تحبيسه.

ذكر محمد بيرم في مقاله حالة المقصورة فيقول: «وفي هذه المقصورة باب يُدخل منه إلى مقصورة أخرى كانت مكتبة لكتب الجامع... وفي هذه المقصورة أيضًا خزانتان كبيرتان مملوءتان برُزم من الورق مربوطة بالحبال والأمراس مختلطة بعضُها ببعض اختلاط الحابل بالنابل، يعلوها الغبار

(٣) مصدر الصورة: https://2u.pw/HTWkQ.



والتراب ونَسْج العنكبوت، وهي كل ما بقي من مكتبة القيروان التي اعتنى سلاطينها بجمعها». وقد وصف لاحقًا صفة هذه الرزم فيقول: «فإن هذه الرزم كلها رقوق من جلد الغزال مكتوبة بالقلم الكوفي بخط جميل، وهي مموهة بالذهب، ومزدانة بأبدع النقوش والألوان، وهي قطع مصاحف قديمة وكتب حديث وفقه مكتوبة كليًّا في القرون الأولى من الهجرة، وقد عبثت بها الأيام فجُمِعتْ في هذه الرُّزم بلا ترتيب ولا نظام....». ولعله مَن سبق كل باحثي هذه المجموعة القيروانية، وذكر صفة خطوطها الخاصة التي تميزها عمَّا سواها في ذلك الوقت فيقول: «ولم أشاهد قط مجموعة كوفية مثل هذه حتى يمكنني أن أحسبها نادرة في بابها»، ويذكر لاحقًا: «ويظهر لي أن كل ما في المكتبة الخديوية من الكتب الكوفية قليل جدًّا بالنسبة إلى ما في جامع القيروان، فإنْ كان في المكتبة الخديوية عشرة مصاحف بالقلم الكوفي ففي تينك الخزانتين مئة»، ويبدو أنها كانت مبالغة منه في العدد لا على سبيل الحصر.

وقد سجل شكواه من هول ما لحق بهذه المكتبة من تلف لدى إدارة الأوقاف التونسية أثناء زيارته. ويبدو أن مقاله كان سببًا في بَدء أعمال الحفظ في المكتبة القديمة بمقصورة ابن باديس في جامع القيروان.

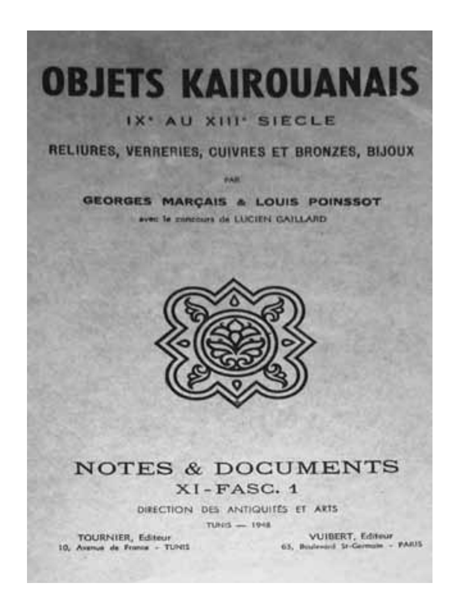
الدراسات اللاحقة للاكتشاف

بعد اكتشاف المجموعة القيروانية، تناولها بالبحث والدراسة بعض العلماء، كان أشهرهم لويس بوينسوت؛ عالم الآثار الفرنسي في دراسته بالتعاون مع جورج مارسيل، ففي سنة (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م) قاما بتفصيل هذه المخطوطات وتقسيمها وفقًا للحجم وحالة الأوراق، وأرسلا أغلفتها إلى متحف باردو، في حين ظلت صفحات المصحف بالقيروان وثيقة تخص متحف رقادة، قامت بها باحثة تدعى سهام لامين جانوني. وقد جُمعت دراستهما (لويس بوينسوت وجورج مارسيل) في كتاب باللغة الفرنسية عنوانه «أغراض قيروانية»[٤].

---

(٤) *Objets kairouanais IX^e au XIII^e siècle*, Georges Marçais & Louis Poinssot, 1948.




OBJETS KAIROUANAIS
IXᵉ AU XIIIᵉ SIECLE
RELIURES, VERRERIES, CUIVRES ET BRONZES, BIJOUX
PAR
GEORGES MARÇAIS & LOUIS POINSSOT
avec le concours de LUCIEN GAILLARD

NOTES & DOCUMENTS
XI-FASC. 1
DIRECTION DES ANTIQUITÉS ET ARTS
TUNIS — 1948
TOURNIER, Editeur
10, Avenue de France - TUNIS
VUIBERT, Editeur
63, Boulevard St-Germain - PARIS

غلاف كتاب «أغراض قيروانية».

مكان الحفظ

وفقًا لما ورد عن «المعهد الوطني لحماية التراث بتونس»، وما أكدته «سهام جانوني» في دراستها؛ فإن عدد أوراق مصحف الحاضنة يصل إلى ٢٩٠٠ ورقة إجمالًا(٥). وكما ذكرنا سلفًا فإنه لم يُعثَر بعد على جميع أوراق المصحف، ولكن يمكننا أن نستعرض ما أمكننا التوصل إليه من هذه الصفحات، كما يلي:

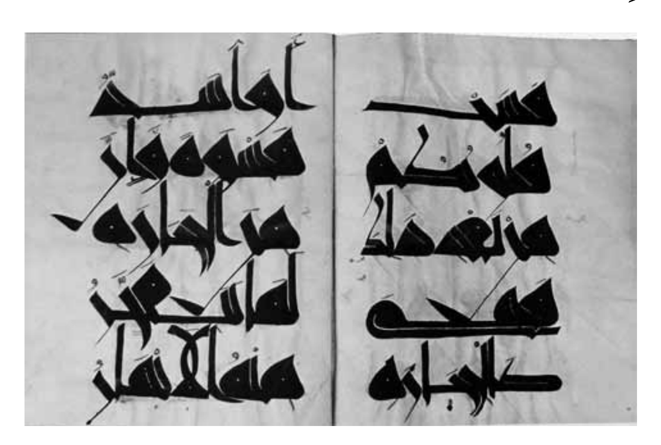
- **المتحف الوطني للفن الإسلامي برَقّادة، تونس:**

بعد اكتشاف مخطوطات المجموعة القيروانية - ومن بينها ما بقي من أوراق مصحف الحاضنة - احتُفظ بالمصحف في المكتبة الوطنية بتونس العاصمة حتى نُقل بعد استقلال تونس (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م) إلى المتحف الوطني للفن الإسلامي في رقادة. وأُحيط بالرعاية والترميم في مخبر أُعدَّ

(٥) ولم يتم التأكد من المقصود بعدد الأوراق؛ هل يُقصد به وجه وظهر أو وجه فقط؟ وإن كان الثاني هو المقصود، فمن المتوقع أن تزداد أوراق المصحف لتصل إلى ضعف العدد المذكور. وتذكر سهام جانوني أن بعض الأوراق ملتصقة بعضها ببعض.

خصّيصًا لإنقاذ الكثير من المخطوطات القيّمة والكتب النادرة، التي نال منها الإهمال والتمزق والتلف وضياع بعض أوراقها، ولم يبقَ منها إلا زُهاء ١٣٠٠ ورقة(٦).

ومن هذه الأوراق الموجودة في المتحف هذه الصورة المكونة من صفحتين مزدوجتين من المصحف؛ تحملان جزءًا من الآية (٧٤) من سورة البقرة، بحيث تحمل الصفحة اليمنى قول الله تعالى: ﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ وتُستكمل الآية في الصفحة التالية: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾.



مصدر الصورة: مجموعة نشرها الخطاط عامر بن جدو.

مكان الحفظ: المتحف الوطني للفن الإسلامي برقادة، تونس.

أما بقية أوراق المصحف فلم نعثر عليها كاملة، وإنما ظهرتْ صفحات منها في بعض المجموعات، منها:

- **المتحف الوطني في باردو، تونس:**

ظهر في صفحة الموقع الخاص بالمتحف الوطني في باردو الصورة الآتية، التي تحمل جزءًا من الآيتين (١٥، ١٦) من سورة الأنفال، وفيها قول الله تعالى: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾.

(٦) «الخط الكوفي القيرواني في مصحف الحاضنة»، المنجي عمار، **مجلة حروف عربية**، العدد السادس والعشرون، السنة الثامنة، ذو القعدة ١٤٣١هـ/ أكتوبر - تشرين الأول ٢٠١٠م.





مصدر الصورة: مجموعة نشرها الخطاط عامر بن جدو(٧). مكان الحفظ: المتحف الوطني بباردو، تونس.

- **كوبنهاجن، الدنمارك The David Collection**:

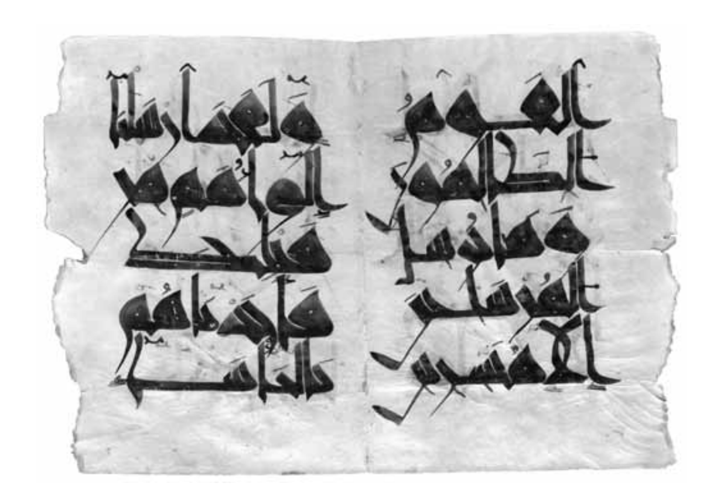
عُرضت هذه الصورة ضمن المجموعة، وتحمل صفحتين متقابلتين من كراسة واحدة، ويلاحظ فيهما عدم تتابع الآيات. وتحمل الصفحة اليمنى قول الله تعالى: ﴿الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ . وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾(٨). ويلاحظ أن الورقة التي تستكمل هذه الآية موجودة في مجموعة متحف المتروبوليتان كما سيأتي. وأما الصفحة اليسرى هنا فتحمل قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ﴾(٩).

---

(٧) وقد نشر موقع المتحف الوطني بباردو هذه الصفحة بجودة مختلفة:
http://www.bardomuseum.tn/index.php?option=com_content&view=article&id=196:coran-de-la-nourrice&catid=47:kariaoun-et-mahdia&Itemid=74&lang=ar.

(٨) من الآيتين (٤٧، ٤٨) من سورة الأنعام.

(٩) من الآية (٤٢) من سورة الأنعام.



مصدر الصورة: بوابة متحف بلا حدود[١٠]. مكان الحفظ: مجموعة ديفيد بكوبنهاجن، الدانمارك.

- **متحف المتروبوليتان، نيويورك:**

يعرض المتحف هاتين الصورتين لوجه لحْمِي وظهر وبَرِي لرقّ داخل إحدى كراسات المصحف. وتحمل الصفحة اليمنى من الصورة الأولى قول الله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[١١]، وتحمل الصفحة اليسرى قوله تعالى: ﴿وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا﴾[١٢]. وتُستكمل هذه الآية في ظهر الورقة، وهو ما توضحه الصورة الثانية التي تبدأ الصفحة اليمنى منها بقول الله تعالى: ﴿هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾[١٣]، أما الصفحة اليسرى منها فتحمل قول الله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾[١٤]. وعلى ترتيب الآيات، فإن هذه الورقة ليست في منتصف الكراسة وإنما نزعت منها.

(١٠) http://islamicart.museumwnf.org/database_item.php?id=object;EPM;dn;Mus21;10;ar.

(١١) من الآية (٤١) من سورة الأنعام.

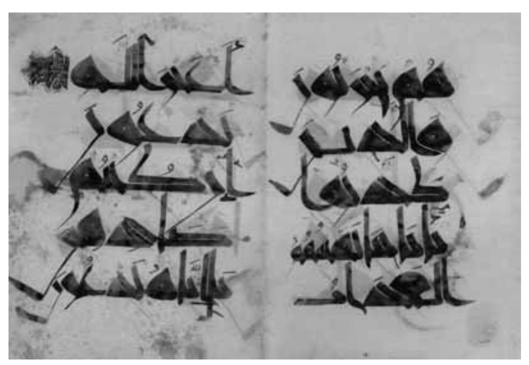
(١٢) من الآية (٤٨) من سورة الأنعام.

(١٣) من الآيتين (٤٨، ٤٩) من سورة الأنعام.

(١٤) من الآيتين (٤٠، ٤١) من سورة الأنعام.







مصدر الصورتين: الموقع الخاص بمتحف المتروبوليتان[١٥].

- **متحف الفن الإسلامي، قطر:**

عُرضت هاتان الصورتان ضمن مجموعة المتحف. وتحمل الصورة الأولى قول الله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ﴾[١٦]. أما الثانية فهي صفحة مزدوجة تآكلت أطرافها؛ تحمل اليمنى منها قول الله تعالى: ﴿[فِي نَارِ جَـ]ـهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. لَا يَـ[زَالُ بُنْيَـ]انُهُم﴾[١٧]. وليست هناك صعوبة في التنبؤ بأول كلمة متآكلة فيها؛ إذ تظهر كاسة

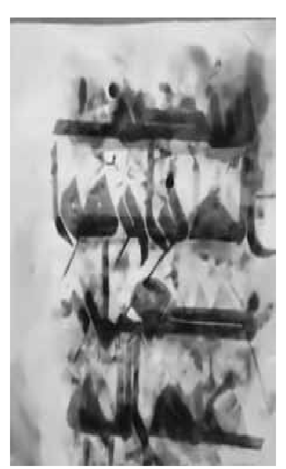
(١٥) https://www.metmuseum.org/ar/art/collection/search/456074.

(١٦) من الآية (١٢٤) من سورة الأنعام.

(١٧) من الآيتين (١٠٩، ١١٠) من سورة التوبة.

الياء في حرف الجر (في) متداخلة مع السطر الثاني. وأما الصفحة اليسرى فتحمل قوله تعالى: ﴿وَآخَرُ[ونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ] اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١٨).

ويظهر من ترتيب الآيات في صفحتي الورقة الثانية أن ذلك هو ظهر الرّق؛ لأن اليسرى تسبق اليمنى في الترتيب، وهو غير متصوَّر إلا إذا كانا صفحتين متقابلتين غير متتابعتين في ظهر الرقّ. وقد ظهرت هذه الورقة في إبريل ٢٠٠٨ في موقع Sotheby's قبل ظهورها في مجموعة المتحف(١٩).




مصدر الصورتين: موقع المتحف(٢٠).

- **موقع سوزبي Sotheby's(٢١) للمزادات:**

يظهر لنا هنا صورتان لوجه صفحة مزدوجة وظهرها؛ وإن كانت متآكلة الأطراف فإن هذا التآكل لم يصل إلى النص المكتوب. وتحمل الصفحة اليمنى من الورقة الأولى قول الله تعالى:

(١٨) الآية (١٠٦) من سورة التوبة.

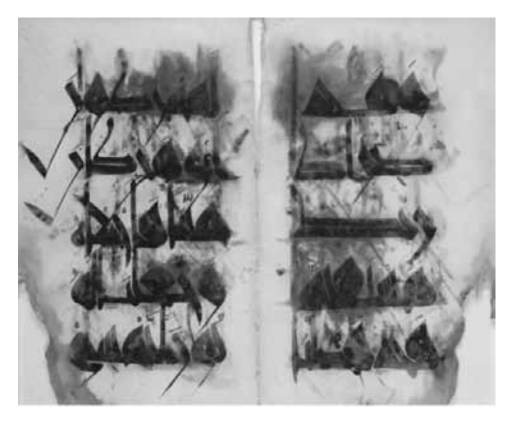
(١٩) http://www.sothebys.com/en/auctions/ecatalogue/2008/arts-of-the-islamic-world-l08220/lot.7.html?locale=en.

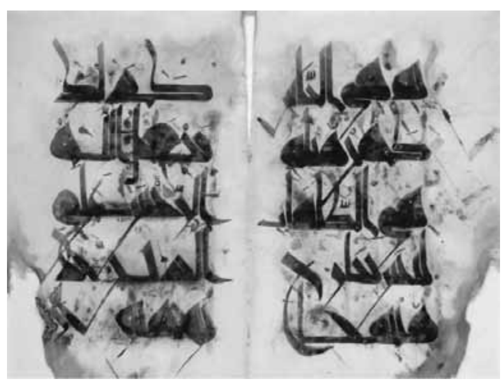
(٢٠) http://www.mia.org.qa/ar/pottery/251-manuscript-ar/856-object3911-1 Museum of Islamic Art (MIA) MS.659.2008.

(٢١) https://www.sothebys.com/en/auctions/ecatalogue/2011/arts-of-the-islamic-world-evening-sale-l11229/lot.4.html and https://www.sothebys.com/en/auctions/ecatalogue/2011/arts-of-the-islamic-world-l11220/lot.172.html.



﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا﴾[٢٢]، وتحمل صفحتها اليسرى قول الله تعالى: ﴿لَمُشْرِكُونَ . أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي﴾[٢٣]. وأما الورقة الثانية فتستكمل في صفحتها اليمنى ما ورد في الصفحة اليسرى من الورقة الأولى، وتحمل قول الله تعالى: ﴿بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[٢٤]. أما الصفحة اليسرى منها فتحمل قول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢٥].





(٢٢) من الآية (١٢٦) من سورة الأنعام.

(٢٣) من الآيتين (١٢١، ١٢٢) من سورة الأنعام.

(٢٤) من الآية (١٢٢) من سورة الأنعام.

(٢٥) من الآية (١٢٥) من سورة الأنعام.

وبناءً على ما سبق ذكره، فإننا إذا اعتمدنا العدد الذي ذكره «المعهد الوطني لحماية التراث بتونس» لأوراق المصحف بنحو ٢٩٠٠ ورقة، واخترنا أن تعبّر الورقة عن وجه وظهر، وبعد عرض أماكن حفظ أوراق المصحف؛ فإنه يمكننا أن نخلص إلى هذا الجدول الإحصائي:

جدول إحصائي بأماكن أوراق مصحف الحاضنة

	عدد الأوراق	مكان الحفظ
١	١٣٠٠ ورقة	المتحف الوطني للفن الإسلامي برقّادة، تونس.
٢	غير محدد، (نُشرت ورقة على موقع المتحف)	المتحف الوطني في باردو، بتونس.
٣	صفحتان متقابلتان	كوبنهاجن، الدنمارك The David Collection.
٤	ورقتان	متحف المتروبوليتان، نيويورك.
٥	ورقتان	متحف الفن الإسلامي، قطر.
٦	ورقتان	موقع سوزبي Sotheby's للمزادات.
٧	١٥٩٠ ورقة	أوراق مبعثرة لم تُحدد أماكنها على وجه الدقة بعد.



المبحث الثاني
الوصف المادي للمصحف

حامل الكتابة

كُتب مصحف الحاضنة على صفحات من الرقِّ[٢٦]، الذي يتميز بوجه لحمِيٍّ ووجه وَبَرِيّ (شَعْري).

أدوات الكتابة

استُخدم في كتابة المصحف القصبُ والحبرُ البُني، كما استُخدمت أحبار ملونة لعلامات الضبط، واستخدم الذهب والأصباغ الملونة في الوحدات الزخرفية التي ازدانت بها صفحات المصحف.

نظام الكراسات

أشار إبراهيم شبوح في «سجل قديم لمكتبة جامع القيروان» إلى وصف مخطوطات المجموعة القيروانية، ومن خلال الوصف الذي يصدُق على مصحف الحاضنة نجده مكونًا من ستين جزءًا.

وكان كلُّ حزب أو جزء من هذه الستين مكونًا من عدة كراسات؛ حيث يتم تجميع رقوق ذات حجم موحَّد، عرضه ضعف عرض الصفحة الواحدة من المصحف، وتجمع كل خمس ورقات منها على الأغلب، ويتم خياطتها من المنتصف مكوِّنة الكراسة.

(٢٦) وباستعمال الرقِّ في نسخ المصاحف أصبح الكتاب الكريم مكونًا من مجموعة من الصحف، أي الرقوق التي كان يثبت بعضها إلى بعض، وقد أُطلق عليها اسم «المصحف» منذ ذلك الوقت. وقد احتاجت هذه الرقوق إلى غلاف يجمعها ويحفظها من الضياع والتلف. **المصحف الشريف**: **دراسة تاريخية وفنية**، محمد عبد العزيز مرزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م: ٧١.



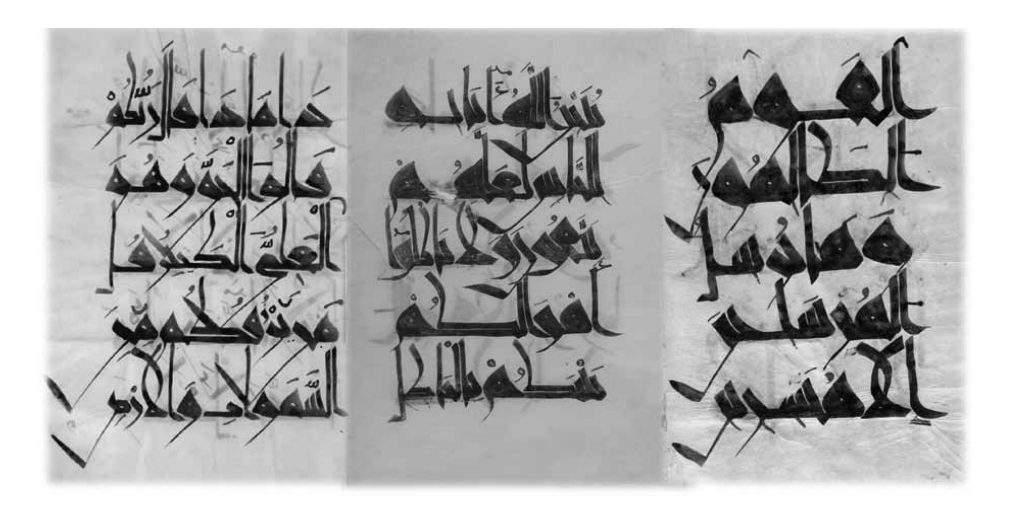
ويتميز نصفُ الكراسة بأن صفحتيه المتقابلتين من نوع واحد؛ إمَّا وبَرِيَّتَيْن، وإما لحْمِيَّتَيْن. كما يظهر في الورقة المنفصلة من هذه الكراسة ولا تعود إلى المنتصف، عدم تتابع الآيات؛ كما أوضحنا أثناء عرض مواضع الأوراق المتفرقة في كلٍّ من متحف المتروبوليتان بنيويورك، وموقع Sotheby's.

التسطير وإخراج الصفحة

- حجم الصفحة: الارتفاع: ٤٥,٥ سم، والعرض: ٣١ سم.
- قطع المصحف: يظهر من حجم الصفحة أن قَطْعَه كان طوليًّا، على خلاف مصاحف المجموعة القيروانية، فقد كان قطعها أفقيًّا[٢٧].
- عدد الأسطر: نجد الصفحة مكوَّنة من خمسة أسطر، ووحِّدَت المسافات بين كلِّ سطر والذي يليه، حتى إن السطر الواحد كان مستقيمًا لا اعوجاج فيه.
- المحاذاة: روعي فيها محاذاة بدايات الأسطر ونهايتها. كما التزم الكاتب تقدير هامش محدد على جانبي الصفحة، على أنْ يكون الجانب الخارجي للصفحة أوسع ليشتمل على العلامات الزخرفية. كما يتسع أحيانًا لنهايات الحروف المتولِّدة من النون كالياء والسين والصاد والراء والنون نفسها بالطبع.
- التعامل مع المقاطع: تم التعامل مع الكلمة على أنها كتلة واحدة، ولا يقوم بتقسيم الكلمة الواحدة على سطرين كما كانت العادة في المصاحف المبكرة.

(٢٧) ولعل السبب في ذيوع الشكل الأفقي للمصاحف في العصور الأولى قد يرجع إلى الرغبة في إعطاء المصحف الشريف شكلًا خاصًّا يميزه عن غيره من الكتب السابقة على الإسلام، دينية كانت أو دنيوية. ولكن المصحف لم يلتزم بهذا الشكل، بل سرعان ما عدل عنه إلى الشكل العمودي - كمصحفنا هذا - الذي كان ذائعًا للكتب عامة قبل الإسلام. ولا ندري لذلك سببًا محددًا. انظر: **المصحف الشريف**: **دراسة تاريخية وفنية**، محمد عبد العزيز مرزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

- كثافة الكلمات في السطر: اختلف متوسط عدد كلمات السطر الواحد بين صفحة وأخرى، ولعل ذلك يرجع إلى تعدد الكتّاب، وتعدد أحجام الأقلام. والصورة الآتية توضح هذا الاختلاف:



مصدر الصور: شواهد من مصحف الحاضنة، جمعها الخطاط التونسي عامر بن جدو، وضمّنها بكراسه (الطبعة الثانية). مكان الحفظ: الأولى من اليمين محفوظة ضمن مجموعة ديفيد بكوبنهاجن، الدانمارك، والثانية والثالثة في المتحف الوطني للفن الإسلامي برقادة، تونس.

زخرفة[٢٨] المصحف وتذهيبه[٢٩]

استُخدم في المصحف بعض الوحدات الزخرفية، وتنوعت بين التعبير عن فواتح السور وعلامات التخميس وفواصل الأجزاء، على النحو التالي:

- الفصالة (فواتح السور)[٣٠]: تكتب فيها أسماء السور، وعدد آياتها. وتكون عبارة عن مستطيلين[٣١] متداخلين يحملان فروعًا مذهّبة من الزخارف النباتية، وعلى جانبه زخرفة تاجية تناظرية تأخذ شكل تماثل «المرآة» أعلى وأسفل[٣٢]، وهي مذهّبة ومؤطّرة باللون الأزرق.

(٢٨) يُطلق على الزخرفة العربية تسميات مختلفة؛ لاعتبارات تباينت حسب الزمان والمكان، فيطلق عليها «التزويق» في المغرب العربي، ويطلق عليها «التوريق»، كما يُستخدم أحيانًا مصطلح «الرقش العربي» بهدف إعطائها تسميات لها جذور تراثية في مصادرنا القديمة، أما تسمية «الأرابسك» فهي تسمية أطلقها مؤرخو الفن من الأوروبيين. انظر: **زينة المعنى: الكتابة، الخط، الزخرفة**، يوسف ذنون، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، ٢٠١٥م: ٨٩-٩٠؛ انظر أيضًا: **المصحف الشريف: دراسة تاريخية وفنية**، محمد عبد العزيز مرزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م: ٩٤.

(٢٩) يعد فن التذهيب في المغرب العربي أحد الميادين التي لا نعلم عنها شيئًا، لكن يمكننا أن نوضّح ما وصل إليه فن التذهيب في المغرب العربي في العصر الإسلامي من خلال ما وصَلَنا من مخطوطات مذهّبة ترجع إلى المغرب. فقد وصلتنا من أندر مخطوطات المصاحف في العالم صفحة رائعة من مصحف الرقِّ الأزرق، وكانت بعض كلمات هذا الرق منفّذة بالتذهيب، ونفذت حلية بالجانب الأيمن لهذه الصفحة بالتذهيب. وهناك أيضًا صفحة نادرة من مخطوط قرآني كتب بالتذهيب على الرق بالخط الكوفي المغربي المجوّد، وأدخلت عليها النقط الحمراء لتشكيلها. انظر: **المخطوط الديني في مصر والمغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين: خطوطه وفنونه**، تامر مختار محمد، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة حلوان، ٢٠١١م: ١١٩-١٢٣.

(٣٠) في المصاحف الأولى لم تكن ثمت فصالة بين كل سورة وأخرى، ثم تطور الأمر بشريط من الزخرفة يملأ الفراغ بين كل سورتين، ثم جاءت الخطوة الثالثة في تضمين ذلك الشريط اسم السورة التي يتوّجها، وقد يتضمن أيضًا بيان ما إذا كانت السورة مكية أو مدنية، وقد يتضمن عدد آياتها - كما هو الحال في مصحفنا. انظر: **المصحف الشريف: دراسة تاريخية وفنية**، محمد عبد العزيز مرزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م: ١٠٠.

(٣١) ظهرت الأشكال المستطيلة على جلود وداخل المخطوطات الدينية في مصر والمغرب لما لها من رموز دينية؛ فهي ترمز إلى الثبات والكمال والاحتواء، ولذا فقد نفذ بوسط المستطيلات أشكال الخراطيش، المنفذة بداخلها عناوين السور القرآنية؛ للتعبير عن ثبات مبادئ الدين، واحتوائها على معاني عظيمة، وهذا رأيي. انظر: **المخطوط الديني في مصر والمغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين: خطوطه وفنونه**، تامر مختار محمد، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة حلوان، ٢٠١١م: ٢١٣.

(٣٢) وقد تناول الباحث التركي بيرام يرليقايا فلسفة هذه الأنواع السيمترية التناظرية في الزخرفة الإسلامية، وعلاقتها بالتماثل الموجود في بدن الإنسان، في بحث بعنوان «جمالية التناظر»، ترجمه عن التركية الأستاذ الدكتور الصفصافي أحمد القطوري، بكتاب **جماليات الفنون في الثقافة الإسلامية**، شركة بروج للأدوات المكتبية والمدرسية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م: ٢٠.





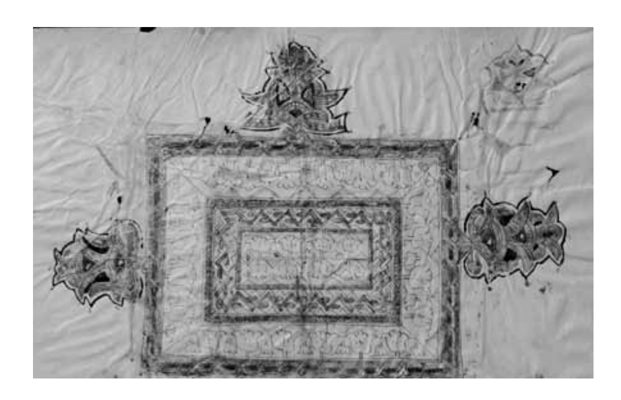
مصدر الصورة: بوابة متحف بلا حدود[٣٣]. مكان الحفظ: المتحف الوطني للفن الإسلامي برقادة، تونس.

- صفحة الواجهة الأمامية[٣٤]: تتكون من مستطيلين متشابكين أيضًا محاطين بثلاث وحدات زخرفية تاجية الشكل. كما أنه يظهر أيضًا نص تم مسحه يمكننا أن نستنتج منه أن الرقّ المستخدم في الواجهة هو ورقة مُعاد استخدامها حيث حدث خطأ ما فيها. ولم يكن من المفترض رؤية هذا الجانب من الصفحة، وإنما لُصِق على مادة الغلاف[٣٥].

(٣٣) http://islamicart.museumwnf.org/database_item.php?id=object;ISL;tn;Mus01;4;en.

(٣٤) ويُلاحظ فيها زخرفة الصفحة كاملة، وتكون في المصاحف عادة في فاتحتها وخاتمتها، وتتكون هذه الزخارف دائمًا من مستطيلات مقسمة إلى عدد معين من الخانات، ومزينة بنُقط ورسوم وشبكيات وأغصان صغيرة تقليدية وتكرارية، ولها الكثير من أوجه الشبه مع شكل التجليد الذي يرجع إلى نفس العصر، ومن المحتمل جدًّا أنها اشتُقت منه. انظر: **الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات**، أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ج. ٢: ٣٢٦.
وقد تعرّض هذا النوع من الزخارف للمعارضة الشديدة في بادئ ظهوره، وتستمد هذه المعارضة قوتها من أن الزخارف في هذه المواضع من المصحف لا هدف لها إلا الجمال الفني فحسب. ولعل أقدم مثال لها، هو ما نراه في رق مصحف سفيني الشكل (قطع عرضي) يرجع إلى نحو سنة ٢٨٧هـ، موجود في مكتبة شستر بيتي بمدينة دبلن بأيرلندا. وهو يزدان في صفحته الأولى بزخارف هندسية بسيطة، قدامها مستطيل تتوسطه دائرة فيها نجمة ثمانية الرءوس، بداخلها دائرة أخرى صغيرة مملوءة بخطوط صغيرة على أرضية ذهبية اللون، يخرج من الجانب الأيسر من المستطيل زخرفة نباتية من نوع الأرابسك (التوريق). انظر: **المصحف الشريف: دراسة تاريخية وفنية**، محمد عبد العزيز مرزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م: ١٠٣-١٠٤.

(٣٥) The Qur’an of the Nurse, Sihem Lamine Ganouni, December 2013.



مصدر الصورة: موقع قنطرة[٣٦]. مكان الحفظ: المتحف الوطني للفن الإسلامي برقادة، تونس.

- علامات الآي[٣٧]: لا وجود لها بعد كل آية، ولا وجود لفراغات بين كل آية وأخرى. ورغم ذلك، نجد بعض الوحدات الزخرفية قد وضعت في سورة الفاتحة عشوائيًّا[٣٨].



مصدر الصورة: مجموعة نشرها الخطاط عامر بن جدو. مكان الحفظ: المتحف الوطني للفن الإسلامي برقادة، تونس.

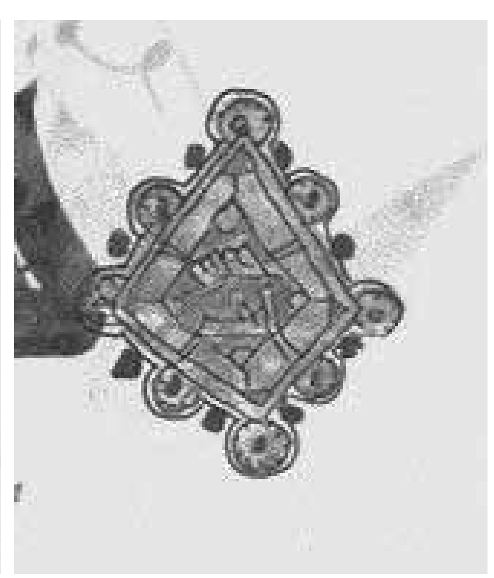
---

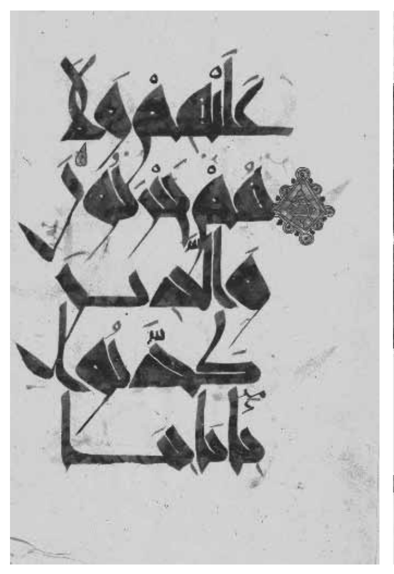
(٣٦) https://www.qantara-med.org/public/show_document.php?do_id=652&lang=ar.

(٣٧) بدأت فواصل الآيات في المصاحف الأولى بترك فراغ بين كل آية وأخرى أوسع قليلًا من الفراغ الذي كان يُترك عادة بين كل كلمة وكلمة، ثم استُغل هذا الفراغ المتروك برسم نقطة فيه على هيئة مثلث، ثم استُبدلت بالنقط شُرَط رُسمت بعضها فوق بعض، ثم أُحيطت هذه الشرط وتلك النقط بدوائر. وآخر ما وصلت إليه استعمال دوائر بها زخرفة نجمية الشكل، في وسطها - في بعض الأحيان - رقم الآية في السورة التي تتبعها. انظر: **المصحف الشريف: دراسة تاريخية وفنية**، محمد عبد العزيز مرزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م: ٩٩.

(٣٨) المرجع السابق.

- علامات التخميس: في صورة وحدة زخرفية مذهّبة تتكرر على طول المصحف مع اختلافات طفيفة. فتأخذ شكل «المعيّن» تحيط به ثماني دوائر، وتتوسطه جملة «خمس آيات» - بحذف الألف وفقًا للرسم العثماني - كما في الشكل السابق في سورة الفاتحة وهذه الورقة:





مصدر الصورتين: مجموعة نشرها الخطاط عامر بن جدو.

مكان الحفظ: المتحف الوطني للفن الإسلامي برقادة، تونس.

وقد ذكر إبراهيم شبوح أن كلَّ جزء من الستين مُذهَّب الأول وتسمية السور وعلامة الأحزاب والأعشار، وبعضها مذهب الآخر[٣٩].

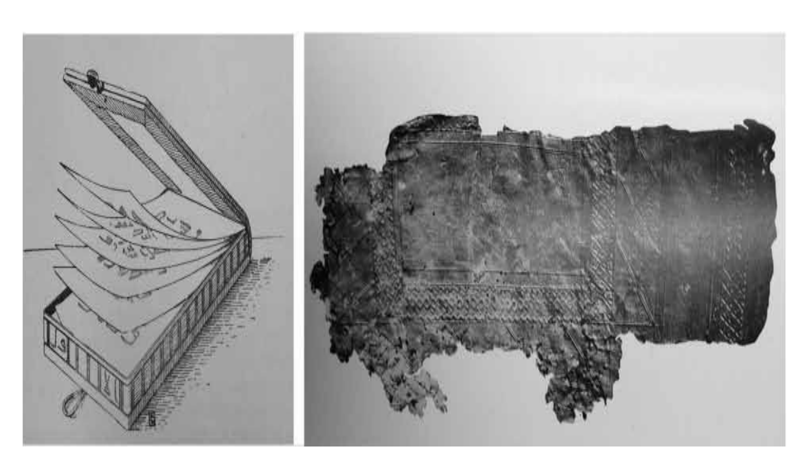
- التأطير الكامل للصفحة: ظهر مصحف الحاضنة خاليًا من إطار كامل حول النصِّ المكتوب، وهو حال المصاحف المتقدمة.

(٣٩) «سجل قديم بمكتبة الجامع الكبير بالقيروان»، إبراهيم شبوح، **مجلة معهد المخطوطات العربية**، المجلد الثاني، الجزء الثاني، نوفمبر ١٩٥٦م.

التجليد[٤٠]

كما ذكرنا فإن جورج مارسيل ولويس بوينسوت قد أرسلا أغلفة المصاحف إلى متحف باردو في تونس، وهذه الصورة هي أقرب ما يمكن أن ينطبق عليه وصف أغلفة مصحف الحاضنة من كتاب «أغراض قيروانية»[٤١]. ويظهر الغلاف في الصورة مزخرفًا بمستطيلات تتخللها زخارف هندسية متنوعة.

وقد ذكر إبراهيم شبوح في السجل القديم أن بعض الأجزاء كان «مغشًّى بالجلد على العود، وبعضها بالحرير على الجلد على العود، وبعضها بالحرير على العود، وجميعها مُزال الحلية. هكذا ألفى وصف هذه الختمة في السجل المذكور، وألفيت وقد ترهل الآن بعض ما كانت مغشَّاة به»[٤٢].



مصدر الصورة: دراسة سهام جانوني عن كتاب «أغراض قيروانية».

(٤٠) للأسف الشديد نجد ندرة فيما تبقى لنا من مخطوطات تتحدث عن صناعة الكتاب العربي المخطوط في مراحل تاريخه الأولى في المغرب العربي، إلا أنه توجد بالقيروان مئات التجاليد، عُثر على الأغلبية منها بمقصورة في الجامع - موضع اكتشاف مصحف الحاضنة والمجموعة القيروانية - وحُفظت في متحف باردو بتونس. هذه التسافير تعطينا فكرة واضحة عن فن التسفير في المغرب في القرون الأولى للهجرة. انظر: **المخطوط الديني في مصر والمغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين: خطوطه وفنونه**، تامر مختار محمد، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة حلوان، ٢٠١١م: ١٦٩-١٧٥.

(٤١) *The Qur'an of the Nurse*, Sihem Lamine Ganouni, December 2013.

(٤٢) «سجل قديم بمكتبة الجامع الكبير بالقيروان»، إبراهيم شبوح، **مجلة معهد المخطوطات العربية**، المجلد الثاني، الجزء الثاني، نوفمبر ١٩٥٦م.



المبحث الثالث
خطوط مصحف الحاضنة

الخط المستعمل في كتابة الآي

نوع الخط

ذكر إبراهيم شبوح في السجل القديم أن الخط المستخدم في كتابة المصحف هو الخط الكوفي الريحاني، وهو بالطبع لا يعني الريحاني أحد الأقلام الستة، وإنما جاء هذا الوصف بسبب الطابع الجديد للخط الكوفي المستخدم في كتابة هذا المصحف. الأمر نفسه الذي جعل فرانسوا ديروش يذكر أنه كُتب بخط كوفي «جديد»(٤٣).

من هنا يمكننا أن نتحدث عن هذا النمط الجديد للخط الكوفي الذي كُتبت به آيات المصحف، والذي سُمي بـ «الخط الكوفي القيرواني»(٤٤).

(٤٣) *The Abbasid Tradition*, François Déroche, Oxford: Azimuth, 1992.

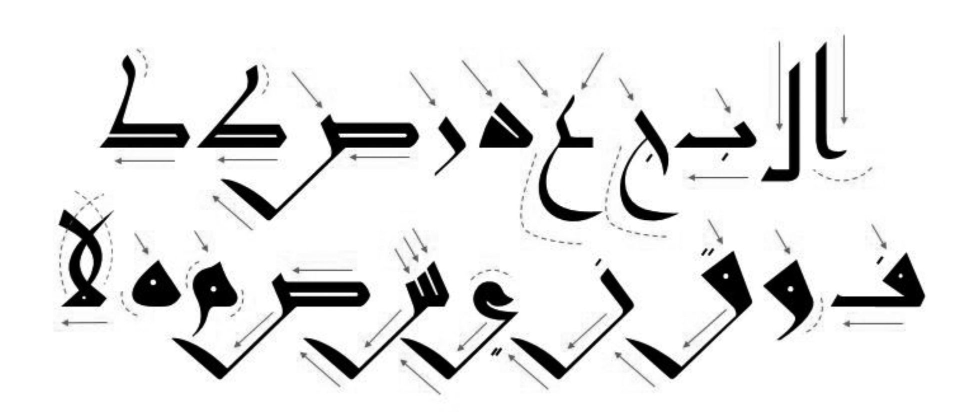
(٤٤) والغالب أن الخط المغربي كان في أول الأمر مطبوعًا بطابع شرقي محض، تأثرًا بكتابة الفاتحين العرب، ثم أخذ يميل إلى الكوفي والنسخي المستعملين معًا في هذه الفترة -العصور الإسلامية الأولى إلى نهاية عهد مغراوة وبني يفرن - بالقيروان، وقبل العصر المرابطي لا يُعرف أي نموذج للخط النسخي. انظر: **تاريخ الوراقة المغربية**: **صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة**، محمد المنوني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٢، المملكة المغربية، ١٩٩١م: ١٧-١٨.

ثم «بدأت محاولات التغيير في الخطوط الموزونة في القرن الرابع الهجري في عموم البلاد الإسلامية، وأفرزت الكوفي الشرقي ومقدماته في المشرق، ومثل ذلك حصل في المغرب؛ حيث شهد تغييرات أساسية على الخطوط الموزونة موازيًا لما حدث في المشرق في الكوفي الذي نُسب إلى نيسابور، وفي المغرب الذي نُسب إلى القيروان، وبقي منه مصحف الحاضنة المؤرخ سنة ٤١٠ هـ». انظر: **زينة المعنى**: **الكتابة، الخط، الزخرفة**، يوسف زنون، نقلًا عن: **خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري**، محمد بن سعيد شريفي، الشركة الوطنية، الجزائر، ١٩٨٢م.

سمات الخط

يتميز الخط الكوفي القيرواني بعدة سمات تجعله فريدًا من نوعه، تظهر في:

١- جمع الأضداد: فإننا نجد الحرف الواحد يجمع في رسمه بين اللِّين والحدّة من ناحية، وبين كبر سمك القلم ورقَّته. ومع ذلك، فإن هذا التضاد يظهر في تجانس لا تنفر منه العين، وفي هذا يذكر محمد الصادق عبد اللطيف أنه خط كوفي دخله الاستدقاق والاستغلاظ (غليظه غليظ جدًّا، ودقيقه دقيق جدًّا)(٤٥).

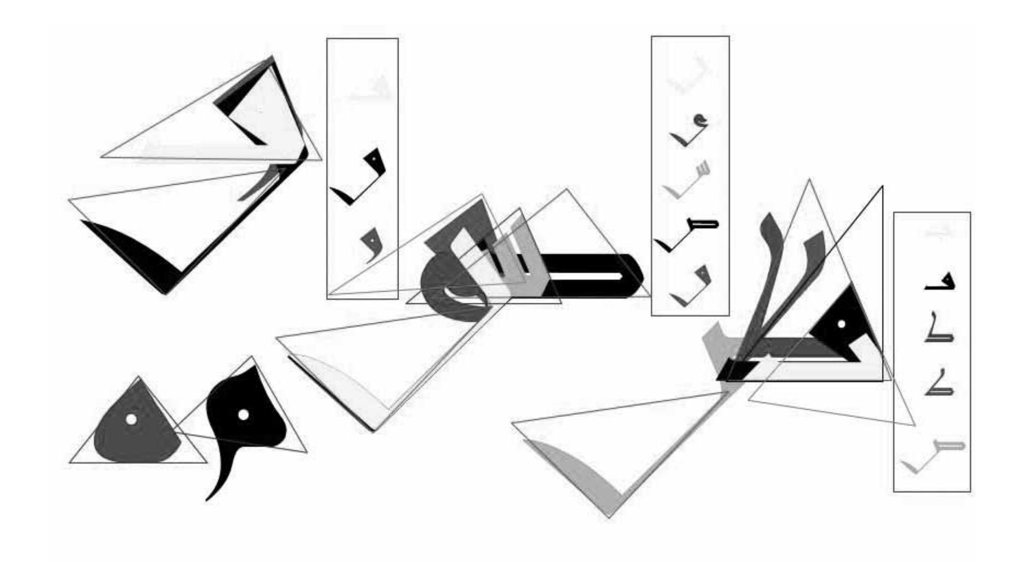


٢- توالد الحروف: فإنه كما توالدت حروف الثلث من الدائرة، فإن الخط الكوفي القيرواني تتولد حروفه من المثلث. كما أن الحروف تتوالد بعضها من بعض؛ فتشترك (الواو والفاء والقاف) في شكل رأس الحرف بشكل كبير. كما أن نهاية كلٍّ من (النون والياء والسين والصاد والقاف) متشابكة أيضًا. كذلك تجد جسم الباء الذي يمكن أن يتولد منه كلٌّ من (الفاء والصاد والكاف والطاء). وأخيرًا، هناك تشابه نسبيّ بين الهاء المفردة ورأس الميم. وقد حاولت الباحثة توضيح ذلك من خلال الشكل التالي:

---

(٤٥) بحث بعنوان «المدرسة التونسية في الخط: مرحلة التأسيس والإشعاع»، نُشر ضمن كتاب «الخط العربي بين العبارة التشكيلية والمنظومات التواصلية»، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، مساهمات جماعية أنجزت بمناسبة أيام الخط العربي الثانية بإدارة الأستاذ خليل قويعة، قرطاج، ٢٠٠٦م: ٩٧.





٣- التكوين في السطر الواحد: بتتبع صفحات المصحف، فإننا نجد أن الكاتب يراعي التكوين الأفقي في السطر الواحد[٤٦]، من خلال تراص الحروف، ومراعاة الكتلة والفراغ فيما بينها، ومراعاة تتابع الحروف المتولّدة بعضها من بعض بتناغم متقن، ويحاول توحيد الأشكال المتكررة من الحروف.

٤- التكوين في الصفحة: بسبب مراعاة المسافات بين السطور، ومحاولة تداخل نهايات حروف السطر بحروف السطر التالي؛ ينتج عن ذلك أن يكون النص في الصفحة كتلة واحدة مترابطة وكأنه تكوين رأسيّ. والجميل في ذلك أن الكاتب قد راعى عدم طمس حروف السطر بنهايات حروف السطر اللاحق.

(٤٦) جاء هذا ضمن بحث لطارق عبيد بعنوان «الأبعاد التشكيلية والجمالية لصورة الحرف العربي: مصحف الحاضنة نموذجًا»، نُشر ضمن كتاب «الخط العربي بين العبارة التشكيلية والمنظومات التواصلية»، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، مساهمات جماعية أنجزت بمناسبة أيام الخط العربي الثانية بإدارة الأستاذ خليل قويعة، قرطاج، ٢٠٠٦م. وأتوجه بالشكر للدكتور محمد حسن إسماعيل؛ إذ أمدَّني بهذا المرجع.

استخدام علامات الإعراب والإعجام

سنلاحظ أن الكاتب لم يستعمل نقاط الإعجام مطلقًا، وإنما اعتمد علامات الإعراب حسب قاعدة الخليل بن أحمد الفراهيدي(٤٧). واستخدم الألوان لتمييز كل علامة على النحو التالي:

- اللون الأحمر: لحروف العلة (الضمة والكسرة والفتحة).
- اللون الأزرق: لعلامتي الشدة والسكون.
- اللون الأخضر: لعلامة المدِّ والهمزات. واختلف موضع الهمزة المتطرفة من الألف حسب حركتها الإعرابية.

وقد اجتمعت هذه العلامات في الورقة الآتية:



مصدر الصورة: مجموعة نشرها الخطاط عامر بن جدو.

مكان الحفظ: المتحف الوطني للفن الإسلامي برقادة، تونس.

---

(٤٧) حيث وضع نقطة في أعلى الحرف للدلالة على الفتحة، ونقطة بين يدي الحرف للدلالة على الضمّة، ونقطة تحت الحرف للدلالة على الكسرة، ونقطتين للدلالة على التنوين. وقد كُتبت بمداد يختلف لونه عن لون المداد المكتوب به المصحف. فلما وُضعت نقاط الإعجام التبست بنقاط الإعراب، فاحتيج إلى طريقة جديدة ابتكرها الخليل بن أحمد، فلجأ إلى ألفات مضجعة في أعلى الحرف لتدل على الفتحة، أو في أسفله لتدل على الكسرة، واستعمل للضمة واوًا صغيرة الحجم فوق الحرف، وابتكر السكون وهي الدائرة الصغيرة، وأضاف الشدة على هيئة رأس السين، والهمزة على هيئة رأس العين. انظر: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، القلقشندي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩١٢-١٩٣٨م.

خطوط رءوس السور

على العكس تمامًا، فقد كُتب أسماء السور وعدد آياتها بخط أشد حدة من الخط الكوفي القيرواني، تميز ببعض التوريقات في حروفه، والتزم الكاتب فيه بوضع نقاط الإعجام. وفي هذه الصورة نجد فاتحة سورة البقرة، ذكر فيها: «فاتحة سورة البقرة مايتان وثمنون وخمس آية»(٤٨).



مصدر الصورة: بوابة متحف بلا حدود(٤٩). مكان الحفظ: المتحف الوطني للفن الإسلامي برقادة، تونس.

خطوط الوقفية والكولوفون

ظهر في نص التحبيس: «بسم الله الرحمن الرحيم قالت فاطمةُ الحاضنة، حاضنةُ أبي منادٍ باديس: حبسْتُ هذا المصحفَ بجامع مدينةِ القيروان رجاءَ ثوابِ الله وابتغاءَ مرضاتِه على يدَيِ القاضي عبد الرحمن بن القاضي محمد بن عبد الله بن هاشم نضّر الله وجْهَه ورحم الله من قرأ ودعا لهم بالرحمة والمغفرة آمين ربّ العالمين. وصلى الله على النبي محمد وعلى آله (الطيبين الأخيار) وسلم».

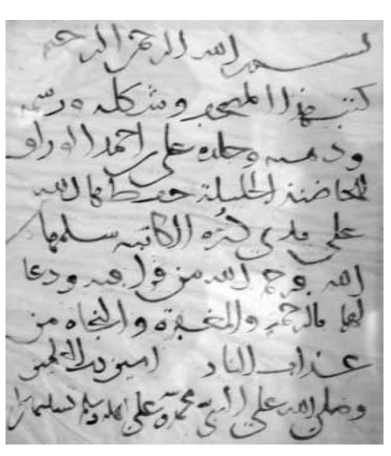
(٤٨) وذلك وفقًا للعد المكي والمدني والشامي، وست في الكوفي، وسبع في البصري، وأغلب الظن أن هذا المصحف اتبع العد الشامي؛ لأن عد سورة النور في هذا المصحف أربع وسبعون، وهي كذلك عند غير العدَّيْن المكي والمدني. انظر: **البيان في عدّ آي القرآن**، الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، دار الكتب العلمية، وانظر أيضًا: «مصحف جامعة توبنجن رقم (Ma٧١١٦٥): دراسة وصفية تحليلية»، بشير الحميري، **مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية**، المجلد العاشر، العدد العشرون لسنة ٢٠١٥م.

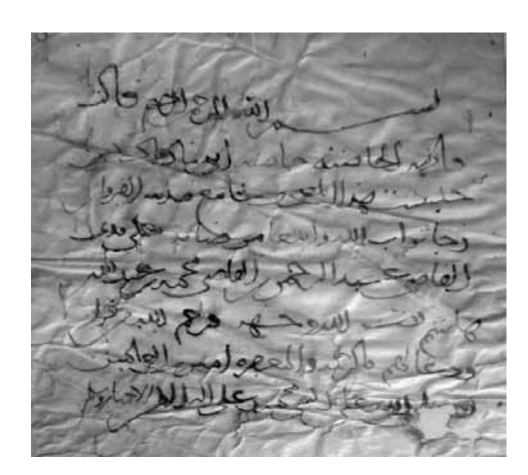
(٤٩) http://islamicart.museumwnf.org/database_item.php?id=object;ISL;tn;Mus01;4;en.



وقد أتبعه الكاتب بنص آخر: «بسم الله الرحمن الرحيم كَتب هذا المصحف وشكَّله ورسمه وذهَّبه وجلَّده علي بن أحمد الوراق للحاضنة الجليلة حفظها الله على يدي درة الكاتبة سلمها الله. فرحم الله من قرأ فيه ودعا لهما بالرحمة والمغفرة والنجاة من عذاب النار آمين ربّ العالمين. وصلى الله على النبي محمد وعلى أهله وسلم تسليمًا».

وكلا النصّين قد كُتبا بخط من الخطوط اللَّينة[٥٠] لا ينتمي للعائلة الكوفية التي كُتبت بها الآيات وفواتح السور، بل يحمل سمات عديدة من خط الثلث.





مصدر الصورتين: شبكة الألوكة عن منال الرماح[٥١].

مكان الحفظ: المتحف الوطني للفن الإسلامي برقادة، تونس.

---

(٥٠) وهي مكتوبة بخط أقرب إلى الثلث المغربي في كثير من السمات، ويعتبر خط الثلث المغربي من أكثر الخطوط العربية ليونة على الإطلاق، فحروفه الكثيرة الصور وأحجامها المتباينة تسمح له بتقمص أشكال غير متناهية، وخلق حالات تشكيلية معقدة. ولعل هذا الأسلوب الحر في كتابة الكولوفون يرجع إلى أن الثلث المغربي لا يخضع لقواعد متفق عليها، سوى المعايير الجمالية البصرية التي تضفي على الكتابة انسيابية وتناغمًا داخليًّا، وهذا خلاف لخط الثلث المشرقي الذي يخضع لقواعد صارمة، هي نتيجة لتراكم تجارب كبار الخطاطين على مدى عدة قرون. انظر: «جماليات الخط المغربي: تاريخ وفن»، محمد المغراوي، **مجلة مدارك**، العدد الثالث، ٢٠٠٦م.

(٥١) https://www.alukah.net/literature_language/1187/39992/.

خطوط صندوق التحبيس

حُفر نص تحبيس على الصندوق الخشبي المتخذ لحفظ المصحف بخط كوفي يابس، ونصُّه: «حبس على جامع مدينة القيروان مما أمرت به فاطمة حاضنة باديس في سنة عشرة وأربعمائة ابتغاء وجه الله الكريم وطلب مرضاته». وهو ما نراه بوضوح في الصورة الآتية:



مصدر الصورة: دراسة سهام جانوني[٥٢].

مكان الحفظ: المتحف الوطني للفن الإسلامي برقادة، تونس، كاتب المصحف.

كما ظهر من نص التحبيس، فإن مَن قام على صناعة المصحف، مِن خط وتذهيب وتجزئة وتجليد هو علي بن أحمد الوراق[٥٣]، على يدي درة الكاتبة التي لم يتحدد دورها على وجه الدقة،

(٥٢) دراسة باللغة الإنجليزية لسهام جانوني Sihem Lamine Ganoun، سنة ٢٠١٣م، بعنوان: "The Qur'an of the Nurse :A Step towards the Invention of Maghribi Script?".

(٥٣) لم يُعثر على معلومات كافية عن حياته، إلا أنه استنادًا إلى تاريخ مصحفه (٤١٠-١٠٢٠م) فإنه يُرجَّح أن يكون قد عاش في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي والنصف الأول من القرن الحادي عشر. انظر:
"Endülüs Ve Mağrıb Hattatlari", Abdulkadir Yılmaz; Doç. Dr., Atatürk Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, İslâm Tarihi ve Sanatları Bölümü.

وترجِّح الباحثة أن تكون قد شاركت في الكتابة هي الأخرى؛ نظرًا لتعدد الأيادي التي كتبت المصحف كما ذكرنا سلفًا. وعلى هذا يعد علي بن أحمد الوراق ظاهرة تستحق الدراسة؛ إذ جمع بين هذه الحِرف في آن واحد.

نماذج لمصاحف معاصرة لمصحف الحاضنة

١- مخطوطة للقرآن من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، معروضة في متحف فنون والترز، بالتيمور، ميريلاند، الولايات المتحدة[٥٤]. وهي مخطوطة للقرآن تحتوي على:

- سورة الفرقان (الآيات ٢١-٣٢، ٣٩-٧٨).
- سورة الشعراء.
- سورة النمل.



صورتان من المصحف المعروض في متحف فنون والترز، بالتيمور، ميريلاند، الولايات المتحدة.

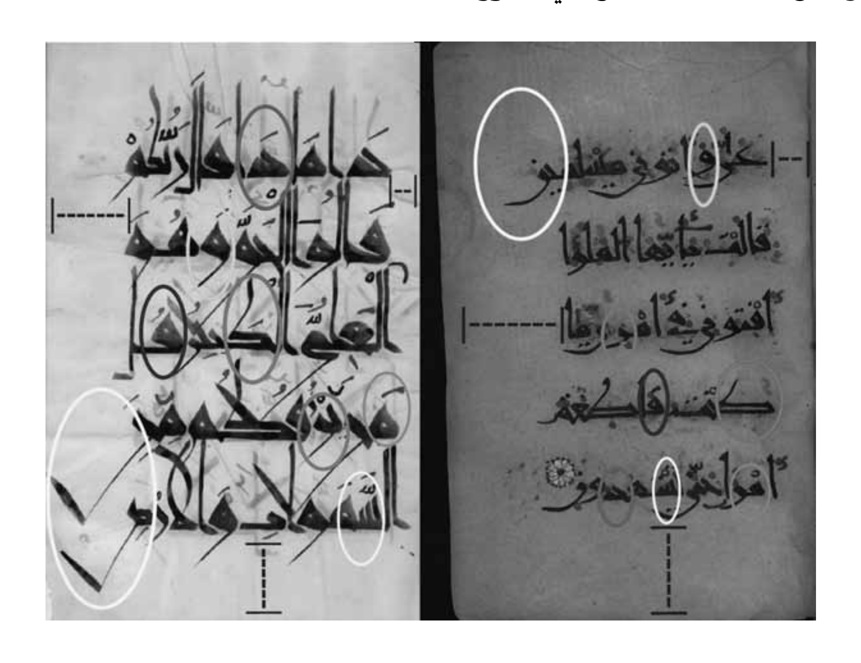
(٥٤) https://manuscripts.thewalters.org/viewer.php?id=W.555#page/174/mode/2up, W. 555, Walters Art Museum, 1931, by Henry Walters bequest.



وتظهر فيها سمات قريبة إلى حدٍّ كبير للخط الكوفي القيرواني، بحيث تتشابه معه، ومع النظام المتبع في كتابة مصحف الحاضنة، ومن هذه السمات المشتركة ما يلي:

- نهاية حرف النون، وخروجها عن الإطار المحدد للكتابة إذا تطرفت في السطر، لكن يلاحظ فيها بعض اللِّين الذي يختلف عن الخط المتبع في مصحف الحاضنة.
- رسم بعض الحروف، مثل رءوس الواو والميم والفاء، وكذلك حرف السين، والراء المتطرفة، وحرف الدال، ويتشابه بشكل كبير أيضًا حرف الكاف في كلٍّ من المصحفين.
- الالتزام بمسطرة واحدة بحيث تكون خمسة أسطر في الصفحة.
- التزام المحاذاة في بدايات السطور ونهايتها.
- الالتزام بأن تكون المساحة المتروكة على هامش الصفحة الخارجي أقل منها في الهامش الداخلي للورقة، وكذلك هامش الصفحة من الأسفل أكبر منه في الأعلى.

وتظهر هذه السمات المشتركة في الصورة التالية:



ورغم ذلك، فإن مَن يمعن النظر في المصحفين تظهر له بعض الاختلافات بين المصحفين، بحيث يتفرد كلُّ واحد منهما بسمات تميزه عن الآخر مثل:

- علامات الإعراب: نجد أن المصحف المحفوظ في «والترز» قد اتبع القاعدة القديمة بالتعبير عن الرفع والنصب والخفض بنقاط حمراء فوق الحرف أو تحته أو بين يديه - كما أوضحنا سلفًا. وعلى الرغم من ذلك، فقد ظهر (السكون، والشدة، والهمزة، وعلامة المدِّ) بجانب النقاط. في حين اتبع مصحف الحاضنة العلامات التي اعتمدها الخليل ابن أحمد في النهاية من ألفات مضجوعة فوق الحرف تعبر عن الفتحة، وأخرى تحته لتعبر عن الكسرة، واستُخدمت الواو لتعبر عن الضمة، واستُخدم السكون والشدة والهمزة، ولم يُستخدم النقط.

- نقاط الإعجام: نجدها موجودة بنفس لون المداد المستخدم في كتابة الآيات، في المصحف المحفوظ في «والترز»، في حين خلت حروف مصحف الحاضنة من نقاط الإعجام.

- الترويس المدوّر للألف واللام والظاء: ويظهر جليًّا في المصحف المحفوظ في «والترز»، بشكل مقارب إلى حدٍّ كبير للترويس المتّبع في الخط الكوفي النيسابوري، وهذا الترويس لا نجد له أي أثر في مصحف الحاضنة.

- رءوس الآي: استُخدمت وحدات زخرفية بعد كل آية في المصحف المحفوظ في «والترز»، في حين لا نجد أية فراغات أو علامات تدل على نهايات الآيات عدا التخميسات - وتكون على هامش الصفحة - في مصحف الحاضنة. وتظهر هذه الاختلافات الأربعة في الصورة الآتية:





- علامات التخميس والتعشير: تأخذ علامات التخميس شكل اللوزة أو ورقة الشجر في المصحف المحفوظ في «والتز»، أما علامة التعشير فتأخذ شكل الدائرة المذهبة، وتُكتب ألفاظ العقود وسطها حسب رقم الآية (عشرون - سبعون... إلخ). في حين تأخذ علامات التخميس شكل «المعيّن» المحفوف بالدوائر الصغيرة في مصحف الحاضنة.



علامة التخميس
بالمصحف المحفوظ في «والتز».

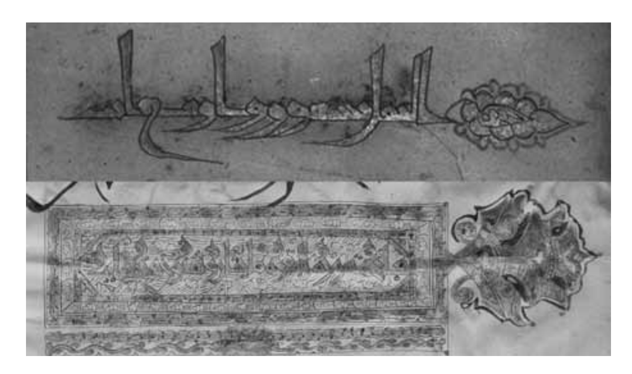


علامة التعشير
بالمصحف المحفوظ في «والتز».

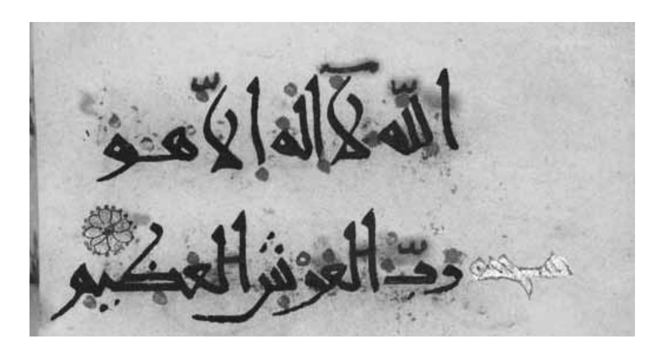


علامة التخميس
بمصحف الحاضنة.

- الفاصلة (فاتحة السورة): تُكتب في المصحف المحفوظ في «والتز» بالذهب ويتم تزميكها دون إطار يحويها، وإنما ترسم وحدة زخرفية على هيئة توريق على جانبها، أما في مصحف الحاضنة فتكون داخل إطار مستطيل مزخرف.



- علامات السجدة: ظهرت كلمة «سجدة» على هامش الصفحة في مصحف «والتز»، في حين لم تظهر في مصحف الحاضنة.



٢- مصحف في شمال إفريقيا في أواخر القرن العاشر الميلادي، نُشرت صورة له في كتاب «حبر وذهب»[٥٥] ٢٠٠٦م، وقد أشارت له سهام جانوني في دراستها دون تفصيل.

(٥٥) M. Franzer and W. Kwiatowski, *Ink and Gold, Islamic Calligraphy,* Sam Fogg, London, 2006. وهو كتاب يرسم تطور الخط الإسلامي على مدى ألف عام، منذ بداياته في شبه الجزيرة العربية. وتغطي المقالات في هذا المجلد جميع المراكز الرئيسية للخط الإسلامي، من شمال إفريقيا إلى آسيا الوسطى، وتسلط الضوء على إنجازات الخطاطين المسلمين في عصور العباسيين (٧٤٩-١٢٥٨م)، والسلجوق (١٠٥٥-١٢٤٣م)، والخانيد (١٢٥٦-١٣٥٧م)، والصفويين (١٥٠٢-١٧٣٦م)، والإمبراطوريات المغولية (١٥٢٦-١٨٥٧م).







مصدر الصورة: دراسة سهام جانوني عن كتاب «حبر وذهب»، وهي لمصحف من شمال إفريقيا منسوب لأواخر القرن العاشر الميلادي.

ومن خلال هاتين الورقتين يظهر التشابه مع مصحف الحاضنة فيما يلي:

- علامات الإعراب المعبِّرة عن الفتحة والضمة والكسرة، إلا أنها اقتصرت هنا على اللون الأحمر فقط، في حين تنوعت الألوان المستخدمة في ضبط حروف مصحف الحاضنة.
- عدم وجود نقاط للإعجام.
- عدم وجود علامات لعدِّ الآي.
- تشابهت الحروف بشكل أكبر منه في المصحف المحفوظ في «والترز»، حتى إنها تكاد تتطابق هنا مع أسلوب مصحف الحاضنة، وبالأخص الصفحات التي ازدادت فيها كثافة الكلمات في السطر الواحد.
- المصحفان مكتوبان على الرقِّ.
- اتباع المحاذاة في بدايات الأسطر ونهايتها؛ إلا أن الكاسات إن تطرفت في آخر السطر هنا فإنها لا تخرج في الهامش الجانبي للصفحة كما كان يحدث في مصحف الحاضنة.

وتظهر مع ذلك عدة اختلافات بين المصحفين، نذكر منها:

- المسطرة: فإن عددَ الأسطر هنا وإن كانت موحدة في صفحات المصحف فإنها تلتزم سبعة أسطر في الصفحة، في حين يلتزم مصحف الحاضنة بخمسة أسطر فقط.
- الفاصلة (فاتحة السورة): فإنها هنا عبارة عن كتابة اسم السورة بالذهب، وتزميكها، دون تأطيرها بإطار مزخرف، ويُكتفى فقط بوجود وحدة زخرفية على جانب الاسم. في حين يتم تأطير وزخرفة الفاصلة في مصحف الحاضنة.

وتنبغي الإشارة هنا إلى أنه بالرغم من وجود هذين النموذجين المقاربين لأسلوب مصحف الحاضنة، فإن طريقة الكتابة هذه لم تكن ذائعة، والنماذج التي وصلتنا على هذا النحو محدودة جدًّا، وهذا يمنح مصحف الحاضنة وأسلوبه تفردًا خاصًّا، خاصة لاستقرار القاعدة والتناسب والتوازن في حروفه، وهذا جعله أصلًا يُحتذى به، وتُستخرج قاعدة الخط الكوفي القيرواني من حروفه.

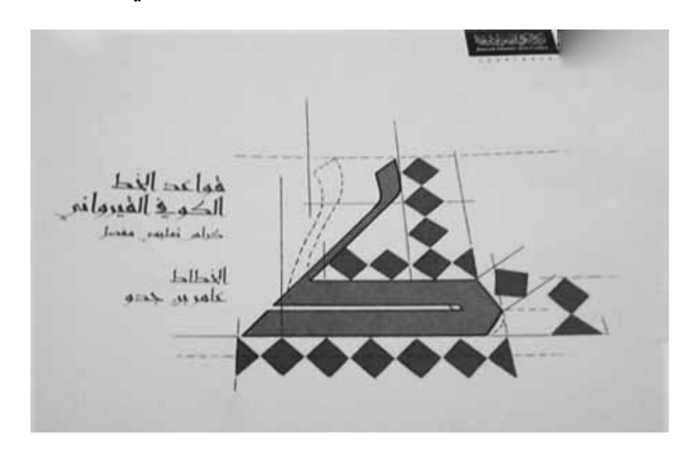


المبحث الرابع
تقعيد الخط الكوفي القيرواني من خلال المصحف

محاولات تقعيد الخط الكوفي القيرواني

ظهور المصحف جعل مجموعة من الخطاطين يسعون إلى توصيف خطوطه، وإلى تقعيده لتعلمه وحفظه، ومحاولة إحيائه مرة أخرى، ومنهم:

- المنجي عمّار: الذي كتب مقالًا بعنوان «الخط الكوفي القيرواني في مصحف الحاضنة»[٥٦]، ذكر فيه أشكال حروف هذا الخط، بدءًا من حرف الألف وانتهاءً إلى حرف الياء.
- عامر بن جدّو: اهتم الخطاط التونسي عامر بن جدو بالخط الكوفي القيرواني، واطّلع على مصحف الحاضنة، وتتبع قاعدته، وخلُص منها إلى تقعيد حروف، وضبَطها بالنقاط، وأثمر عن ذلك كتابه «قواعد الخط الكوفي القيرواني».



(٥٦) «الخط الكوفي القيرواني في مصحف الحاضنة»، المنجي عمار، **مجلة حروف عربية**، العدد السادس والعشرون، السنة الثامنة، ذو القعدة ١٤٣١هـ/ أكتوبر - تشرين الأول ٢٠١٠م.

أثر تقعيد الخط الكوفي القيرواني بين حفظ التراث وإحيائه

إن عملية تقعيد الخط الكوفي القيرواني لم تُفِدْ الخطاطين فحسب، بل امتدت إلى محاولة رقمنة هذا الخط أكثر من مرة، ولعل أكثرها قربًا للقاعدة المشروع[٥٧] الذي شاركت فيه الجمعية التونسية لفنون الخط بمشاركة فريق عمل كامل متخصص بين مصممين وخطاطين ومبرمجين، استنادًا إلى مصحف الحاضنة وقواعد الخطاط عامر بن جدو، وهذا جعل الخط قابلًا أيضًا للتعامل التكنولوجي دون خلل بأصوله.

والحق أن الأثر قد امتد ليشمل العامة من غير المهتمين بالتراث والخطوط، بسبب فرض هذه الثقافة في الساحة مرة أخرى.

(٥٧) https://bluefish.me/kairaouani-calligraphy.



الخاتمة

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- ما زال عدد كبير من أوراق مصحف الحاضنة مفقودًا، أو لا يُعلم مكانه على وجه الدقة.
- فُصلت بقايا أغلفة المصحف الخارجية، مع أغلفة مصاحف المجموعة القيروانية، ونُقلت إلى باردو بتونس، ودرسها كلٌّ من جورج مارسيل ولويس بوينسوت، لكنني لم أقع على صورة حديثة لها.
- يحمل نص الوقفية اسم كاتب المصحف على أنه «عليّ بن أحمد الورّاق»، وأن ذلك تم على يدَي «درّة» الكاتبة، ولم يُحدد دورها على وجه الدقة.
- في تتبع أوراق المصحف يظهر لنا تعدد كتّاب المصحف، الذين التزموا قاعدة خطية واحدة، وعدد سطور موحد، ومسافات تباعد بين السطور موحدة أيضًا، لكنهم اختلفوا في كثافة الكلمات في السطر الواحد، وسمك القلم المستخدم في الكتابة، وتظهر بعض الاختلافات في نهايات الحروف كالراء والنون.
- تنوعت الخطوط المستخدمة في مصحف الحاضنة، فكتبت الآيات بالخط الكوفي القيرواني، بخلاف أسماء السور التي كتبت بخط كوفي مخالف، ونصوص الوقفية التي كتبت بخط يحمل سمات الثلث إلى حد كبير.
- بتحليل حروف الآي يظهر أن حروف الخط الكوفي القيرواني تخضع لظاهرة التوالد، من المثلث أولًا، وتوالدها بعضها من بعض ثانيًا.
- قُعِّد الخط الكوفي القيرواني بصورة مكتملة على يد الخطاط «عامر بن جدو» بتونس، وقد سبقته محاولات لم تصل إلى ما وصل إليه في كراسته.

وفي ضوء ما أوردته الدراسة من نتائج، فإنَّ الباحثة توصي بما يلي:

- ضرورة العمل على إنشاء قاعدة بيانات تحمل أماكن أوراق المصحف المحفوظة في مجموعات المتاحف والمجموعات الشخصية، وحصر الأوراق المفقودة منه، من أجل الحصول على نسخة أقرب للكمال من المصحف.
- ضرورة استكمال دراسة خطوط المجموعة القيروانية، من أجل التوصل إلى تَصور كامل عن طبيعة عصر كتابتها، وكتَّابها.
- توجيه الباحثين نحو دراسة أغلفة مصاحف المجموعة القيروانية، وأغلفة أجزاء مصحف الحاضنة تحديدًا، ثم طرح بيانات عما لحقها من ترميم أو تلف.
- إجراء دراسة مقارنة بين خطوط أحد المصاحف القيروانية (مصحف أم ملال) الذي ذُكر فيه أن مَن خَطَّه هي «درّة» الكاتبة، وخطوط مصحف الحاضنة لإثبات ما إذا شاركت في كتابة أجزاء منه.
- إجراء دراسة لعدّ الآي في مصحف الحاضنة وفقًا لعلامات التخميس المتبعة في المصحف.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية

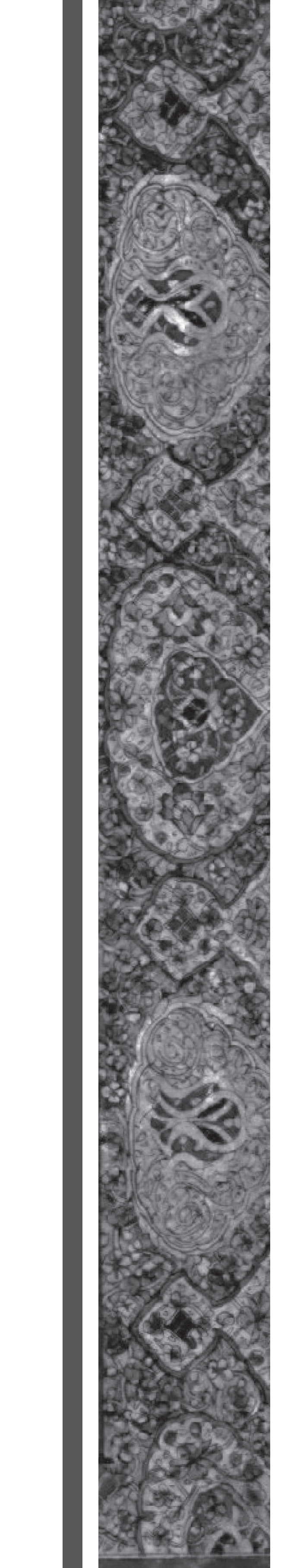
- **البيان في عدّ آي القرآن**، الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق فرغلي سيد عرباوي، دار الكتب العلمية.
- **تاريخ الوراقة المغربية: صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة**، محمد المنوني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٢، المملكة المغربية، ١٩٩١م.
- «جماليات الخط المغربي: تاريخ وفن»، محمد المغراوي، **مجلة مدارك**، العدد الثالث، ٢٠٠٦م.
- **جماليات الفنون في الثقافة الإسلامية**، إعداد محمد المصيلحي إبراهيم، لمجموعة من الباحثين، شركة بروج للأدوات المكتبية والمدرسية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.
- **الخط العربي بين العبارة التشكيلية والمنظومات التواصلية**، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، مساهمات جماعية أنجزت بمناسبة أيام الخط العربي الثانية بإدارة الأستاذ خليل قويعة، قرطاج، ٢٠٠٦م.
- «الخط الكوفي القيرواني في مصحف الحاضنة»، المنجي عمار، **مجلة حروف عربية**، العدد السادس والعشرون، السنة الثامنة، ذو القعدة ١٤٣١هـ/ أكتوبر - تشرين الأول ٢٠١٠م.
- **خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري**، محمد بن سعيد شريفي، الشركة الوطنية، الجزائر، ١٩٨٢م.
- **دخول المصحف الشريف لإفريقية (تونس) وانتشار الخط العربي حتى القرن ٥هـ**، محمد الصادق عبد اللطيف، التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، عدد ١٤، المغرب، ٢٠٠٠م.

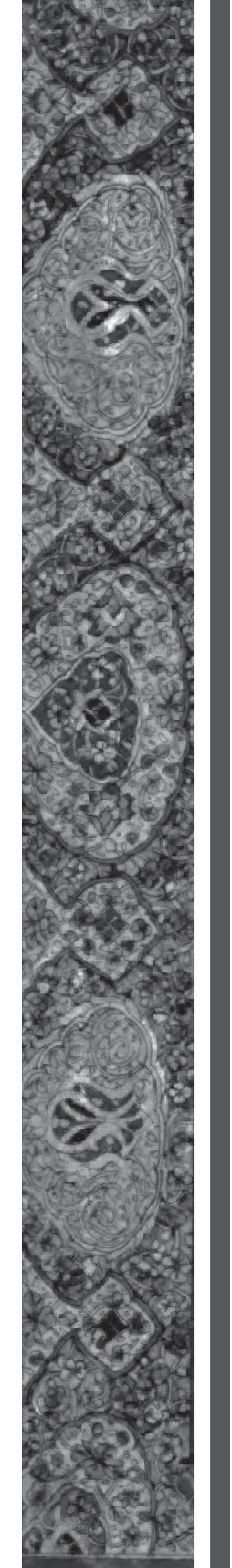
- **زينة المعنى**: **الكتابة، الخط، الزخرفة**، يوسف ذنون، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، ٢٠١٥م، وهو كتاب وزّع مجانًا مع العدد الثالث والتسعين من مجلة الدوحة، يوليو، ٢٠١٥م.
- «سجل قديم بمكتبة الجامع الكبير بالقيروان»، إبراهيم شبوح، **مجلة معهد المخطوطات العربية**، المجلد الثاني، الجزء الثاني، نوفمبر ١٩٥٦م.
- **قواعد الخط الكوفي القيرواني**: **كراس تعليمي مفصّل**، الخطاط عامر بن جدو، مركز الكويت للفنون الإسلامية، ٢٠١٧م.
- **الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات**، أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- **المخطوط الديني في مصر والمغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين**: **خطوطه وفنونه**، تامر مختار محمد، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة حلوان، ٢٠١١م.
- **المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي**، فرانسوا ديروش، نقله للعربية الدكتور أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠١٠م.
- «مدينة القيروان»، محمد بك بيرم التونسي، **جريدة المقتطف**، الجزء الرابع من السنة الحادية والعشرين، إبريل ١٨٩٧م.
- **مصاحف الرقّ القيروانية**، بالموسوعة التونسية المفتوحة، ضمن نشاط المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة). وقد أُصدرت الموسوعة سنة ٢٠١٣م في جزأين.
- «مصحف جامعة توبنجن رقم (Mav ١١٦٥): دراسة وصفية تحليلية»، بشير الحميري، **مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية**، المجلد العاشر، العدد العشرون لسنة ٢٠١٥م.
- **المصحف الشريف**: **دراسة تاريخية وفنية**، محمد عبد العزيز مرزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.



ثانيًا: المصادر الأجنبية

- *Objets Kairouanais IXe au XIIIe siècle*, Georges Marçais & Louis Poinssot, 1948.
- *The Qur'an of the Nurse*, Sihem Lamine Ganouni, December 2013.
- *The Abbasid Tradition*, François Déroche, Oxford: Azimuth, 1992.
- *The Book in the Islamic World: The Written Word and Communication in the Middle East*, George Nicholas Atiyeh, Written by a group of distinguished scholars, 2015.
- *Ink and Gold, Islamic Calligraphy*, Sam Fogg, M. Franzer and W. Kwiatowski, Distributed in U.S. and Canada by University of Washington Press, London, 2006.
- "Endülüs Ve Mağrib Hattatlari", Abdulkadir Yılmaz; Doç. Dr., Atatürk Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, İslâm Tarihi ve Sanatları Bölümü.





Contents

Publishing Guidelines

- This journal provides a platform for the publication of original and novel academic research in the areas of codicology, history and philosophy of science and Arabic/Islamic heritage studies. The journal welcomes the submission of critical editions, translations, critiques, book reviews of Arabic heritage studies and manuscripts, in Arabic, English and French.
- Submitted papers should not have been published before, as whole or in part, derived substantially from the author's thesis or dissertation, or under consideration for publication elsewhere.
- Submitted papers are typically between 5,000 to 10,000 words in length (for researches, studies and critical editions), and should not be less than 2,000 words (for critical essays, book reviews and translations).
- A brief abstract (150 words maximum), in both Arabic and English, is required.
- Papers are submitted electronically via the journal email along with an adequate bio of the author.
- The journal adopts a blind scholarly peer-review process. Authors shall be informed of the reviewing process' outcome. The editors reserve the right to make modifications and changes to accepted papers as necessary. The decision of acceptance or rejection of papers is final.
- Upon acceptance of a paper, the author must make timely and effective modifications and corrections if required by the reviewers. The editors may opt not to disclose the reason for rejection of a submitted paper.
- The information and opinions contained in the papers are those of the authors and do not necessarily reflect the view of the Manuscripts Center nor the Bibliotheca Alexandrina.

Contact Information:

All correspondence is to be sent via e-mail to the Managing Editors:
manuscripts.center@bibalex.org or layla.khoga@bibalex.org



‘Ulūm Al-Makhtūt

Annual Peer-Reviewed Journal

Third Issue

2020



‘Ulūm Al-Makhtūt Journal



An annual peer-reviewed journal, published by the Manuscripts Center at the Bibliotheca Alexandrina, dedicated to publishing original research in Arabic manuscripts studies, history of philosophy and sciences, and heritage studies. Translations, commentaries, critiques and critical editions sections are featured in every issue.

‘Ulūm Al-Makhtūt

Annual Peer-Reviewed Journal





ISSN 3283–2636

‘Ulūm Al-Makhtūt

Annual Peer-Reviewed Journal

Third Issue
2020

